

سلسلة في الدراسات الفلسفية والأخلاقية

يشرف على إصدارها الدكتور محمود قاسم أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

# كتاب المِلل والنحل

للإمام الشَّهرستاني



مركز تحفة كوكب الشرق  
القسم الأول

تخريج

محمد بن فتح إيتدبران

أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد زنبق

القاهرة

نور المعرف  
Intellectualrevolution

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

کتابخانه	
مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی	
شماره ثبت:	۰۲۳۷۱۸
تاریخ ثبت:	

## مقدمة الطبعة الثانية

### لِلنَّخْرِجِ

بسم الله الرحمن الرحيم « الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ،  
وبعد ؛ فإنه ليسعدني أن أقدم هذه الطبعة الثانية من هذا الكتاب لجمهور  
المثقفين العالمين ؛ ولما ننته من الطبعة الأولى . . .  
ومؤلف هذا الكتاب هو الإمام الأفاضل أبو الفتح « محمد بن عبد الكريم  
الشهرستاني » ، وإن من حقه علينا أن نقدم له الآن ، بعد أن قدمنا لكتابه  
في الطبعة الأولى .

١ - ينسب « الشهرستاني » إلى بلدة « شهرستان » - بفتح فسكون ففتح  
فسكون - وهي مسقط رأسه ، ومثوى رفاقه ، وهي مدينة في آخر حدود  
« خراسان » شمالاً ، وأول الرمل المتصل « بخوارزم » على بعد ثلاثة أميال  
من « نسا » بين نيسابور وخوارزم ، وقد بناها « عبد الله بن طاهر » أمير  
خراسان في خلافة « المأمون » في أوائل القرن الثالث الهجري .

وقد اختلف الباحثون كثيراً في تاريخ مولده ؛ فذهب ابن خلكان ،  
وأبو الفداء ، والبستاني ، وخير الدين ؛ إلى أنه ولد سنة ٤٦٧ هـ . ويؤكد  
ياقوت ، و« كارادى فو » ، و« بروكلمان » أنه ولد سنة ٤٦٩ هـ .

أما « ابن السمعاني » فيقول في كتابه « ذيل الأنساب » :

« سألته ( الشهرستاني ) عن مولده ؛ فقال : سنة تسع وسبعين وأربعمائة »  
( ٤٧٩ هـ ) ؛ ويوافقه « ابن السبكي » على ذلك ، ويرجح هذا القول كل من :  
« كيورتن » الذى نشر كتاب « الملل والنحل » هذا باللغة العربية في « لندن »  
سنة ١٨٤٢ - ١٨٤٦ م ، و« هاربركر » الألماني الذى ترجم نشرة « كيورتن »

إلى اللغة الألمانية، وطبع الكتاب كله في مدينة « هلا » بألمانيا سنة ١٨٥٠ م ،  
و « برينوف » .

ولعلنا نستطيع أن نطمئن إلى رأى « ابن السمعاني » ؛ خصوصا وأنه عاصر  
الشهرستاني ، وشاهده كثيراً ، وسأله عن مولده .

وعلى هذا فقد ولد سنة ٥٧٩ هـ ، وتوفى في شعبان سنة ٥٤٨ هـ الموافق  
نوفمبر سنة ١١٥٣ م ، فيكون قد عمر ٧٠ سبعين سنة .

أما اسمه فهو : محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، وكنيته : أبو الفتح ابن أبي القاسم  
ابن أبي بكر ، ولم يشتهر أحد من آبائه بشيء يتميز به ، فنسب إلى بلده ، وصار  
معروفاً « بالشهرستاني » . فهو عصامي الثقافة والشهرة .

و « أبو الفتح » شافعي الفروع ، أشعري الأصول ، ظهر في عصر كانت الدولة  
فيه للشافعية والأشعرية ، وتلقى العلم على مشايخ متعصبين للشافعي ، وأساتذة مدافعين  
عن « الأشعري » .

فقد تفقه على « أحمد الخوافي » أاضي طوس ، ورفيق « الغزالي » ، والذي يقول عنه  
ابن عساكر : « الخوافي : هو الإمام المشهور : أنظر أهل زمانه ، وأعرفهم بطريق  
الجدل في الفقه » ، وجمع كل من كتب عنه على أنه كان : « حسن العقيدة ،  
ورع النفس ، ماعهدت منه هنات قط كما عهدت من غيره » .

وقرأ الأصول على « أبي القاسم الأنصاري » الشيخ المتكلم الصوفي المفسر الأصولي  
يقول عنه ابن عساكر : الإمام ، الدين ، الورع ، الزاهد ، فريد عصره في فنه .

وسمع الحديث على « أبي الحسن المدائني » الإمام الفاضل الورع .  
وتلذ صاحبنا أيضا على « أبي نصر بن القاسم القشيري » : « بحر العلوم وإمام  
الأئمة وخبير الأمة . وواعظها ، والذي أطبق علماء بغداد على أنهم لم يروا مثله .  
استوفى الحظ الأوفى من علم الأصول والتفسير » .

٢ — وأبو الفتح رحالة للعلم وفي العلم يستفيد ويفيد ؛ وقد طوف في أرجاء

الرقعة الإسلامية في زمنه : أخذ يتنقل بين خوارزم وخراسان ، صاعدا شمالا حتى الجرجانية ، وهابطا جنوبا حتى نيسابور . فإذا ما نيفت سنه على الثلاثين نراه يهبط من خوارزم إلى مكة حاجا سنة ٥١٠ هـ ، ثم يصعد إلى بغداد ، ويقوم بها ثلاث سنين ، ويعقد له فيها مجالس الوعظ ومجالس العلم في النظامية ببغداد أعلى المدارس كعبا في زمنه ، والتي كان يدرس فيها الغزالي . وكانت مجالسه العلمية تكتب لجلالها وعمتها ؛ بل وقد كان يحضر مجالسه العلمية جماعة العلماء ، وكبار الشيوخ ، يقول البيهقي : « وقد جمعني وإياه الإمام أبو الحسن ابن حمويه ، في مجلس ، وحضر المجلس الإمام أبو منصور ، والعبادي ، وموفق الدين أحمد الليثي ، وشهاب الدين الواعظ . . . وغيرهم من الأفاضل » . ويكفي أن يكون « أستاذا زائرا » في « النظامية » طوال إقامته ببغداد ثلاث سنين ، وهو في مستهل العقد الرابع من عمره من سنة ٥١٠ هـ إلى سنة ٥١٣ هـ ؛ يكفي هذا ؛ لنحكم على مدى عمقه وجلاله العلمي في كتابه هذا الذي ألفه بعد ذلك بعشر سنين ، وقد تجاوزت سنه الأربعين . وهنا نستطيع أن نتصور مدى تطوافه العلمي والثقافي من قوله :

لتمد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن ، أم قارعا من نادم

٣ - أما لغاته فالذي نستطيع تحقيقه الآن أنه امتلك نواصي لغات ثلاث : اللغة العربية ، واللغة الفارسية ، واللغة اليونانية . ولعل الغد يكشف لنا عن نواص أخرى للغات أخرى تمكن منها أبو الفتح . ولعل مما يحول تيار النقد الموجه للشهرستاني بالنسبة للفلسفة اليونانية : أن أبا الفتح كان متمكنا من اللغة اليونانية ، وأنه اعتمد بنفسه على مصادر يونانية أصلية صحيحة النسبة لأصحابها ، وأن هذه المصادر لم تصلنا جميعاً حتى نحاسب الشهرستاني بها ، ولقد تنبه إلى هذا . قبل قرن من الزمان ، « هاربركر » الألماني الذي ترجم « كتاب الملل والنحل » جميعاً إلى اللغة

الألمانية، وطبعه سنة ١٨٥٠م، ولم يستطع التأكد بنفسه، فرجع إلى الحجّة الألماني في الفلسفة اليونانية في زمنه، وهو الأستاذ «ملخ»، فإذا بالمتخصص الحجّة يحكم بأنه لا يشك في صحة ما نسبته الشهرستاني إلى اليونانية، على الرغم من أن المؤلفين الأغرقي لم يدونوا نقول الشهرستاني عن اليونانيين... يقول «هاربركر» في مقدمة ترجمته لهذا الكتاب: «إننا لانستطيع أن نقرر تماماً إذا كان الشهرستاني قد اعتمد على تراجم باللغة العربية، أو أنه كان يرجع بين حين وآخر إلى أصول باللغة يونانية؟... ومع ذلك فإنني أترك البت في هذه الناحية لإخصائين أعلى مني رأياً... والذي يجب ملاحظته أن الأستاذ «ملخ» الذي تفضل فنفعني بكثير مما ذكرته في التعليقات صرح: بأنه لا يشك في صحة ما نسبته الشهرستاني من الأقوال إلى ديمقريطيس؛ على الرغم من أنه لم يجد هذه الأقوال محفوظة

بين ما نقله كتاب الإغريق عن ديمقريطيس»

٤ - كل هذا وغيره مما لم تتجمله هذه المقدمة هياً لصاحبنا التربع على كرسي الإمامة العلية. ولقد كانت الدرجات العلية في زمنه محددة المعالم متسلسلة السلام، وكان المنصفون من أصحاب التراجم يحافظون على هذه الألقاب وهاتيك الدرجات، وبحسبنا أن يظل ابن سينا إلى الآن هو «الشيخ الرئيس»، فلقد كانت درجات السلم العلي في زمانهم مستقرة على النحو الآتي: المعلم، فالمؤدب، فالمدرس، فالمعيد، فالشيخ، فالأستاذ، فالرحلة، فالعالم، وتنتهي بالإمام. تسع درجات عليّة محددة. فعلى أية درجة وقف الشهرستاني يا ترى؟ لقد وصل صاحبنا إلى قمة السلم العلي وأرّبى عليها؛ فلقبه كل من: البيهقي، وياقوت، وابن السبكي، وابن السمعاني، وابن خلكان و«ابن تغرى بردى»، وأبي الفداء، وابن العماد... وغيرهم لقبوه «بالإمام» بل ولتعدد إمامة الشهرستاني في كثير من الفنون والعلوم أطلقوا عليه «الأفضل» لتعدد نواحيه العلية، فكان يقال: «الإمام الأفضل الشهرستاني». يقول ابن السبكي: «وكان لعليه يلقب - أيضاً - بالأفضل: برع في الفقه، والأصول، والكلام». وقال ابن تغرى بردى: «كان إمام عصره»

في علم الكلام، عالماً بفنون كثيرة من العلوم، وبه تخرج جماعة كثيرة من العلماء .  
وفوق هذا، فإن الشهرستاني كان قد اشتهر بالفلسفة في زمانه، يقول ياقوت عنه :  
« المتكلم الفيلسوف صاحب التصانيف ، بل واهمه كل من قرأ له بالميل  
إلى ما قرأ : فاتهم بالباطنية ، وبالتشيع ؛ وذلك لدقة عرضه للذاهب وعمقه  
في تكنه الاصطلاحات . وقد دافع عنه بقوة وحرارة جملة العلماء وأساطينهم .  
ومع هذا فقد تصدى للحكم على الشهرستاني محدثون عالميون شريون  
ومستشرقون :

يقول «هابركر» الألماني: « بواسطة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل نستطيع  
أن نسد الثغرة في تاريخ الفلسفة بين القديم والحديث . »  
ويقول «كارادى فو» الفرنسى : « إن عقلية الشهرستاني لم تكن في جوهرها  
إلا عقلية فلسفية . »

ويقول ألفرد جيوم الإنجليزي الذى نشر كتاب « نهاية الأقدام في علم  
الكلام » للشهرستاني فى لندن سنة ١٩٣٤ هـ : « والشهرستاني كان رجلاً دينياً  
إلى الأعماق ، وإخلاصه للعقيدة لا يمكن أن يشك فيه أى إنسان قرأ مؤلفاته  
التي تكنى بنفسها لدحض ادعاءات المنتقسين من شأنه . . . وهو جدير بأن ينظر  
إليه باعتبارها ذا أصالة فكرية . وهو الذى قال عن كتاب الملل والنحل :  
« لا يمكن الاستغناء عنه فى أى زمان . »

ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن الشهرستاني من أهل الفلسفة الإسلامية  
كابن سينا، ويستشهد بأرائهما .  
ويقول ابن السبكي عن كتاب الملل والنحل هذا : « هو عندى خير كتاب  
صنف فى هذا الباب . »

هـ - وبعد أن اكتملت لأبى الفتح أسباب التصنيف والتأليف أخذ يظهر  
للناس كتباً متعددة النواحي كثقافته، بعيدة الغور كعلمه، ولكن بما يؤسف له  
أن هذه الكتب لم تصل إلينا، وإنما المطبوع منها كتابان فقط .

١ - كتاب الممل والنحل هذا الذي بدأ تأليفه سنة ٥٢١ بعد أن نيفت سنه على الأربعين ، وبعد أن استعد وأعد وهضم .

٢ - كتاب «نهاية الأقدام في علم الكلام» الذي عرفه العالم مطبوعاً عن طريق «ألفرد جيوم» الإنجليزى سنة ١٩٣٤ والذي يقول عنه في مقدمته :

« وكتاب نهاية الأقدام في علم الكلام من الواضح أن الشهرستاني نفسه كان يعتبره تكملة ولاحقاً لكتاب الممل والنحل ؛ فهو دائماً يذكره ، وهو بدون شك كان واعياً للمشاكل التي أثارها في الممل والنحل ، ولم يدل فيها برأى ، ولكنه في هذا الكتاب يوضح نفسه إلى أبعد حد ، بعد أن قال عن كتاب الممل هذا : « أنه ظل الملخص الوافي الذي تبوب فيه الممل على اختلافها وخصائص ومميزات كل منها ، مما جعله بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان » .

٣ - وقد ألحق « جيوم » بهذا الكتاب بحثاً في الجزء الذي لا يتجزأ للشهرستاني أيضاً .

أما باقي الكتب التي استطعنا معرفتها للشهرستاني والتي لم تطبع والتي ندعو الله أن يوفقنا إلى تخريجها تخريجاً علياً ؛ تمييط اللثام عن كنوز تهر أنظار العالم ، وتغير من أحكامهم . من هذه الكتب ما يأتي :

٤ - الإرشاد إلى عقائد العباد : ذكره الشهرستاني نفسه في كتابه نهاية الأقدام .

٥ - الأقطار في الأصول : أسنده إليه الخوارزمي .

٦ - تاريخ الحكماء ؛ يقول كيورتن في مقدمته أمام طبعته لكتاب الممل والنحل هذا : « وكذلك استعنت « بتاريخ الحكماء » للمؤلف نفسه ، وقد أعارني إياه صديق المستر « بلاند » وفي الواقع لم أجد في هذا المؤلف الأخير أي شيء يدل على أن هذا الكتاب من تأليف الشهرستاني ، ولكن بالمقارنة بين كثير من صفحاته ، وبين صفحات أخرى من كتاب الممل والنحل الذي ترد فيه نفس العبارة ، هذه المقارنة لا تدع مجالاً للشك في شخصية مؤلفهما ، وقد نسب هذا الكتاب للشهرستاني من قبل « كارادى فو » ، ويقول عنه : إنه يحمل اسم نفس



الكتاب المشهور لابن القفطي، الذي جاء بعده بنحو قرن من الزمان، كما نسبة إليه «حاجي خليفة»، ويذكره له «بروكلان» باسم «تاريخ الحكماء أو تاريخ الفلاسفة»

٧ - تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام : نسبة إليه ابن خلكان وأبو الفداء وحاجي خليفة .

٨ - دقائق الأوهام : نسبة إليه الخوارزمي .

٩ - شرح سورة يوسف بعبارة لطيفة فلسفية : نسبة إليه الخوارزمي .

١٠ - العيون والأنهار : نسبة إليه البيهقي .

١١ - غاية المرام في علم الكلام : نسبة إليه الخوارزمي ، وذكر هذا الاسم

حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» منسوباً إلى الإمام سيف الدين أبي الحسن

الأمدي المتوفى سنة ٦٣١ هـ ( أعني بعد الشهرستاني بقرابة قرن من الزمان ،

وبعد وفاة الخوارزمي الذي نسب الكتاب للشهرستاني بأربعة وستين عاماً ) .

١٢ - قصة موسى والحضر : نسبة إليه البيهقي .

١٣ - المبدأ والمعاد : نسبة إليه الخوارزمي .

١٤ - مجالس مكتوبة : رآها البيهقي ، وكانت لا تكتب المجالس

إلا الأئمة نادراً .

١٥ - مصارعة الفلاسفة أو المصارعة والمضارعة : ذكره له بروكلان

وصدر الدين الشيرازي وحاجي خليفة ، ورد عليه «الطوسي» بكتابه «مصارع

المصارع» وقد رأته .

١٦ - مفاتيح الأسرار ومصايح الأبرار في تفسير القرآن : ذكره له بروكلان

والبيهقي الذي يقول عنه : « وكان يصنف تفسيراً ويؤول الآيات على قوانين

الشريعة والحكمة وغيرها » وقد رأته .

١٧ - المناهج والآيات : نسبة إليه البيهقي وابن خلكان وأبو الفداء .

١٨ - شهادت أرسطوطاليس وابن سينا ونقضها : ذكره الشهرستاني نفسه .

١٩ - نهايات الأوهام : قال الشهرستاني في آخر كتاب نهاية الأقدام مانصه :

« وقد نجز غرضنا من عشرين قاعدة في بيان نهايات أقدم أهل الكلام ، وإن تنفس الأجل وأمهل العمر شرعنا في عشرين أخرى في نهايات أوهام الحكماء الإلهية » . والحمد لله قد تنفس أجل « أبي الفتح » حتى السبعين .

٦ - ولعله قد آن لنا أن نقرر في يقين واطمئنان أن الشهرستاني أقام بمفرده مدرسة « فلسفية » للبل والنحل « أو تاريخ الأديان » بدأها وأتمها هو ؛ فبدأ بتاريخ الرجال في كتابه « تاريخ الحكماء » وثني بتاريخ الآراء والأفكار في « الملل والنحل » ، وثالث بمناقشة هذه الآراء والمذاهب في كتب متعددة ؛ فناقش الآراء الكلامية في كتابين : « غاية المرام » و « نهاية الأقدام » وناقش الآراء الحكيمية في كتابين : دقائق الأوهام ، ونهايات أوهام الحكماء الإلهيين . وناقش الآراء الفلسفية في كتابين : نقض شبه أرسطو وابن سينا ، ومصارعة الفلاسفة ...

بهذا - وقد وضع الشهرستاني منهجاً محكماً لتاريخه لمقالات أهل العالم - يعتبر الشهرستاني بحق واضح منهج البحث في تاريخ الأديان ، وأن منهجه هذا ما زال طلبة الباحثين إلى الآن ، وأنه بهذا أبطل الإجماع القائل « لم يكن للقدايم منهج للبحث في تاريخ الأديان » .

٧ - ولكن ألم يكن لغيره منهج في هذا ؟ أو لم يكتب المؤلفون في الملل والنحل مثله ؟

والجواب : أنا لا نجد عند اليونان ولا عند الرومان ولا عند المسيحية في العصور الوسطى ، ولا عند المانوية ولا عند الأفلاطونية الحديثة ولا عند الغنوسية ... لا نجد عند هؤلاء جميعاً منهجاً للبحث في تاريخ الأديان ، اللهم إلا تنفأ يسيرة متفرقة أو متناثرة ، أو وصفاً لبعض الطقوس والعبادات لا تكون منهجاً ولا ترسم خطة ، ولأول مرة في تاريخ الفكر البشري نجد المسلمين قد أفردوا تواليف للبحث في تاريخ الأديان ، ولكن هذه الكتب يمكن تقسيمها إلى قسمين : قسم عني بالفرق الإسلامية أولاً وبالذات وإن أشار إلى غيرها مثل : مقالات الإسلاميين للأشعري ، والفرق بين الفرق ، والتفنيه والرد ، والتبصير في الدين ...

وهذه لاتعينا كثيراً ؛ إنما الذى يعيننا هو القسم الذى عنى بتاريخ الأديان جميعاً ، وقد ظهر منه كتب ثلاثة :

الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، وكتاب الملل والنحل هذا ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى . بيد أن الكتاب الأول لابن حزم : مترامى الأطراف ، كثير النقاش ، عنيف الجدل ، سليط اللسان ، خرج به مؤلفه عن التاريخ إلى التجريح ، ومن التقرير إلى التقرير ، ومع هذا فهو بأسبابه فى المناقشة قد خرج إلى كتاب فى علم الكلام ، وفوق هذا ، فإن مؤلفه «ظاهري» متعصب ، يكفر مخالفه ويفسقه ويجرحه . والكتاب الثالث للرازى شديد الاختصار جدا ، فهو أشبه برسالة موجزة يقع فى ٥٦ صفحة وفيه ميل وهوى . وعلى هذا فلم يسلم لنا إلا كتابنا هذا الذى أرخ فيه «الشهرستاني» لمقالات أهل العالم ، وسلك فيه منهجاً جديراً بالدرس والاتباع ؛ فقسم أهل العالم ، وعين قانوناً لتعديد الفرق ، وشرط على نفسه فقال : « وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحیحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وكما يقول عن المذاهب جميعاً . . . » نذكر أربابها وأعجابها ، وننقل ما أخذها ومصادرهما عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحاتها بعد الوقوف على مناهجها والفحص الشديد عن مبادئها وعواقبها . . . ولكنه يضطر فى قليل من الأحيان إلى الاعتماد على المصادر الناطقة ؛ أعنى : يأخذ عن رؤساء الفرق المعاصرين أو المتخصصين إن لم يجد مكتوباً ، أو إن لم يطمئن إلى مكتوب ، فنراه يناقش ، وينظر ، ويساهل . . . ومع هذا فإن خرج على منهجه رسم المنهاج الجديد وسجله ؛ وهو دائماً إلى أدق وأعمق . . .

٨ - هذا كله لا يعنى «الشهرستاني» من أن تكون له بعض هنات لا تكمل أصابع اليد الواحدة ، وقد تكون هذه الهنات حسنات من زاوية أخرى ، وعلى كل فهذه الهنات لاتمس الأمانة العلية ، وبحسبنا الآن أن نستمع إلى بعض من أجروا تجاربهم على الشهرستاني وأصدروا أحكامهم ؛ وهذه بعض أقوالهم :

يقول « هاربركر » الألماني النصراني : « إن الشهرستاني يثبت أنه رجل ذو ذوق راق باختيار المادة ، وأنه موفق في ترتيبها توفيقاً كبيراً . . . وحسبنا أن نقيس على الجزء الخاص بالمسيحية - وهو الجزء الذي يعرفه معظم القراء - ( في ألمانيا طبعاً ) سائر الأجزاء لنحكم بدقة على ما كتبه الشهرستاني وسلامة أحكامه ، وأنه اعتمد فيما دونه على مصادر مكتوبة ، وعلى أبحاث علمية حقيقية . »

ويقول الأب « يوسف العظم » اليسوعي ، بعد أن حقق الجزء الخاص بالنصارى وعلق عليه وكتب له مقدمة يقول فيها : « وتحقيقاً لهذا الغرض لجأ المؤلف إلى كتب المسيحيين يتفهم معتقدتهم وينقل عنهم ؛ فجاء كلامه في كثير من المواضع ترديداً لكلامهم ، وعباراته ترجيعاً لعباراتهم . . . وقد دل دلالة صادقة على الفروق ، وحرص على ذكر مصطلحاتهم التي أخذها من كتبهم فجاء هذا برهاناً على اطلاعه وأمانته في النقل . »

ويقول « كارادى فو » عن الشهرستاني أيضاً : « وهو بالنسبة لتحليل المذاهب كان دقيقاً جداً ، وموضوعياً للغاية بصفة عامة ، ثم يقول عنه في كتابه عن ابن سينا : « إن أهم مصادرنا عن عصر ما قبل ابن سينا هي تلك المجموعة القيمة التي كتبها الشهرستاني ، ذلك المؤرخ العظيم للحياة الفكرية في العصر الإسلامي ، وقد خصص لعدد عظيم من فرق المعتزلة فصولاً قيمة جديدة بالثقة ، خصوصاً عند من رأى بعد التجربة الدقيقة أن كتابته عن ابن سينا كانت في غاية الضبط ؛ فإذا قسنا فصوله عن المعتزلة بمقالاته عن ابن سينا تبينت لنا الدقة التي توجب الثقة ، والفضل ما شهد به الغير . أما نحن فقد اخترنا كثيراً من أجزاء الكتاب وقارناها ، فوجدنا الدقة التي تدعو إلى الثقة التامة . »

٩ - وأظن أنه يكفي لتقديم هذا الكتاب أن يشعر الإنسان أنه منه أمام عوالم في عالم ، ( وأكوان ) في كتاب ، وأن يعلم أن هذا الكتاب قد طوّف بالعالم أو كاد . . . وما ظنك بكتاب رحبت به معظم الجهات ، وتلقفته شتى اللغات ؛ فظهرت له كثير من الترجمات فضلاً عن مختلف الطبقات . . .

- ١ - فظهرت له ترجمة فارسية بأصفهان سنة ٨٤٣ هـ (١٤٣٩ م) لأفضل الدين .
- ٢ - وأخرى في لاهور بالهند سنة ١٠٢١ هـ (١٦١٢ م) ترجمة مصطفى خالق داد الهاشمي .
- ٣ - وظهر ضمن مجموعة « بكوك » العظيمة بلندن سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) .
- ٤ - وترجمه إلى التركية نوح بن مصطفى المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) .
- ٥ - ونشره « كيورتن » بلندن سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) ، سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) .
- ٦ - ثم طبع بمدينة « هلا » باللغة الألمانية ترجمه « هاربركر » سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) .

- ٧ - وطبع باللغة التركية باستانبول سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) .
  - ٨ - ثم ظهر في بمباي بالهند سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) .
  - ٩ - وظهر في روما على يد « جبريللي » سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) .
  - ١٠ - وأخيراً - وليس أخراً - طبع في ليبرج سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) .
- هذا كله على الرغم من طبعات مصر المتعددة المشوَّعة ، والتي ظهرت متأخرة كثيراً بكل أسف .

هذا هو التقدير العملي لهذا الكتاب ، أما التقدير القولي ، فيكفي أن نستمع إلى « هاربركر » الألماني يقول : « والكتاب الذي يشار إليه باعتباره مرجعاً أساسياً هو كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

١٠ - وأخيراً ما هي الدوافع التي حملت الشهرستاني على تدوين هذا الكتاب ؟

الحق أن العصر الذي عاش فيه الشهرستاني كان من أهم الدوافع لهذه العبقرية الفذة أن تلم شعث المتفرق . وتجمع شتات المتمزق من أصول الفرق والمذاهب ، وما كان لهذه المهمة العظمى غير الشهرستاني ؛ فقد كانت الرقعة الإسلامية في عصره متشابكة متجاذبة على ترامي أطرافها ، وتباين حكماها : العباسيون يحاولون استرجاع نفوذهم ويضعفون في نسب الفاطميين ، والفاطميون يحاولون نشر

دعوتهم ، وبسط سلطانهم ، ويتجاذب الفريقان مكة والمدينة وبلاد الشام والمغرب والأندلس ، والباطنيون ينشرون الدعوة الجديدة للفاطميين ، وغيرهم وغيرهم . . . ويقوم التخاصم والتراشق بالألفاظ والسكاكين على قدم وساق ، وينشط التكفير والتفسيق ، ويحاول كل الطعن على خصمه بقدر ما تتسع له مقدرته ؛ فتؤلف الكتب للطعن والتشهير ، ويحاول كل فريق جذب السلطان إليه ، ويحاول كل سلطان الانتصار بفريق من الفقهاء ، وتجد مذاهب جديدة ، وتلبس المذاهب القديمة أردية جديدة ، والترك والروم والفرنج مع كل هذا يحاربون بالسيوف والأفكار والأقلام . . . وتضيع بين كل هذا وذاك قواعد المذاهب وأصول الفرق ، وتحرق الكتب ، فكان ولا بد من سجل يحوى أصول هاتيك المذاهب وقواعدها بأمانة ودقة ؛ ليجمع مقالات الكل ومذاهب الجميع . وقد كان الشهرستاني جامع ذلك السجل الخالد بأمانة وعمق وإخلاص في هذا الكتاب . وقد فصلنا القول على هذا كله وغيره في كتابنا « المدخل إلى كتاب الملل والنحل » .

١١ - ولقد وصل إلينا كتاب الملل والنحل هذا في مختلف طبعاته ومخطوطاته وترجماته - مخاضل البناء ، مهلهل الرواء ، يعمه الاضطراب ، ويكثر فيه التشويه ، ويشيع فيه النقص ؛ فجلنا فيه جولات وجولات مع كبار المتخصصين تارة ، ومستعنين بالله في جميع الحالات ، بعد أن ارتمينا في أحضان صاحبه وصاحبنا عشر سنوات كاملات - بل يزيد - ليلاً ونهاراً ، غير حاسبين للزمن والنصب حساباً ، وتغلغلنا معه في ثنيات عصره ومصره ؛ نتسمع إلى خلجات نفسه . وتحتسب مدركات حسه ، ونسائر وثبات حدسه ، ونظوف ما نظوف معه . بالحكام والسلاطين ، ونعقد معه المجالس الوعظية والعلمية ، ونصفح معه مئات الكتب والمراجع ؛ ثم نقف معه عند كل كلمة من كلمات كتابه ، بل كل حرف من حروفه ؛ نستشير فيشير علينا ، ونستوضحه فيوضح لنا . والحق أنا كنا طوال هذه المدة صاحبين مخلصين ، أسرلى ، وفهمت عنه ، حتى ظننت أني أكتب بقلبه ،

وأخطو بقدمه ، ثم أخذنا نصفه كتابه وندارسه : مبتكرين فهارسه ، منفردين بتقسيمه وتجزئته وتبويبه وتفصيله ، مغربلين منظمين ، مطبقين كل ما رسمناه من قواعد « التخريج العلي » ، حتى خرجناه نقي الإهاب ، حسن الجلباب ، يوتى أكاه كل حين يأذن ربه ، بعد أن بينا أن أول ما يلفت النظر في أمر « التخريج العلي » اضطراب أمره لدى القائمين به ، وارتعاش حبله في يد القابضين عليه ، فيينا نرى المبالغ في الإفراط ، إذ نرى المبالغ في التفريط ، وبين هذا وذاك نرى أفواجا سلكوا طرائق قدا ؛ وقد عرضت عشرين نموذجا لكبار المستشرقين والشرقيين .

١٢ - اعتمدت في « تخريج هذا الكتاب » على اثنتي عشرة مجموعة من أصوله ، منها ثلاث مجموعات مطبوعة . وتسع مجموعات مخطوطة . فصلت القول فيها وبينت قيمتها النقدية في الطبعة الأولى .  
ولعل من الواجب علينا أن ننبه القراء إلى أن كل الطبعات ، وكل الترجمات ، وجل المخطوطات لهذا الكتاب قد سقط منها « مقالة زردشت في المبادئ » ، التي نقلها الشهرستاني عن الجيهاني ، وهو موضوع خطير وجديد لم نعر عليه بعد في مصدر آخر ، وقد شغل هذا السقط ست صفحات ، من صفحة ٢١٩ - ٢٢٤ .  
وأن كل الطبعات ، وكل الترجمات والغالبية الغالبة من المخطوطات ، لم تستطع انوصول إلى المقدمة التي قدم بها « الشهرستاني » ، كتابه هذا للوزير « نصير الدين » ، تلك المقدمة الجليلة التي تنفرد بمباحث قيمة ؛ منها التهدي إلى تحديد زمن تأليف الكتاب ، وإثبات مذهب الشهرستاني الاعتقادي ، والنصر على اسم الكتاب ، وسبب هذه التسمية .

وهذه حقائق قيمة ، وضرورية ، ما كان لباحث كأمن من كان أن يقطع بها بل ولما استطعنا نحن ذلك ، لولا هاتيك المقدمة التي شغلت ثلاث صفحات من حواشي الكتاب من الطبعة الأولى ، ولكننا آثرنا حذفها من هذه الطبعة ؛ إذ سبق لنا الإفادة منها مرة أخرى في مجلة الأزهر .

فضلا عن السقطات والتشويبات والأخطاء التي تشيع فيها جميعاً، قصيرة حيناً ،  
وطويلة متعبة أحياناً .

ويعلم من بيده مفاتيح الهمز وما يخفى ، كم واصلت الليل بالنهار والنهار بالليل :  
باحثاً ، مفتشاً ، منقباً . . . حول نص أرجح ، أو علم أضبط ، أو اصطلاح أتكنه ،  
أو معنى أتفهم ، أو كلمة أتعقب ؛ وكم واجهت نصوص الكتاب جميعاً بعضها  
ببعض : جملة جملة ، وكلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً . . . مستلهما المؤلف نفسه ، متسماً  
بجرسه وهمسه معرضاً عن غير ذلك : من اختلافات تثقل الكتاب . وتشق على  
القارئ ، ماراً بلغو النساخ والمتعاملين من الكرام . بعد أن أقف على هذا اللغو  
طويلاً ، وبعد أن أقلب فيه أوجه النظر . وأدير عليه وجوه البحث ، فلا أجد فيه  
غناء ، ولا أعرف له وجهاً ، كما أبعدت منها ما لا فائدة ترجى منه .

ثم ابتكرنا له تقسيماً علمياً يوافق روح العصر ويرضى عنه المؤلف ؛ فوقع  
الكتاب في قسمين ، في سبعة أجزاء ، في خمسة وعشرين باباً ، في مائة واثنين وعشرين  
فصلاً ، نثرناها في أما كتبها وجمعناها في « الفهرس الإجمالي لمحتويات الكتاب » .  
وبهذا نستطيع أن نقدم ذلك الكتاب نفسه - دون أن نفرض رأينا فرضاً -  
لجمهور المثقفين من القراء ، بعد أن بذلنا فيه طويلاً وقتنا لنحفظ عليهم وقتهم ، هؤلاء  
إنما نقدم لهم المآل نقياً خالصاً . . . وحسبنا أن نتعب ونتعب ليريح هؤلاء وهؤلاء ،  
وأن يظهر هذا الكتاب بهذا « التخريج » ليكون مرجعاً يعتمد عليه علمياً ،  
ويطمأن إلى نصه .

والله نسأل أن يخلص للحق نيتنا ، ويمحض للخير غايتنا ، ويوفقنا لخدمة  
العلم والدين ؟

محمد بن فتح الله بدران

حدائق شبرا } ١٦ من شوال سنة ١٣٧٥ هـ  
} ٢٦ من مايو سنة ١٩٥٦ م



# كتاب الملائكة والنحل

للإمام الشهرستاني



مركز بحوث الحاسوب والعلوم

القسم الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها ؛ حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما هو أهله ، وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ؛ صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين ، كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنه حميد مجيد .

وبعد ؛ فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل ، وأهل الأهواء والنحل ، والوقوف على مصادرها ومواردها ، واقتناص أوانسها وشواردها . . . أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوى : جميع ما تدين به المتدينون ، وانتحله المنتحلون ؛ عبرة لمن استبصر ، واستبصاراً لمن اعتبر .

وقبل الخوض فيما هو الغرض لا بد من أن أقدم خمس مقدمات : المقدمة الأولى : في بيان أقسام أهل العالم جملة . المقدمة الثانية : في تعيين قانون ينبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية . المقدمة الثالثة : في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة ، ومن مصدرها ، ومن مظهرها . المقدمة الرابعة : في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية ، وكيفية انشعابها ، ومن مصدرها ، ومن مظهرها . المقدمة الخامسة : في بيان السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب .

## المقدمة الأولى

في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة

من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة ، وأعطى أهل كل إقليم حظه ، من اختلاف الطبائع والأنفس ؛ التي تدل عليها الألوان والألسن .  
ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة ، التي هي : الشرق ، والغرب ، والجنوب ، والشمال ؛ ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع ، وتباين الشرائع .

ومنهم من قسمهم بحسب الأمم ؛ فقال : كبار الأمم أربعة : العرب ، والعجم والروم ، والهند . ثم زواج بين أمة وأمة ؛ فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستعمال الأمور الروحانية . والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء ، والحكم بأحكام الكيفيات والكميات ، واستعمال الأمور الجسمانية .

ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب ؛ وذلك غرضنا في تأليف هذا الكتاب .

وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى ، إلى : أهل الديانات والملل ، وأهل الأهواء والنحل .

فأرباب الديانات مطلقاً ؛ مثل : المجوس ، واليهود ، والنصارى ، والمسلمين . وأهل الأهواء والآراء ؛ مثل : الفلاسفة ، والدهرية ، والصابئة ، وعبدة الكواكب والأوثان ، والبراهمة .

ويفترق كل منهم فرقاً ؛ فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم . وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم ، بحكم الخبر الوارد فيها ؛ فافترقت المجوس على سبعين فرقة ، واليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة .

والناجية أبداً من الفرق واحدة ؛ إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ؛ ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان — على شرائط التقابل — إلا وأن تقسما الصدق والكذب ، فيكون الحق في إحدهما دون الأخرى . ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محققان صادقان . وإذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحداً ، فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة .

وإنما عرفنا هذا بالسمع ، وعنه أخبر « التنزيل » في قوله عز وجل :  
« ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، وأخبر النبي عليه السلام :  
« ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منهم واحدة والباقون هلكي » .  
قيل : ومن الناجية ؟ قال : « أهل السنة والجماعة » ، قيل : وما السنة والجماعة ؟ قال :  
« ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .  
وقال عليه السلام : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة » ،  
وقال عليه السلام : « لاتجتمع أمتي على ضلالة » .

## المقدمة الثانية

في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية

اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند  
إلى أصل ونص ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود ؛ فما وجدت مصنفين منهم متفقين  
على منهاج واحد في تعديد الفرق .

ومن المعلوم الذي لا مرأى فيه ، أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما  
في مسألة ما عد صاحب مقالة ؛ وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر  
والعد ، ويكون من انفراد بمسألة في أحكام الجواهر مثلاً ، معدوداً في عداد أصحاب  
المقالات . فلا بد إذاً من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف  
فيها اختلافاً يعتبر مقالة ، ويعد صاحبه صاحب مقالة .

وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط ؛ إلا أنهم  
استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق ، وعلى الوجه الذي وجد ؛ لا على  
قانون مستقر ، وأصل مستمر .

فاجتهدت على ما تيسر من التقدير ، وتقدر من التيسير ، حتى حصرتها في أربع  
قواعد ؛ هي الأصول الكبار :

القاعدة الأولى : الصفات والتوحيد فيها . وهي تشمل على مسائل : الصفات الأزلية ، إثباتاً عند جماعة ، ونفيّاً عند جماعة ، وبيان صفات الذات وصفات الفعل ، وما يجب لله تعالى ، وما يجوز عليه ، وما يستحيل . وفيها الخلاف بين : الأشعرية ، والكرامية ، والمجسمة ، والمعتزلة .

القاعدة الثانية : القدر والعدل فيه . وهي تشمل على مسائل : القضاء والقدر ، والجبر والكسب ، وإرادة الخير والشر ، والمقدور والمعلوم ، إثباتاً عند جماعة ، ونفيّاً عند جماعة . وفيها الخلاف بين : القدرية ، والنجارية ، والجبرية ، والأشعرية ، والكرامية .

القاعدة الثالثة : الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام . وهي تشمل على مسائل : الإيمان ، والتوبة ، والوعيد ، والإرجاء ، والتكفير ، والتضليل ، إثباتاً على وجه عند جماعة ، ونفيّاً عند جماعة . وفيها الخلاف بين : المرجئة ، والوعيدية ، والمعتزلة والأشعرية ، والكرامية .

القاعدة الرابعة : السمع والعقل ، والرسالة والإمامة . وهي تشمل على مسائل : التحسين والتقبيح ، والصلاح والأصلح ، واللطف ، والعصمة في النبوة ، وشرائط الإمامة ، نصّاً عند جماعة ، وإجماعاً عند جماعة ، وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنصر ، وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع . والخلاف فيها بين : الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والكرامية ، والأشعرية .

فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد ، عددنا مقالته مذهباً ، وجماعته فرقة ؛ وإن وجدنا واحداً انفراداً بمسألة فلا نجعل مقالته مذهباً وجماعته فرقة ؛ بل نجعله مندرجاً تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ، ورددنا باقي مقالاته إلى الفروع التي لا تعد مذهباً مفرداً ، فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية . فإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف ، تبينت أقسام الفرق الإسلامية ، وانحصرت كبارها في أربع ، بعد أن تداخل بعضها في بعض .

كبار الفرق الإسلامية : أربع : القدرية ، الصفائية ، الخوارج ، الشيعة .  
ثم يتركب بعضها مع بعض ، ويتشعب عن كل فرقة أصناف ، فتصل إلى ثلاث  
وسبعين فرقة .

ولأصحاب كتب المقالات طريقتان في الترتيب : أحدهما : أنهم وضعوا المسائل  
أصولا ، ثم أوردوا في كل مسألة مذهب طائفة طائفة ، وفرقة فرقة . والثاني :  
أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولا ، ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة .  
وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة ؛ لأنني وجدت لها أفضط للأقسام ،  
وأليق بباب الحساب .

وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم ،  
من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحیحه من فاسده ، وأعين  
حقه من باطله ، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية :  
لمحات الحق ، ونفحات الباطل ؛ وبالله التوفيق .

### المقدمة الثالثة

في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة ، ومن مصدرها في الأول  
ومن مظهرها في الآخر

اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة : شبهة « إبليس » لعنه الله ؛ ومصدرها :  
استبداده بالرأى في مقابلة النص ، واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره  
بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين .  
وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات ، وسارت في الخليفة ، وسرت في أذهان  
الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة . وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل  
الأربعة : إنجيل لوقا ، ومارقوس ، ويوحنا ، ومتى ؛ ومذكورة في التوراة متفرقة  
على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة ، بعد الأمر بالسجود ، والامتناع منه .

قال — كما نقل عنه — : إني سلت أن البارئ تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيبته ، وأنه مهما أراد شيئاً قال له : كن ؛ فيكون ، وهو حكيم ؛ إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة ، قالت الملائكة : ما هي ؟ وكم هي ؟ قال لعنه الله : سبع :

الأول منها : أنه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني ؛ فلم خلقني أولاً ؟ وما الحكمة في خلقه إياي ؟ !

والثاني : إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيبته ؛ فلم كلفني بمعرفته وطاعته ؟ وما الحكمة في هذا التكليف بعد أن لا ينفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية ؟ !

والثالث : إذ خلقني ، وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت ؛ فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له ؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي إياه ؟ !

والرابع : إذ خلقني ، وكلفني على الإطلاق ، وكلفني بهذا التكليف على الخصوص ؛ فإذا لم أسجد لآدم ؛ فلم لعنتي وأخرجني من الجنة ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لم ارتكب قبيحاً إلا قولي : لا أسجد إلا لك ؟ !

والخامس : إذ خلقني ، وكلفني مطلقاً ، وخصوصاً ، فلم أطع فلعنتي وطردني ؛ فلم طرقتني إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً وغررتني بوسوستي ، فأكل من الشجرة المنهى عنها ، وأخرجني من الجنة مغني ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم ، وبقي خالداً فيها ؟ !

والسادس : إذ خلقني ، وكلفني عموماً ، وخصوصاً ، ولعنتي ، ثم طرقتني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم ؛ فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني ، وتوثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حوالمهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا ظاهرين سامعين مطيعين... كان أحرى بهم ، وأليق بالحكمة ؟ !



والسابع : سلمت هذا كله : خلقتني ، وكلفني مطلقاً ومقيداً ، وإذا لم أطلع لعنتي وطردي ، وإذا أردت دخول الجنة مكنتني وطرفني ، وإذا عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم ؛ فلم إذ استمهلته أمرتني ، فقلت : « أنظرنني إلى يوم يبعثون » قال : « إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والمخلق مني وما بقي شر ما في العالم ؟ أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر ؟

قال : فهذه حجتى على ما ادعيتيه في كل مسألة .

قال شارح الإنجيل : فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام قولوا له : إنك في تسليمك الأول : أنى إلهك وإله الخلق ، غير صادق ولا مخلص : إذ لو صدقت : أنى إله العالمين ما احتكمت على « بلم » فأنا الله الذى لا إله إلا أنا : لا أسأل عما أفعل ، والمخلق مسئولون . وهذا الذى ذكرته مذكور في التوراة ومسطور في الإنجيل على الوجه الذى ذكرته .

وكننت برهنة من الزمان أتفكر وأقول : من المعلوم الذى لامرية فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم ؛ فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم ووساوسه ، ونشأت من شبهاته ، وإذا كانت الشبهات محصورة في سبع : عادت كبار البدع والضلالات إلى سبع ، ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر والضلال هذه الشبهات وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق ؛ فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبدور وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق ، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص .

هذا ! ومن جادل : نوحا ، وهودا ، وصالحا ، وإبراهيم ، ولوطا ، وشعيباً ، وموسى ، وعيسى ، ومحمداً - صلوات الله عليهم أجمعين - كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته ، وحاصلها يرجع إلى : دفع التكليف عن أنفسهم ، وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم : إذ لا فرق بين قولهم « أبشر يهودتنا » وبين

قوله : « أسجد لمن خلقت طينا » . وعن هذا صار مفصل الخلاف ، ومحرز الافتراق ما هو في قوله تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا » . فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى ؛ كما قال المتقدم في الأول : « ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم : « أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين » . وكذلك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم » : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » .

فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل ، لزمه أن يجرى حكم الخالق في الخلق ، أو حكم الخالق في الخالق ؛ والأول غلو ، والثاني تقصير .  
فثار من الشبهة الأولى مذاهب : الحلولية ، والتناسخية ، والمشبهة ، والغلاة من الروافض ؛ حيث غلوا في حق شخص من الأشخاص ، حتى وصفوه بأوصاف الإله . وثار من الشبهة الثانية مذاهب : القدرية ، والجبرية ، والمجسمة ؛ حيث قصرُوا في وصفه تعالى ، حتى وصفوه بصفات المخلوقين .

فالمعتزلة مشبهة الأفعال ، والمشبهة حلولية الصفات ، وكل واحد منهم أعور بأى عينيه شاء ؛ فإن من قال : إنما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق ؛ ومن قال : يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالى فقد اعتزل عن الحق . وسنخ القدرية (١) طلب العلة في كل شيء . وذاك من سنخ اللعين الأول ؛ إذ طلب العلة في الخلق أولاً ، والحكمة في التكليف ثانياً ، والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً . وعنه نشأ مذهب الخوارج ؛ إذ لا فرق بين قولهم : لا حكم إلا لله ولا نحكم الرجال ، وبين قوله : لا أسجد إلا لك ، « أسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون » .

(١) السنخ بكسر السين وسكون النون : الأصل والمنبع .

وبالجملة « كلا طرفي قصد الأمور ذمياً ، فالمعتزلة : غلوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات ، والمشبهة : قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام ، والروافض : غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول ، والخوارج : قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال .

وأنت ترى إذا نظرت أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول ، وتلك في الأول مصدرها ، وهذه في الآخر مظهرها . وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الأمة ، بأمة ضالة من الأمم السالفة ؛ فقال : « القدرية مجوس هذه الأمة » وقال : « المشبهة يهود هذه الأمة ، والروافض نصاراها » وقال عليه الصلاة والسلام جملة : « لتسلسكن سبل الأمم قبلكم حذوا القذة بالقذة<sup>(١)</sup> والتعل بالتعل ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

## المقدمة الرابعة

في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية ، وكيفية انشعابها ،

ومن مصدرها ، ومن مظهرها

وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان ؛ كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ، ودور كل صاحب ملة وشريعة : أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين ، وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان ، فإنه يخف في هذه الأمة : أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي

(١) القذة [ يضم القاف وتشديد الذال المفتوحة ] : ريش نسبه، جمعها قذذ يضم فتح .

زمن النبي عليه السلام ؛ إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى ، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى ، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدل فيه .

اعتبر حديث ذى الخويصرة التميمي ؛ إذ قال : « اعدل يا محمد ؛ فإنك لم تعدل ، حتى قال عليه السلام : « إن لم أعدل فمن يعدل » ؟ فعاود اللعين وقال : « هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى ، وذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ، ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجياً ؛ فن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجياً . أو ليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقييحه ، وحكماً بالهوى فى مقابلة النص ، واستكباراً على الأمر بقياس العقل ؟ ! حتى قال عليه السلام : « سيخرج من ضئضىء<sup>(١)</sup> هذا الرجل قوم يمرقون من الدين ؛ كما يمرق السهم من الرمية ... » الخبر بتمامه .

واعتبر حال طائفة أخرى من المنافقين يوم أحد ؛ إذ قالوا : « هل لنا من الأمر من شيء » ؟ وقولهم : « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ، وقولهم : « لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا » ؛ فهل ذلك إلا تصريح بالقدر ؟ . وقول طائفة من المشركين : « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء » ؛ وقول طائفة : « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » ؛ فهل ذلك إلا تصريح بالجبر ؟

واعتبر حال طائفة أخرى ؛ حيث جادلوا فى ذات الله ؛ تفكراً فى جلاله ، وتصرفاً فى أفعاله ، حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » . فهذا ما كان فى زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه ، والمنافقون يخادعون ؛ فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ؛ وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض فى كل وقت على حركاته وسكناته ، فصارت الاعتراضات كالبدور ، وظهرت منها الشبهات كالزروع .

( ١ ) الضئضىء : الأصل والمعدن ، أو كثرة النسل . والمراد : من صلب هذا الرجل وذريته .

وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه عليه السلام وبعد وفاته بين الصحابة  
رضي الله عنهم ؛ فهي اختلافات اجتهادية كما قيل ، كان غرضهم منها : إقامة مراسم  
الشرع ، وإدامة مناهج الدين .

فأول تنازع وقع في مرضه عليه السلام فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن  
إسماعيل البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : « لما اشتد  
بالنبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه ، قال : « إئتوني بدواة وقرطاس  
أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي » . فقال عمر : رضي الله عنه : « إن رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - قد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله ، وكثر اللفظ ؛  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قوموا عني ، لا ينبغي عندي التنازع » . قال  
ابن عباس : « الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، !

الخلاف الثاني : في مرضه ، أنه قال : « جهزوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف  
عنه » . فقال قوم : يجب علينا امثال أمره ؛ وأسامة قد برز من المدينة . وقال  
قوم : قد اشتد مرض النبي عليه السلام فلا تسع قلوبنا مفارقتة ، والحالة هذه ؛  
فنصبر حتى نصبر أي شيء يكون من أمره .

وإنما أوردت هذين التنازعين ؛ لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات  
المؤثرة في أمر الدين ، وليس كذلك ؛ وإنما كان الغرض كله : إقامة مراسم الشرع  
في حال تزلزل القلوب ، وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة (١) عند تقلب الأمور .

الخلاف الثالث : في موته عليه السلام ؛ قال عمر بن الخطاب : من قال :  
إن محمداً قد مات قتته بسيفي هذا ؛ وإنما رفع إلى السماء ، كما رفع عيسى عليه  
السلام . وقال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه : « من كان يعبد محمداً  
فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد إله محمد ؛ فإن إله محمد حتى لم يموت ولن يموت ،

(١) النائرة : الفتنة الحادثة ، والعداوة ، ونار الحرب ؛ وناثرتها : شرها وهيجها .

وقرأ قول الله سبحانه وتعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،  
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ،  
وسيجزي الله الشاكرين » . فرجع القوم إلى قوله ، وقال عمر رضى الله  
عنه : « كأنى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر » .

الخلاف الرابع : فى موضع دفنه عليه السلام : أراد أهل مكة من المهاجرين  
رده إلى مكة ؛ لأنها مسقط رأسه ، ومأنس نفسه ، وموطىء قدمه ، وموطن  
أهله ، وموقع رحله . وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة ؛ لأنها دار  
هجرته ، ومدار نصرته . وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس ؛ لأنه موضع دفن  
الأنبياء عليهم السلام ومنه معراجهم إلى السماء . ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة ؛  
لما روى عنه - عليه السلام - : « الأنبياء يدفنون حيث يموتون » .

الخلاف الخامس : فى الإمامة ؛ وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة ؛  
إذ ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان .  
وقد سهل الله تعالى ذلك فى الصدر الأول ؛ فاختلف المهاجرون والأنصار فيها ؛  
فقال الأَنْصار : « منا أمير ومنكم أمير » واتفقوا على رئيسهم « سعد بن عبادة  
الأنصارى » فاستدركه « أبو بكر » و« عمر » رضى الله عنهما فى الحال ؛ بأن حضرا  
سقيفة بنى ساعدة ، وقال عمر : « كنت أزور فى نفسى كلاما (١) فى الطريق ؛ فلما وصلنا  
إلى السقيفة أردت أن أتكلم ، فقال « أبو بكر » : مه يا « عمر » ! حمد الله وأثنى عليه ،  
وذكر ما كنت أقدره فى نفسى ؛ كأنه يخبر عن غيب ؛ فقبل أن يشتغل الأنصار  
بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس ، وسكنت الفتنة ؛ إلا ان بيعة أبي بكر  
كانت فلتة وقي الله المسلمين شرها ، فن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، فأيا رجل بايع رجلا

(١) أزور فى نفسى كلاما [ بضم الهمزة وفتح الزاى وكسر الواو المشددة ] : أهيه وأصلعه ،  
ومن معانى « التزوير » : إصلاح الشيء ، وكلام مزور : أى محسن .

من غير مشورة من المسلمين، فانهما تفرقة<sup>(١)</sup> يجب أن يقتلا ، . وإنما سكتت الأنصار عن دعواهم ؛ لرواية « أبي بكر » عن النبي عليه السلام : « الأئمة من قريش ، . وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة . ثم لما عاد إلى المسجد اتثال الناس عليه<sup>(٢)</sup> وبايعوه عن رغبة ، سوى جماعة من بني هاشم ، « وأبي سفيان ، من بني أمية . وأمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » رضى الله عنه كان مشغولاً بما أمره النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيزه ، ودفنه ، وملازمة قبره ؛ من غير منازعة ولا مدافعة .

الخلاف السادس : في أمر « فدك » والتوارث عن النبي عليه السلام ودعوى فاطمة عليها السلام ، وراثته تارة ، وتمليكا أخرى ... حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه السلام : « نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة » .  
الخلاف السابع : في قتال مانعي الزكاة ؛ فقال قوم : لانقاتلهم قتال الكفرة . وقال قوم : بل نقاتلهم ؛ حتى قال « أبو بكر » رضى الله عنه : « لو منعوني عقالا بما أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم عليه » ، ومضى بنفسه إلى قتلهم ، ووافقهم جماعة الصحابة بأسرهم . وقد أدى اجتهاد « عمر » رضى الله عنه في أيام خلافته إلى رد السبايا والأموال إليهم ، وإطلاق المحبوسين منهم والإفراج عن أسرائهم .

الخلاف الثامن : في تنصيب « أبي بكر » على « عمر » بالخلافة وقت الوفاة ؛ فمن الناس من قال : قد وليت علينا فظاً غليظاً . وارتفع الخلاف بقول أبي بكر : « لو سألتني ربي يوم القيامة ، لقلت : وليت عليهم خيرهم لهم » .  
وقد وقع في زمانه اختلافات كثيرة : في مسائل ميراث الجد والإخوة والكلالة ، وفي عقل الأصابع وديات الأسنان وحدود بعض الجرائم التي لم يرد

(١) لإنهما تفرقة [ بفتح التاء وكسر الفين وتشديد الراء المفتوحة ] : أى أنهما انفجرا وتظاهرا بشق العصا على المسلمين ، ونجرا باطراح الجماعة ؛ فهما انفجار ونجور يجب أن يقتلا .  
(٢) اتثال عليه الناس : اجتمعوا وانصبوا عليه من كل وجه وكثروا .

فها نص . وإنما أهم أمورهم: الاشتغال بقتال الروم ، وغزو العجم . وفتح الله تعالى الفتح على المسلمين ، وكثرت السبايا والغنائم ، وكانوا كلهم يصرون عن رأى « عمر ، رضى الله عنه ، وانتشرت الدعوة ، وظهرت الكلمة ، ودانت العرب ، ولانت العجم .

الخلاف التاسع : فى أمر الشورى واختلاف الآراء فيها ؛ واتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه ، وانتظم الأمر ، واستمرت الدعوة فى زمانه ، وكثرت الفتح ، وامتلا بيت المال ، وعاشر الخلق على أحسن خلق ، وعاملهم بأبسط يد ؛ غير أن أقاربه من بنى أمية قد ركبوا نهاب<sup>(١)</sup> فركبته ، وجاروا فجير عليه ، ووقعت فى زمانه اختلافات كثيرة ، وأخذوا عليه أحداثاً كلها محالة على بنى أمية : منها : رده « الحكم بن أمية » إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد أن تشفع إلى « أبى بكر ، و « عمر ، رضى الله عنهما أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك ، ونفاه « عمر » من مقامه باليمن أربعين فرسخاً . ومنها : نفيه « أبى ذر » إلى الربذة ، وتزويجه « مروان بن الحكم » بنته ؛ وتسليمه خمس غنائم إفريقية له وقد بلغت مائتى ألف دينار .

ومنها : إيواؤه « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » وكان رضيعه بعد أن أهدر النبي عليه السلام دمه ؛ وتوليته إياه مصر بأعمالها ، وتوليته « عبد الله بن عامر » البصرة ، حتى أحدث فيها ما أحدث ... إلى غير ذلك مما تقموا عليه . وكان أمراء جنوده : « معاوية بن أبى سفيان » عامل الشام ، و « سعد بن أبى وقاص » عامل الكوفة ؛ وبعده « الوليد بن عقبة » و « سعيد بن العاص » ، و « عبد الله بن عامر » عامل البصرة ، و « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » عامل مصر ؛ وكلهم خذلوه ورفضوه ؛ حتى أتى قدره عليه ، وقتل مظلوماً فى داره ، وثارَت الفتنة من الظلم الذى جرى عليه ، ولم تسكن بعد .

(١) النهاب [بكسر الباء]: المهالك ، والأمور المتبددة الشديدة الصعبة ، والحفر بين الآكام .



الخلاف العاشر : في زمان أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعد الاتفاق عليه ، وعقد البيعة له ؛ فأوله : خروج « طلحة » و « الزبير » إلى مكة ، ثم حمل « عائشة » إلى البصرة ، ثم نصب القتال معه... ويعرف ذلك بحرب الجمل . والحق أنهما رجعا وتابا ؛ إذ ذكرهما أمراً فتذكراه ؛ فأما الزبير فقتله « ابن جرموز » ، - بقوس - وقت الانصراف ؛ وهو في النار ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » ، وأما طلحة فرماه « مروان بن الحكم » بسهم وقت الإعراض فخر ميتا ، وأما عائشة رضى الله عنها فكانت محمولة على مافعلت ، ثم تابت بعد ذلك ورجعت . والخلاف بينه وبين « معاوية » ، وحرب صفين ، ومخالفة الخوارج ، وحمله على التحكيم ، ومغادرة « عمرو بن العاص » ، « أبا موسى الأشعري » ، وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته... مشهور . وكذلك الخلاف بينه وبين « الشراء » المارقين « بالنهروان » عقداً وقولا ، ونصب القتال معه فعلا ظاهرا... معروف . وبالجملة : كان على رضى الله عنه مع الحق والحق معه . وظهر في زمانه الخوارج عليه ؛ مثل : « الأشعث بن قيس » ، و « مسعود بن فديكى التميمي » ، و « زيد بن حصين الطائي » وغيرهم ، وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه ؛ مثل : « عبد الله بن سبأ » وجماعة معه . ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة .

وصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يهلك فيك اثنان : محب غال ، ومبغض قال » . وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين : أحدهما الاختلاف في الإمامة ؛ والثاني : الاختلاف في الأصول .

والاختلاف في الإمامة على وجهين : أحدهما : القول بأن الإمامة تثبتة بالاتفاق والاختيار ؛ والثاني : القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين . فمن قال : إن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار ، قال بإمامة كل من اتفقت عليه الأمة ، أو جماعة معتبرة من الأمة : إما مطلقا ، وإما بشرط أن يكون قرشياً ؛ على مذهب قوم ، وبشرط أن يكون هاشمياً ؛ على مذهب قوم . إلى شرائط أخرى كما سيأتى . ومن قال بالأول ؛ قال : بإمامة معاوية وأولاده ، وبعدهم بخلافة « مروان »

وأولاده . والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم ، بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم ، ويجرى على سنن العدل في معاملاتهم ؛ وإلا: خذلوه ، وخلصوه ، وربما قتلوه .

ومن قالوا : إن الإمامة تثبت بالنص ؛ اختلفوا بعد « علي ، رضي الله عنه ؛ فمنهم من قال : إنه نصّ على ابنه « محمد بن الحنفية » ، وهؤلاء هم الكيسانية ؛ ثم اختلفوا بعده ؛ فمنهم من قال : إنه لم يمت ، ويرجع فيملا الأرض عدلاً . ومنهم من قال : إنه مات ، وانتقلت الإمامة بعده إلى ابنه « أبي هاشم » . وافترق هؤلاء ؛ فمنهم من قال : الإمامة بقيت في عقبه ، وصية بعد وصية . ومنهم من قال : إنها انتقلت إلى غيره ، واختلفوا في ذلك الغير ؛ فمنهم من قال : هو « بنان بن سمعان النهدي » . ومنهم من قال : هو « علي بن عبد الله بن عباس » . ومنهم من قال : هو « عبد الله بن حرب الكندي » . ومنهم من قال : هو « عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب » ؛ وهؤلاء كلهم يقولون : « إن الدين طاعة رجل » ، ويتأولون أحكام الشرع كلها على شخص معين ، كما ستأتي مذاهبهم .

وأما من لم يقل بالنص على « محمد بن الحنفية » ؛ فقال بالنص على « الحسن » و « الحسين » رضي الله عنهما ، وقال : لا إمامة في الأخوين إلا الحسن والحسين رضي الله عنهما . ثم هؤلاء اختلفوا ؛ فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد « الحسن » ، فقال بعده بإمامة ابنه « الحسن » ، ثم ابنه « عبد الله » ، ثم ابنه « محمد » ، ثم أخيه « إبراهيم » — الإمامين — وقد خرجا في أيام المنصور فقتلا في أيامه . ومن هؤلاء من يقول برجعة « محمد الإمام » . ومنهم من أجرى الوصية في أولاد « الحسين » وقال بعده بإمامة ابنه « علي بن الحسين زين العابدين » نصاً عليه . ثم اختلفوا بعده ؛ فقالت « الزيدية » بإمامة ابنه « زيد » ، ومذهبهم أن كل فاطمي خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي : كان إماماً واجب الاتباع ، وجوزوا رجوع الإمامة إلى أولاد « الحسن » ؛ ثم منهم من وقف وقال بالرجعة ، ومنهم من ساق وقال بإمامة كل من هذا حاله في كل زمان ، وسيأتي فيما بعد تفصيل مذاهبهم . وأما « الإمامية »

فقالوا بإمامة « محمد بن علي الباقر » نصاً عليه ، ثم بإمامة « جعفر بن محمد الصادق » وصية إليه ، ثم اختلفوا بعده في أولاده : من المنصوص عليه ؟ ، وهم خمسة : « محمد » و « إسماعيل » ، و « عبدالله » ، و « موسى » ، و « علي » . فمنهم من قال بإمامة « محمد » وهم « العمارية » . ومنهم من قال بإمامة « إسماعيل » ، وأنكر موته في حياة أبيه وهم « المباركية » ؛ ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ، ومنهم من ساق الإمامة في أولاده نصاً بعد نص إلى يومنا هذا ؛ وهم الإسماعيلية . ومنهم من قال بإمامة « عبد الله الأفتح » ، وقال برجعته بعد موته لأنه مات ولم يعتمب . ومنهم من قال بإمامة « موسى » نصاً عليه ؛ إذ قال والده : « سابعكم قائمكم ، ألا وهو سمي » صاحب التوارة . ثم هؤلاء اختلفوا : فمنهم من اقتصر عليه ، وقال برجعته ؛ إذ قال لم يمت هو . ومنهم من توقف في موته ؛ وهم « الممطورة » . ومنهم من قطع بموته ، وساق الإمامة إلى ابنه « علي بن موسى الرضا » ؛ وهم « القطعية » . ثم هؤلاء اختلفوا في كل ولد بعده : « فالاثنا عشرية » ساقوا الإمامة من « علي الرضا » إلى ابنه « محمد » ثم إلى ابنه « علي » ، ثم إلى ابنه « الحسن » ، ثم إلى ابنه « محمد القائم المنتظر » الثاني عشر ، وقالوا : هو حي لم يمت ، ويرجع فيملاً الدنيا عدلاً ، كما نثت جوراً . وغيرهم ساقوا الإمامة إلى « الحسن العسكري » ، ثم قالوا بإمامة أخيه « جعفر » وقالوا بالتوقف عليه ، أو قالوا بالشك في حال « محمد » . ولهم خبط طويل في سوق الإمامة ، والتوقف ، والقول بالرجعة بعد الموت . والقول بالغيبة ، ثم بالرجعة بعد الغيبة . فهذه جملة الاختلافات في الإمامة ، وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب .

و أما الاختلافات في الأصول ؛ فحدث في آخر أيام الصحابة بدعة « معبد الجبني » و « غيلان الدمشقي » و « يونس الأسراري » في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر . ونسج على منوالهم « واصل بن عطاء الخزال » وكان تلميذ « الحسن البصري » ، وتلذذ له « عمرو بن عبيد » وزاد عليه في مسائل القدر . وكان « عمرو » من دعاة « يزيد الناقص » أيام بني أمية ، ثم والى « المنصور » وقال بإمامته . ومدحه « المنصور » يوماً فقال نثرت الحب للناس فلقطوا غير « عمرو بن عبيد » .

و «الوعيدية» من الخوارج ، و «المرجئة» من «الجبرية» ، و «القدرية» ابتدعوا بدعتهم في زمان «الحسن» ، واعتزل «واصل» عنهم وعن أستاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين ؛ فسمى هو وأصحابه : «معتزلة» . وقد تلمذ له «زيد بن علي» ، وأخذ الأصول منه ؛ فلذلك صارت «الزيدية» كلهم «معتزلة» . ومن رفض «زيد بن علي» لأنه خالف مذهب آبائه في الأصول ، وفي التبري والتولي ، وهم من أهل الكوفة ، وكانوا جماعة : سموا «رافضة» . ثم طالع بعد ذلك شيوخ «المعتزلة» كتب «الفلاسفة» حين نشرت أيام «المأمون» فخلطت منهاجها بمناهج الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم ، وسمتها باسم الكلام ؛ إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام ؛ فسمى النوع باسمها ، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق ؛ والمنطق والكلام مترادفان .

وكان «أبو الهذيل العلاف» شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة في أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ؛ وكذلك قادر بقدرته وقدرته ذاته . وأبدع بدعا في : الكلام ، والإرادة ، وأفعال العباد ، والقول بالقدر ، والآجال ، والأرزاق ؛ كما سيأتي في حكاية مذهبه . وجرت بينه وبين «هشام بن الحكم» مناظرات في أحكام التشبيه . و «أبو يعقوب الشحام» و «الآدمي» صاحب «أبي الهذيل» ؛ وافقاه في ذلك كله . ثم «إبراهيم بن سيار النظام» في أيام «المعتصم» كان غلا في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن «السلف» ببدع في القدر والرفض ، وعن أصحابه بمسائل تذكرها . ومن أصحابه : «محمد بن شبيب» و «أبو شمير» و «موسى بن عمران» و «الفضل الحذثي» و «أحمد بن خابط» ، ووافق «الأسواري» في جميع ما ذهب إليه من البدع ؛ وكذلك «الإسكافية» أصحاب «أبي جعفر الإسكافي» و «الجعفرية» أصحاب الجعفرين : «جعفر بن مبشر» و «جعفر بن حرب» . ثم ظهرت بدع «بشر ابن المعتز» : من القول بالتولد ، والإفراط فيه ، والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة والقول بأن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ؛ وإذا فعل ذلك فهو ظالم ... إلى غير ذلك مما تفرد به عن أصحابه . وتلمذ له «أبو موسى المردار» راهب المعتزلة ؛

وانفرد عنه بإبطال إعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة ، وفي أيامه جرت أكثر التشديدات على السلف ؛ لقولهم « بقدّم القرآن » . وتلذذ له الجعفران ، و « أبو زفر » ، و « محمد بن سويد » : صاحب « المردار » ، و « أبو جعفر » الإسكافي و « عيسى بن الهيثم » : صاحب « جعفر بن حرب الأشج » . ومن بالغ في القول بالقدر « هشام بن عمرو الفوطي » ، و « الأصم » من أصحابه ، وقدحا في إمامة « علي » رضي الله عنه بقولها : إن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم . و « الفوطي » و « الأصم » اتفقا على أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالماً بالأشياء قبل كونها ، ومنعما كون المعدوم شيئا . و « أبو الحسين الخياط » و « أحمد بن علي الشطوي » : صحبا « عيسى الصوفي » ، ثم لهما « أبا مجالد » . وتلذذ « الكعبي » « لأبي الحسين الخياط » ، ومذهبه بعينه مذهبه . وأما « معمر ابن عباد السنبي » و « ثمامة بن أشرس النخعي » و « أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ » ؛ فكانوا في زمان واحد متقاربين في الرأي والاعتقاد ، منفردين عن أصحابهم بمسائل ، في موضعها نذكرها . والمتأخرون منهم « أبو علي الجبائي » ، وابنه « أبو هاشم » ، و « القاضي عبد الجبار » ، و « أبو الحسين البصري » : قد اختلفوا طرق أصحابهم ، وانفردوا عنهم بمسائل ستأتي .

أما روني علم الكلام فابتدأه من الخلفاء العباسية : هارون ، والمأمون ، والمعتمد والنواثق والمتوكل ؛ وانتهأه من صاحب ابن عباد وجماعة من « الديلمة » . وظهرت جماعة من « المعتزلة » متوسطين ؛ مثل : « ضرار بن عمرو » ، و « حفص الفرد » ، و « الحسين النجار » ، ومن المتأخرين ؛ خالفوا الشيوخ في مسائل . ونبخ « جهم بن صفوان » في أيام « نصر بن سيار » وأظهر بدعته في « الجبر » ، و « بترمذ » ، و « سالم بن أحوز المازني » في آخر ملك « بني أمية » بمرو . وكانت بين « المعتزلة » وبين « السلف » في كل زمان اختلافات في الصفات ، وكان « السلف » يناظرونهم عليها ، لا على قانون كلامي بل على قول إقناعي ؛ ويسمون : « الصفاتية » فن مثبت صفات البارئ تعالى معاني قائمة بذاته ، ومن مشبه صفاته بصفات الخلق .

وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة ، وينظرون « المعزلة » في قدم العالم على قول ظاهر . وكان « عبد الله بن سعيد الكلابي » و « أبو العباس القلانسي » و « الحارث بن أسد المحاسبي » : أشبههم إتقاناً ، وأمتهم كلاماً . وجرت مناظرة بين « أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري » وبين أستاذه « أبي علي الجبائي » في بعض مسائل التحسين والتقبيح ؛ فالزم « الأشعري » أستاذه أموراً لم يخرج عنها بجواب ، فأعرض عنه ، وانحاز إلى طائفة « السلف » ، ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية ، فصار ذلك مذهباً منفرداً . وقرر طريقته جماعة من المحققين ؛ مثل : القاضي « أبي بكر الباقلاني » ، والأستاذ « أبي إسحاق الاسفرائيني » ، والأستاذ « أبي بكر بن فورك » ، وليس بينهم كثير اختلاف .

ونبغ رجل متمسك بالزهد (١) من « سجستان » يقال له : « أبو عبد الله محمد ابن كرام قليل العلم ، قد قش (٢) من كل مذهب ضغثاً (٣) وأثبته في كتابه ، وروجه على أغنام : (٤) غرجة ، وغور ، وسواد بلاد خراسان ؛ فانتظم ناموسه ، وصار ذلك مذهباً . وقد نصره « محمود بن سبكتكين » السلطان ، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم ؛ وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج ، وهم مجسمة وحاش ؛ غير « محمد بن الهيصم » فإنه مقارب .

## المقدمة الخامسة

في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب  
وفيه إشارة إلى مناهج الحساب

لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار ، وكان غرضي من تأليف

---

(١) محتمل يتقن تصنع الزهد . (٢) جمع وأخذ بقبضة يده دون تفتيش أو بحث .  
(٣) الضغث [بالكسر] : المجموعة المختلطة غير المنتقاة ، أو القبضة من أي شيء كما تكون .  
(٤) الأغنام جمع أغمم ، وهو من لا يفصح شيئاً أو من لا يفهم شيئاً ، والأغنام كالأغنام لفظاً ومعنى .

هذا الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار : اخترت طريق الاستيفاء ترتيباً ،  
وقدرت أغراضى على مناهجه تقسيماً وتبويها ، وأردت أن أبين كيفية طرق  
هذا العلم وكيفية أقسامه ؛ لئلا يظن بى أنى من حيث أنا فقيه ومتكلم ، أجنبي النظر  
فى مسالكه ومراسمه ، أعجمى القلم بمداركة ومعالجه ؛ فأثرت من طرق الحساب  
أحكامها وأحسنها ، وأقت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها ، وقدرتها  
على علم العدد ، وكان الواضع الأول منه استمداد المدد ؛ فأقول : مراتب الحساب  
تبتدىء من واحد ، وتنتهى إلى سبع ، ولا تجاوزها البتة .

المرتبة الأولى : صدر الحساب . وهو الموضوع الأول الذى يرد عليه التقسيم  
الأول . وهو فرد لا زوج له باعتبار ، وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار ؛ فمن  
حيث إنه فرد فهو لا يستدعى أخيراً تساويه فى الصورة والمدة ، ومن حيث هو جملة فهو  
قابل للتفصيل ؛ حتى ينقسم إلى قسمين . وصورة المدة يجب أن تكون من الطرف  
إلى الطرف ، ويكتب تحتها حشواً بجملات التفاصيل ، ومرسلات : التقدير ، والتقدير ،  
والنقل ، والتحويل ، وكليات وجوه المجموع ، وحكايات الإلحاق والموضوع ؛  
ويكتب تحتها بارزاً من الطرف الأيسر كميات مبالغ المجموع .

المرتبة الثانية منها : الأصل ، وشكلها محقق . وهو التقسيم الأول الذى ورد  
على المجموع الأول . وهو زوج ليس بفرد ؛ ويجب حصره فى قسمين لا يعدوان  
إلى ثالث . وصورة المدة يجب أن تكون أقصر من الصدر بقليل ؛ إذ الجزء  
أقل من الكل ؛ ويكتب تحتها حشواً ما يخصها : من التوجيه ، والتنويع ،  
والتفصيل . ولها أخت تساويها فى المدة وإن لم يجب أن تساويها فى المقدار .

المرتبة الثالثة من ذلك : الأصل ، وشكله محقق أيضاً . وهو التقسيم الثانى  
الذى ورد على الموضوع الأول والثانى . وذلك لا يجوز أن ينقص عن قسمين ،  
ولا يجوز أن يزيد على أربعة أقسام ؛ ومن جاوز من أهل الصنعة فقد أخطأ وما علم  
وضع الحساب ، وسند ذكر السبب فيه . وصورة مدته أقصر من مدة منها الأصل  
بقليل ، وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشواً وبارزاً .

المرتبة الرابعة منها : المطموس . وشكلها هكذا « ط » . وذلك يجوز أن يجاوز الأربعة . وأحسن الطرق أن يقصر على الأقل . ومدتها أقصر مما مضى .

المرتبة الخامسة من ذلك : الصغير . وشكله هكذا « ص » . وذلك يجوز إلى حيث ينتهى التقسيم والتبويب . والمدة أقصر مما مضى .  
المرتبة السادسة منها : المعوج . وشكله هكذا « و » . وذلك أيضاً يجوز إلى حيث ينتهى التفصيل .

المرتبة السابعة من ذلك : المعقد . وشكله هكذا « د » . ولكن يمد من الطرف إلى الطرف ، لا على أنه صدر الحساب ؛ بل من حيث أنه النهاية التي تشاكل البداية . فهذه كيفية صور الحساب نقشا ، وكمية أبوابها جملة . ولكل قسم من الأبواب أخت تقابله وزوج يساويه في المدة لا يجوز إغفال ذلك بحال ، والحساب تاريخ وتوجيه .  
والآن نذكر كمية هذه الصورة ، وانحصار الأقسام في سبع ، ولم صار الصدر الأول فرداً لا زوج له في الصورة ؟ . ولم انحصر منها الأصل في قسمين لا يعدوان إلى ثالث ؟ . ولم انحصر من ذلك الأصل في أربعة أقسام ؟ . ولم خرجت الأقسام الأخر عن الحصر ؟ ؟ .

فأقول : إن العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب ، اختلفوا في الواحد : أهو من العدد ، أم هو مبدأ العدد وليس داخلاً في العدد ؟ وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد : فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد ؛ فإن الاثنين لا معنى لها إلا واحد مكرر أول تكرير ؛ وكذلك الثلاثة ، والأربعة . ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد ؛ أي هو علته ولا يدخل في العدد ، أي لا يتركب منه العدد . وقد تلازم الواحديّة جميع الأعداد ، لا على أن العدد تركيب منها ؛ بل كل موجود فهو في جنسه أو نوعه أو شخصه . واحد ؛ يقال : إنسان واحد ، وشخص واحد ، وفي العدد كذلك ؛ فإن الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة . فالواحدية بالمعنى الأول داخلة في العدد ، وبالمعنى الثاني علة للعدد ، وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد ؛ وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على الباري



تعالى معناه ؛ فهو واحد لا كالأحاد ؛ أى هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ،  
ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة . وأكثر أصحاب العدد  
على أن الواحد لا يدخل في العدد ؛ فالعدد مصدره الأول اثنان ، وهو ينقسم  
إلى زوج وفرد ، فالفرد الأول ثلاثة ، والزوج الأول أربعة ، وما وراء الأربعة  
فهو مكرر ؛ كالخمسة : فإنها مركبة من عدد وفرد ، وتسمى العدد الدائر ؛ والستة  
مركبة من فردين ، وتسمى العدد التام ؛ والسبعة مركبة من فرد وزوج ، وتسمى  
العدد الكامل ؛ والثمانية مركبة من زوجين ، وهى بداية أخرى . . . وليس ذلك  
من غرضنا . فصدر الحساب ، فى مقابلة الواحد الذى هو علة العدد ، وليس  
يدخل فيه ، ولذلك هو فرد لا أخت له . ولما كان العدد مصدره من اثنين ،  
صار منها المحقق محصورا فى قسمين ، ولما كان العدد منقسما إلى فرد وزوج ،  
صار من ذلك الأصل محصورا فى أربعة ؛ فإن الفرد الأول ثلاثة ، والزوج الأول  
أربعة ، وهى النهاية ، وما عداها مركب منها . فكان البسائط العامة الكلية  
فى العدد : واحد ، واثنان ، وثلاثة ، وأربعة وهى الكمال . وما زاد عليها فمركبات  
كلها ، ولا حصر لها ؛ فلذلك لا تنحصر الأبواب الأخرى فى عدد معلوم ؛ بل تتناهى  
بما ينتهى به الحساب . ثم تركيب العدد على المعدود ، وتقدير البسيط على المركب ؛  
فمن علم آخر . وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة .

\*\*\*

فإذا نجزت المقدمات على أوفى تقرير وأحسن تحرير ، شرعنا فى ذكر  
مقالات أهل العالم ، من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، لعله لا يشذ  
من أقسامها مذهب .

ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرا ؛ حتى يعرف لم وضع ذلك  
اللفظ لذلك الباب ، ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم أصنافها مذهبها  
واعقادها ، وتحت كل صنف ما خصه ، وانفرد به عن أصحابه .

ونستوفى أقسام الفرق الإسلامية ثلاثا وسبعين فرقة ، ونقتصر فى أقسام الفرق

الخارجة عن الملة الخنيفية على ما هو أشهر وأعرف أصلاً وقاعدة ؛ فنقدم ما هو أولى بالتقديم ، وتؤخر ما هو أجدر بالتأخير .  
وشرط الصناعة الحسائية أن يكتب بإزاء المحدود من الخطوط ما يكتب حشوا ؛ وشرط الصناعة الكتابية أن تترك الحواشي على الرسم المعهود عفواً ؛ فراغت شرط الصناعتين ، ومددت الأبواب على شرط الحساب ، وتركت الحواشي على رسم الكتاب . وبالله أستعين ، وعليه أتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

## مذاهب أهل العالم

من أرباب الديانات والملل ، وأهل الأهواء والنحل

من : الفرق الإسلامية ، وغيرهم ؛ بمن له كتاب منزل محقق ؛ مثل : اليهود ، والنصارى . ومن له شبهة كتاب ؛ مثل : الجوس ، والمانوية . ومن له حنود وأحكام دون كتاب ؛ مثل : الصابئة الأولى . ومن ليس له كتاب ولا حدود ولا أحكام شرعية ؛ مثل : الفلاسفة الأولى ، والدهرية ، وعبدة الكواكب والأوثان ، والبراهمة . نذكر أربابها وأصحابها ، وننقل ما أخذها ومصادرهما ، عن كتب طائفة طائفة ، على موجب اصطلاحاتها ؛ بعد الوقوف على مناهجها ، والفحص الشديد عن مبادئها وعواقبها .

ثم إن التقسيم الصحيح ، الدائر بين النفي والإثبات ، هو قولنا : إن أهل العالم انقسموا من حيث المذاهب إلى : أهل الديانات ، وإلى أهل الأهواء . فإن الإنسان إذا اعتقد عقداً ، أو قال قولاً ، فإما أن يكون فيه : مستفيداً من غيره ، أو مستبداً برأيه . فالمستفيد من غيره : مسلم مطيع ، والدين : هو الطاعة ، والمسلم : المطيع ؛ فهو المتدين . والمستبد برأيه : محدث مبتدع . وفي الخبر عن النبي عليه السلام : « ما شقي امرؤ عن مشورة ، ولا سعد باستبداد برأى » . وربما يكون المستفيد من غيره مقلداً ؛ قد وجد مذهبا اتفاقيا ؛

بأن كان أبواه أو معلمه على اعتقاد باطل ، فيقلده منه ، دون أن يتفكر في حقه وباطله ، وصواب القول فيه وخطئه ؛ حينئذ لا يكون مستفيداً ؛ لأنه ما حصل على فائدة وعلم ، ولا اتبع الأستاذ على بصيرة ويقين : « وإلا من شهد بالحق ؛ وهم يعلمون ، شرط عظيم ؛ فليعتبر . وربما يكون المستبد برأيه مستنبطاً مما استفاده على شرط أن يعلم موضع الاستنباط وكيفيته ، حينئذ لا يكون مستبداً حقيقة ؛ لأنه حصل العلم بقوة تلك الفائدة : « لعله الذين يستنبطونه منهم ، ركن عظيم ؛ فلا تغفل . فالمستبدون بالرأى مطلقاً : هم المنكرون للنبوت ؛ مثل : الفلاسفة ، والصابئة ، والبراهمة . وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية ؛ بل يضعون حدوداً عقلية ، حتى يمكنهم التعايش عليها . والمستفيدون هم القائلون بالنبوت . ومن قال بالأحكام الشرعية ، فقد قال بالحدود العقلية ، ولا ينعكس .



## القِسْمُ الأوَّلُ

### أرباب الديانات والملل

من المسلمين ، وأهل الكتاب ، ومن له شبهة كتاب

نتكلم ههنا في معنى : « الدين » و « الملة » و « الشريعة » و « المنهاج » ، و « الإسلام » و « الحنيفية » و « السنة » و « الجماعة » ؛ فإنها عبارات وردت في التنزيل ، ولكل واحدة منها معنى يخصها ، وحقيقة توافقها لغة واصطلاحاً . وقد بينا معنى « الدين » : أنه الطاعة والالتقياد ؛ وقد قال الله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقد يرد بمعنى « الجزاء » ؛ يقال : « كما تدين تدان » ، أى كما تفعل تجازى ، وقد يرد بمعنى « الحساب » ، يوم المعاد والتناد قال تعالى : « ذلك الدين القيم » ؛ فالمتدين : هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد ؛ قال الله تعالى : « ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ولما كان نوع الإنسان محتاجاً إلى اجتماع مع آخر من بنى جنسه ، فى إقامة معاشه ، والاستعداد لمعاده ؛ وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمازج والتعاون ، حتى يحفظ بالتمازج ما هو له ، ويحصل بالتعاون ما ليس له ؛ فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هى : « الملة » . والطريق الخاص الذى يوصل إلى هذه الهيئة هو : « المنهاج » و « الشريعة » و « السنة » . والاتفاق على تلك السنة هى : « الجماعة » ؛ قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

ولن يتصور وضع « الملة » ، وشرع « الشريعة » إلا بوضع شارع ، يكون مخصوصاً من عند الله بآيات تدل على صدقه ؛ وربما تكون الآية مضمنة فى نفس الدعوى ، وقد تكون ملازمة ، وربما تكون متأخرة . ثم اعلم : أن « الملة » الكبرى هى ملة « إبراهيم » الخليل عليه السلام وهى « الحنيفية » التى تقابل « الصبوة » تقابل التضاد . وسنذكر كيفية ذلك

إن شاء الله تعالى ؛ قال الله تعالى : « ملة أبيكم إبراهيم » .

والشريعة ابتدأت من « نوح » عليه السلام ؛ قال الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » . والحدود والأحكام ابتدأت من : « آدم » ، و « شيث » ، و « إدريس » عليهم السلام . وختمت الشرائع والملل ، والمناهج والسنن - بأكملها وأتمها حسنا وجمالا : « بمحمد » عليه السلام ؛ قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

وقد قيل : خص « آدم » بالأسماء ؛ وخص « نوح » بمعاني تلك الأسماء ؛ وخص « إبراهيم » بالجمع بينهما . ثم خص « موسى » بالتنزيل ؛ وخص « عيسى » بالتأويل ؛ وخص « المصطفى » - صلوات الله عليهم أجمعين - بالجمع بينهما : « على ملة أبيكم إبراهيم » .

ثم كيفية التقرير الأول ، والتكامل بالتقرير الثاني ؛ بحيث يكون مصدقا كل واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية ، والسنن السالفة ، تقديراً للأمر على الخلق وتوفيقاً للدين على الفطرة - فمن خاصية النبوة : لا يشاركهم فيها غيرهم . وقد قيل : إن الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقته على دينه ، وبدينه على خلقه .

## الجزء الأول : المسلمون

١  
قد ذكرنا معنى الإسلام . ونفرد ما هنا بينه وبين « الإيمان » ،  
و « الإحسان » ، ونبين : ما المبدأ ، وما الوسط ، وما الكمال - بالخبر  
المعروف في دعوة جبريل عليه السلام ؛ حيث جاء على صورة أعرابي ، وجلس  
حتى ألصق ركبته بركبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « يا رسول الله !  
ما الإسلام » ؟ فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وأن تقيم  
الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت ؛ إن استطعت إليه  
سيلاً » قال : « صدقت » . ثم قال : « ما الإيمان » ؟ قال عليه السلام : « أن تؤمن  
بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » ،  
قال : « صدقت » . ثم قال : « ما الإحسان » ؟ قال عليه السلام : « أن تعبد الله  
كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، قال : « صدقت » . ثم قال :  
« متى الساعة » ؟ قال عليه السلام : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . ثم قام  
وخرج ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم » .  
ففرق في التفسير بين الإسلام والإيمان . والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام  
ظاهراً ؛ ويشترك فيه المؤمن والمنافق . قال الله تعالى : « قالت الأعراب آمنا :  
قل : لم تؤمنوا ؛ ولكن قولوا أسلنا » ؛ ففرق التنزيل بينهما .

فإذا كان الإسلام بمعنى التسليم والانقياد ظاهراً ، موضع الاشتراك ؛ فهو  
المبدأ . ثم إذا كان الإخلاص معه ؛ بأن يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسوله  
واليوم الآخر ، ويقر عقداً بأن القدر خيره وشره من الله تعالى ؛ بمعنى أن ما أصابه  
لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ كان مؤمناً حقاً . ثم إذا جمع  
بين الإسلام والتصديق ، وقرن المجاهدة بالمشاهدة ، وصار غيبه شهادة ؛ فهو الكمال .  
فكان الإسلام : مبدأ ، والإيمان : وسطاً ، والإحسان : كمالاً . وعلى هذا شمل  
لفظ المسلمين : الناجي ، والهالك .

وقد يرد الإسلام وقرينه الإحسان ؛ قال الله تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ، ؛ وعليه يحمل قوله تعالى : « ورضيت لكم الإسلام ديناً ، ، وقوله : « إن الدين عند الله الإسلام ، ، وقوله : « إذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين ، ، وقوله : « فلا تموتن إلا وأنت مسلمون ، ؛ وعلى هذا خص الإسلام بالفرقة الناجية . والله أعلم .

ب ب أهل الأصول المختلفون في : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والسمع والعقل .

نتكلم هنا في معنى « الأصول » و « الفروع » وسائر الكلمات . قال بعض المتكلمين : « الأصول » : معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ، ومعرفة الرسل بآياتهم وبياناتهم . وبالجملة : كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول . ومن المعلوم أن « الدين » إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة ، والمعرفة أصل والطاعة فرع ؛ فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً ، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً . فالأصول : هو موضوع علم الكلام ، والفروع : هو موضوع علم الفقه . وقال بعض العقلاء : كل ما هو معقول ، ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال ؛ فهو من « الأصول » . وكل ما هو مضمون ، ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد ؛ فهو من « الفروع » .

وأما « التوحيد » ؛ فقد قال « أهل السنة » وجميع « الصفاتية » : إن الله تعالى واحد في ذاته : لا قسم له ، وواحد في صفاته الأزلية : لا نظير له ، وواحد في أفعاله : لا شريك له . وقال أهل « العدل » : إن الله تعالى واحد في ذاته : لا قسمة ولا صفة له ، وواحد في أفعاله : لا شريك له ؛ فلا قديم غير ذاته : ولا قسم له في أفعاله ؛ ومحال وجود قديمين ، ومقدور بين قادرين ؛ وذلك هو التوحيد .

و [أما] العدل ؛ [فإن] على مذهب « أهل السنة » : أن الله تعالى « عدل » في أفعاله بمعنى أنه متصرف في ملكه وملكه : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ؛ فالعدل :

وضع الشيء موضعه ؛ وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم ، والظلم بضده ؛ فلا يتصور منه جور في الحكم ، وظلم في التصرف . وعلى مذهب « أهل الاعتزال » : « العدل » : ما يقتضيه العقل من الحكمة ؛ وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة .

وأما « الوعد » و « الوعيد » ؛ فقد قال « أهل السنة » : « الوعد والوعيد » كلامه الأزل ؛ وعد على ما أمر ، وأوعد على ما نهى ؛ فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعد ، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده ؛ فلا يجب عليه شيء من قضية العقل . وقال « أهل العدل » : لا كلام في الأزل ؛ وإنما أمر ونهى ووعد وأوعد بكلام محدث ؛ فمن نجا فبفعله استحق الثواب ، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب ؛ والعقل من حيث الحكمة يقتضى ذلك .

وأما « السمع والعقل » ؛ فقد قال « أهل السنة » : الواجبات كلها بالسمع ، والمعارف كلها بالعقل . فالعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا يقتضى ولا يوجب ؛ والسمع لا يعرف ؛ أى لا يوجد المعرفة ؛ بل يوجب . وقال « أهل العدل » : المعارف كلها معقولة بالعقل ، واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح : صفتان ذاتيتان للحسن والقبح .

فهذه القواعد هي المسائل التي تكلم فيها أهل الأصول . وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلاً ، إن شاء الله تعالى . ولكل علم موضوع ومسائل تذكرهما بأقصى الإمكان ، إن شاء الله تعالى .

« المعتزلة » ، وغيرهم : من « الجبرية » و « الصفاتية » والمختلطة منهم .

الفريقان من : المعتزلة والصفاتية : متقابلان تقابل التضاد ، وكذلك :

القدرية والجبرية ؛ والمرجئة والوعيدية ؛ والشيعية والخوارج . وهذا التضاد بين كل فريق وفريق كان حاصلًا في كل زمان ؛ ولكل فرقة : مقالة على حياها ، وكتب صنفوها ، ودولة عاوتهم ، وصولة طاوتهم .

ج



## الباب الأول : المعتزلة

١ - ويسمون : أصحاب « العدل » و « التوحيد » ، ويلقبون « بالقدرية » و « العدلية » . وهم قد جعلوا لفظ « القدرية » مشتركا ، وقالوا : لفظ « القدرية » يطلق على من يقول « بالقدر » خيره وشره من الله تعالى ؛ احترازا من وصمة اللقب ؛ إذ كان الذم به متفقا عليه ؛ لقول النبي عليه السلام : « القدرية مجوس هذه الأمة » . وكانت « الصفاتية » تعارضهم : بالاتفاق على أن « الجبرية » و « القدرية » متقابلتان تضادا ؛ فكيف يطلق لفظ الضد على الضد ؟ وقد قال النبي عليه السلام : « القدرية : خصماء الله في القدر » ، والخصومة في القدر ، وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل ، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم ، والحكم المحكوم . والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد :

القول بأن الله تعالى قديم ، و « القدم » أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا ؛ فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ؛ لا يعلم وقدرة وحياته : هي صفات قديمة ، ومعان قائمة به ؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف ؛ لشاركته في الإلهية . واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل ، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه ؛ فإن ما وجد في المحل عرض قد فنى في الحال . واتفقوا على أن الإرادة ، والسمع ، والبصر : ليست معاني قائمة بذاته ؛ لكن اختلفوا في وجوه وجودها ، ومحامل معانيها ؛ كما سيأتي . واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ، ونفي التشبيه عنه من كل وجه : جهة ، ومكانا ، وصورة ، وجسما ، وتميزا ، وانتقالا ، وزوالا ، وتغيرا ، وتأثرا ؛ وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها . . . وسموا هذا النمط : « توحيدا » .

واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرها ، مستحق على ما يفعله

ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة . والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم ،  
وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً .  
واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة  
رعاية مصالح العباد . وأما « الأصلح » و « اللطف » ففي وجوبه خلاف عندهم ...  
وسموا هذا النمط : « عدلاً » .

واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة : استحق الثواب  
والعوض ؛ والتفضل معنى آخر وراء الثواب . وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة  
ارتكبها : استحق الخلود في النار؛ لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار...  
وسموا هذا النمط : « وعداً ووعيداً » .

واتفقوا على أن أصول المعرفة ، وشكر النعمة : واجبة قبل ورود السمع ،  
والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل ، واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب  
كذلك . وورود التكليف أُلطف للبارئ تعالى ، أرسلها إلى العباد بتوسط  
الأنبياء عليهم السلام : امتحاناً ، واختياراً ؛ « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى  
من حيّ عن بينة » . واختلفوا في الإمامة ، والقول فيها : نصاً ، واختياراً ؛  
كما سيأتي عند مقالة كل طائفة .

والآن نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التي تميزت بها عن أصحابها .

## ١ - الواصِلِيَّة

أصحاب أبي حذيفة « واصل بن عطاء الغزّال » الأثخ ، كان تلميذاً « للحسن  
البصرى » يقرأ عليه العلوم والأخبار ، وكانا في أيام « عبد الملك بن مروان »  
و « هشام بن عبد الملك » . وبالمغرب الآن منهم شردمة قليلة في بلد « إدريس بن  
عبد الله الحسني » الذي خرج « بالمغرب » في أيام « أبي جعفر المنصور » .  
ويقال لهم : « الواصلية » . واعتزالهم يدور على أربع قواعد :

القاعدة الأولى : القول بنفي صفات البارئ تعالى ؛ من العلم ، والقدرة ، والإرادة ، والحياة . وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة ، وكان « واصل بن عطاء » يشرع فيها على قول ظاهر ، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين قال : « ومن أثبت معنى وصفة قديمة ، فقد أثبت إلهين » . وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة ، وانهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه : عالماً ، قادراً ، ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما : « اعتباران » للذات القديمة ؛ كما قال « الجبائي » ، أو « حالان » ؛ كما قال « أبو هاشم » . وميل « أبي الحسين البصرى » إلى ردهما إلى صفة واحدة ؛ وهى : العالمية ، وذلك عين مذهب الفلاسفة ؛ وسند ذكر تفصيل ذلك . وكان « السلف » يخالفهم في ذلك ؛ إذ وجدوا الصفات المذكورة في الكتاب والسنة .

القاعدة الثانية : القول بالقدر ؛ وإنما سلكوا في ذلك مسلك « معبد الجهني » و « غيلان الدمشقي » . وقرر « واصل بن عطاء » هذه القاعدة أكثر مما كان يقرر قاعدة « الصفات » ؛ فقال إن البارئ تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ، ويحتم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه ؛ فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ؛ والرب تعالى أقدره على ذلك كله . وأفعال العباد محصورة في : الحركات ، والسكنات ، والاعتمادات ، والنظر ، والعلم ؛ قال : ويستحيل أن يخاطب العبد « بافعل » وهو لا يمكنه أن يفعل ، ولا هو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ؛ ومن أنكره فقد أنكر الضرورة ، واستدل بآيات على هذه الكلمات . ورأيت رسالة نسبت إلى « الحسن البصرى » كتبها إلى « عبد الملك بن مروان » وقد سأله عن القول بالقدر والجبر ، فأجابه فيها بما يوافق مذهب « القدرية » ؛ واستدل فيها بآيات من الكتاب ، ودلائل من العقل ؛ ولعلها « لو اصل ابن عطاء » ؛ فما كان « الحسن » ممن يخالف « السلف » في أن القدر خير شره من الله تعالى ؛ فإن هذه الكلمات كالجمع عليها عندهم . والعجب ! أنه حمل هذا اللفظ

الوارد في « الخبر » على : البلاء والعافية ، والشدة والرخاء ، والمرض والشفاء ،  
والموت والحياة . . . إلى غير ذلك من أفعال الله تعالى ؛ دون : الخير والشر ،  
والحسن والقبيح ، الصادرين من اكتساب العباد . وكذلك أوردته جماعة  
من المعتزلة في المقالات عن أصحابهم .

القاعدة الثالثة : القول بالمنزلة بين المنزلتين ؛ والسبب فيه أنه دخل واحد  
على « الحسن البصرى » فقال : يا إمام الدين ! لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون  
أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ؛ وهم « وعيدية الخوارج » ،  
وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل  
على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع  
مع الكفر طاعة ؛ وهم « مرجئة الأمة » ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ .  
فتفكر « الحسن » في ذلك ، وقبل أن يجيب قال « واصل بن عطاء » : أنا لا أقول :  
إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ، ولا كافر مطلقاً ؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين :  
لا مؤمن ، ولا كافر ؛ ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر  
ما أجاب به على جماعة من أصحاب « الحسن » ؛ فقال « الحسن » : اعتزل عنا  
« واصل » ؛ فسمى هو وأصحابه : « معتزلة » . ووجه تقريره أنه قال : إن الإيمان  
عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً ؛ وهو اسم مدح ، والفاسق  
لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح ؛ فلا يسمى مؤمناً ، وليس  
هو بكافر مطلقاً أيضاً ؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، لا وجه  
لإنكارها ، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة ؛ فهو من أهل النار  
خالداً فيها ؛ إذ ليس في الآخرة إلا فريقان : « فريق في الجنة ، وفريق في السعير »  
لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . وتابعه على ذلك  
« عمرو بن عبيد » بعد أن كان موافقاً له في القدر وإنكار الصفات .

القاعدة الرابعة : قوله في الفريقين من أصحاب « الجمل » ، وأصحاب « صفين » :  
إن أحدهما مخطيء لا بعينه ، وكذلك قوله في « عثمان » ، وقائليه ، وخاذليه ؛

قال : إن أحد الفريقين فاسق لا محالة ، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة ، لكن لا بعينه ، وقد عرفت قوله في الفاسق ، وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما ، كما لا تقبل شهادة المتلاعنين ؛ فلم يجوز قبول شهادة « علي » و « طلحة » و « الزبير » على باقة بقل ، وجوز أن يكون « عثمان » و « علي » على الخطأ . هذا قوله ! وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة ، وأئمة العترة . ووافقه « عمرو بن عبيد » على مذهبه ، وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لا بعينه ، بأن قال : لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل « علي » ورجل من عسكره ، أو « طلحة » و « الزبير » : لم تقبل شهادتهما ؛ وفيه تفسيق الفريقين ، وكونهما من أهل النار . وكان « عمرو بن عبيد » من رواة الحديث ، معروفاً بالزهد . و « واصل » مشهوراً بالفضل والأدب عندهم .



## ٢ - الهذيلية البصرية

أصحاب « أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف » : شيخ المعتزلة ، ومقدم الطائفة ، ومقرر الطريقة ، والمناظر عليها ؛ أخذ الاعتزال عن « عثمان بن خالد الطويل » عن « واصل بن عطاء » . ويقال : أخذ « واصل » عن « أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية » ، ويقال : أخذه عن « الحسن بن أبي الحسن البصري » . وإنما انفرد عن أصحابه بعشر قواعد :

الأولى : أن الباري تعالى عالم بعلم ؛ وعلمه ذاته ، قادر بقدرته ؛ وقدرته ذاته ، حي بحياة ؛ وحياته ذاته . وإنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا : أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته ؛ بل هي ذاته ، وترجع إلى السلوب أو اللوازم كما سيأتي . والفرق بين قول القائل : عالم بذاته لا بعلم ، وبين قول القائل : عالم بعلم هو ذاته ؛ أن الأول نفي الصفة ، والثاني إثبات ذات هو بعينه صفة ، أو إثبات صفة

هي بعينها ذات . وإذا أثبت « أبو الهذيل » هذه الصفات وجوهاً للذات ؛ فهي بعينها « أقانيم » ، النصارى ، أو « أحوال » ، أبي هاشم .  
الثانية : أنه أثبت إرادات لا محل لها ؛ يكون البارئ تعالى مريداً بها . وهو أول من أحدث هذه المقالة ، وتابعه عليها المتأخرون .

الثالثة : قال في كلام البارئ تعالى : إن بعضه لا في محل وهو قوله « كن » ، وبعضه في محل كالأمر ، والنهي ، والخبر ، والاستخبار . وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف .

الرابعة : قوله في « القدر » مثل ما قاله أصحابه ؛ إلا أنه قدرى الأولى جبرى الآخرة ؛ فإن مذهبه في حركات أهل الخلد في الآخرة : أنها كلها ضرورية ، لا قدرة للعباد عليها ، وكلها مخلوقة للبارئ تعالى ؛ إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها .

الخامسة : قوله إن حركات أهل الخلد تنقطع ، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم نحو دأ ، وتجتمع للذات في ذلك السكون لأهل الجنة ، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار . وهذا قريب من مذهب « جهنم » ؛ إذ حكم بفناء الجنة والنار . وإنما التزم « أبو الهذيل » هذا المذهب ؛ لأنه لما أُلزم في مسألة حدوث العالم : أن الحوادث التي لا أول لها كالحوادث التي لا آخر لها ؛ إذ كل واحدة لا تتناهى ؛ قال : إني لا أقول بحركات لا تتناهى آخرأ ؛ كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً ؛ بل يصيرون إلى سكون دائم ، وكأنه ظن أن ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون .

السادسة : قوله في « الاستطاعة » : إنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة ، وفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح ؛ فقال لا يصح وجود أفعال القلوب منه مع عدم القدرة ، « فالاستطاعة » معها في حال الفعل ، وجوز ذلك في أفعال الجوارح ، وقال بتقدمها ؛ فيفعل بها في الحال الأولى ، وإن لم يوجد الفعل إلا في الحال الثانية ؛ قال : « فحال يفعل » غير « حال فعل » .

ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله ، غير اللون والطعم والرائحة وكل ما لا يعرف كيفيته . وقال في الإدراك والعلم الحادئين في غيره عند إسماعه وتعليمه : إن الله تعالى يبدعها فيه ، وليس من أفعال العباد .

السابعة : قوله في « المكلف » قبل ورود السمع : إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر ، وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبدأ ، ويعلم أيضاً حسن الحسن وقبح القبيح ؛ فيجب عليه الإقدام على « الحسن » كالصدق والعدل ، والإعراض عن القبيح كالكذب والجور . وقال أيضاً بطاعات لا يراد بها الله تعالى ولا يقصد بها التقرب إليه ؛ كالقصد إلى النظر الأول ، والنظر الأول ؛ فإنه لم يعرف الله بعد ، والفعل عبادة وقال في « المكروه » : إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه فله أن يكذب ، ويكون وزره موضوعاً عنه .

الثامنة : قوله في « الآجال » و « الأرزاق » : إن الرجل إن لم يقتل مات في ذلك الوقت ، ولا يجوز أن يزداد في العمر أو ينقص . و « الأرزاق » على وجهين : أحدهما : ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها يجوز أن يقال : خلقها رزقاً للعباد ، فعلى هذا من قال : إن أحداً أكل أو انتفع بما لم يخلقه الله رزقاً فقد أخطأ لما فيه : أن في الأجسام ما لم يخلقه الله تعالى . والثاني : ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد فما أحل منها فهو رزقه ، وما حرم فليس رزقاً ، أي ليس مأموراً بتناوله .

التاسعة : حكى « الكعبى » عنه أنه قال : إرادة الله غير المراد ؛ إرادته لما خلق : هي خلقه له ، وخلق له للشئ عنده غير الشئ ؛ بل « الخلق » عنده قول لافى محل . وقال : إنه تعالى لم يزل سمياً بصيراً بمعنى سيسمع وسيبصر ، وكذلك لم يزل : غفوراً ، رحماً ، محسناً ، خالفاً ، رازقاً ، مثيباً ، معاقباً ، موالياً ، معادياً ، آمراً ، ناهياً ؛ بمعنى أن ذلك سيكون منه .

العاشرة : حكى « الكعبى » عنه أنه قال : « الحجّة » لا تقوم فيما غاب إلا بخبر

عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله : معصومون ، لا يكذبون ، ولا يرتكبون الكبائر ؛ فيهم الحجّة لاد التواتر ، ؛ إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً ، إذالم يكونوا أولياء الله ، ولم يكن فيهم واحد معصوم .

وصحّب « أبا الهذيل » : « أبو يعقوب الشحام » ، و « الآدمي » ؛ وهما على مقاله . وكان سنه مائة سنة ، توفي في أول خلافة « المتوكل » ، سنة خمس وثلاثين ومائتين .

### ٣ - النِّظَامِيَّة

أصحاب « إبراهيم بن سيار بن هانيء النظام » ؛ قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة ، وخطب كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل : الأولى منها : أنه زاد على القول « بالقدر » خيره وشره منا قوله : إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، وليست هي مقدورة للباري تعالى ، خلافاً لأصحابه ؛ فإنهم قضوا بأنه قادر عليها ، لكنه لا يفعلها ؛ لأنها قيحة . ومذهب « النظام » : أن « القبح » إذا كان صفة ذاتية للقيح ، وهو المانع من الإضافة إليه فعلاً ؛ ففي تجويز وقوع القبيح منه « قبح » أيضاً ، فيجب أن يكون مانعاً ، ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم . وزاد أيضاً على هذا الاختباط فقال : إنما يقدر على فعل ما يعلم أن فيه صلاحاً لعباده ، ولا يقدر على أن يفعل بعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم ؛ هذا في تعلق قدرته بما يتعلق بأمور الدنيا ، وأما أمور الآخرة فقال : لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار شيئاً . ولا على أن ينقص منه شيئاً ؛ وكذلك لا ينقص من نعم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة وليس ذلك مقدوراً له . وقد أُلزم عليه : أن يكون الباري تعالى مطبوعاً مجبوراً على ما يفعله ؛ فإن القادر على الحقيقة : من يتخير بين



الفعل والترك ، فأجاب : إن الذى ألزمتونى فى القدرة يلزمكم فى الفعل ؛ فإن عندكم يستحيل أن يفعله وإن كان مقدوراً ؛ فلا فرق . وإنما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة ؛ حيث قضاوا بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله ، فما أبدعه وأوجده هو المقدور ، ولو كان فى عبه تعالى ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه : نظاماً ، وترتيباً ، وصلاً . . . لفعله .

الثانية : قوله فى الإرادة : إن البارئ تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة ، فإذا وصف بها شرعاً فى أفعاله ؛ فالمراد بذلك : أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم ، وإذا وصف بكونه مريداً لأفعال العباد ؛ فالمعنى به : أنه أمر بها ونهاه عنها . وعنه أخذ « الكعبى » مذهبه فى الإرادة .

الثالثة : قوله : إن أفعال العباد كلها حركات فحسب ، والسكون حركة اعتماد ، والعلوم والإرادات حركات النفس ؛ ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة ، وإنما الحركة عنده مبدأ تغير ما ، كما قالت الفلاسفة : من إثبات حركات فى الكيف ، والكم ، والوضع ، والأين ، والمتى . . . إلى أخواتها .

الرابعة : وافقهم أيضاً فى قولهم : إن الإنسان فى الحقيقة هو « النفس » ، و « الروح » ؛ « والبدن ، آلتها وقالها . غير أنه تقاصر عن إدراك مذهبهم ، فالإيمان إلى قول الطبيعيين منهم : إن « الروح » جسم لطيف مشابه للبدن مداخل للقلب بأجزائه مداخله المائية فى الورد والدهنية فى السمس والسمنية فى اللبن ؛ وقال : إن « الروح » هى التى لها : قوة ، واستطاعة ، وحياة ومشية ؛ وهى مستطاعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل .

الخامسة : حكى « الكعبى » عنه أنه قال : إن كل ما جاوز حد القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بإيجاب الخلقة أى إن الله تعالى طبع الحجر طبعاً ، وخلقه خلقة إذا دفعته اندفع ، وإذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر إلى مكانه طبعاً . وله فى « الجواهر » وأحكامها خبط ومذهب يخالف المتكلمين والفلاسفة .

السادسة : وافق « الفلاسفة » فى تنى الجزء الذى لا يتجزأ . وأحدث القول

« بالظفرة » لما ألزم مشى نملة على صخرة من طرف إلى طرف أنها قطعت ما لا يتناهى؛ فكيف يقطع ما يتناهى ما لا يتناهى؟ قال : تقطع بعضها بالمشى ، وبعضها بالظفرة وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر ، طوله خمسون ذراعاً ، وعليه دلو معلق ؛ وحبل طوله خمسون ذراعاً ، علق عليه معلاق ؛ فيجر به الحبل المتوسط؛ فإن الدلو يصل إلى رأس البئر ، وقد قطع مائة ذراع ، بحبل طوله خمسون ذراعاً ، في زمان واحد ؛ وليس ذلك إلا أن بعض القطع « بالظفرة » ولم يعلم أن الظفرة قطع مسافة أيضاً موازية لمسافة ؛ فالإلزام لا يندفع عنه . وإنما الفرق بين المشى و « الظفرة » يرجع إلى سرعة الزمان وبطئه .

السابعة : قال : إن الجواهر مؤلفة من أعراض اجتمعت ، ووافق « هشام بن الحكم » في قوله : إن الألوان والطعوم والروائح أجسام ، فتارة يقضى بكون الأجسام أعراضاً ، وتارة يقضى بكون الأعراض أجساماً لا غير .

الثامنة : من مذهبه : أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن : معادن ، ونباتاً ، وحيواناً ، وإنساناً ؛ ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده ؛ غير أن الله تعالى « أكن » بعضها في بعض ؛ فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها ، دون حدوثها ووجودها . وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب « الكون » و « الظهور » من « الفلاسفة » . وأكثر ميله — أبدأ — إلى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الإلهيين .

التاسعة : قوله في إعجاز القرآن : إنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية ، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجزاً ؛ حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله : بلاغة ، وفصاحة ، ونظماً .

العاشرة : قوله في « الإجماع » : إنه ليس « بحجة » في الشرع ، وكذلك « القياس » في الأحكام الشرعية ، لا يجوز أن يكون « حجة » ؛ وإنما « الحجة » في قول الإمام المعصوم .

الحادية عشرة : ميلد إلى « الرفض » ، ووقيعته في كبار الصحابة ؛ قال : أولاً : لا إمامة إلا « بالنص » و « التعيين » ظاهراً مكشوفاً ، وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على « علي » رضي الله عنه في مواضع ، وأظهره إظهاراً لم يشتهه على الجماعة ، إلا أن « عمر » كتم ذلك ، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم « السقيفة » . ونسبه إلى الشك يوم « الحديدية » في سؤاله الرسول عليه السلام حين قال : ألسنا على الحق ؟ أليسوا على الباطل ؟ قال : « نعم » ، قال « عمر » : فلم نعطي الدنيا في ديننا ؟ . قال : هذا شك وتردد في الدين ، ووجدان حرج في النفس بما قضى وحكم . وزاد في الفرية (١) ؛ فقال : إن « عمر » ضرب بطن « فاطمة » يوم البيعة حتى ألفت الجنين من بطنها ، وكان يصيح : احرقوا [ دار ] ها (٢) بمن فيها ؛ وما كان في الدار غير : « علي » ، و « فاطمة » ، و « الحسن » ، و « الحسين » . وقال : تغريبه « نصر بن الحجاج » من « المدينة » إلى « البصرة » ؛ وإبداعه « التراويح » ؛ ونهيه عن متعة الحج ؛ ومصادرته العمال . . . كل ذلك أحداث . ثم وقع في أمير المؤمنين « عثمان » ، وذكر أحداثه : من رده « الحكيم بن أمية » إلى المدينة ؛ وهو طريد رسول الله عليه السلام ، ونفيه « أبا ذر » إلى « الربذة » ؛ وهو صديق رسول الله ، وتقليده « الوليد بن عقبة » الكوفة ؛ وهو من أفسد الناس ، و « معاوية » الشام ، و « عبدالله بن عامر » البصرة ، وتزويجه « مروان بن الحكم » ابنته ؛ وهم أفسدوا عليه أمره ، وضربه « عبدالله بن مسعود » على إحضار المصحف ، وعلى القول الذي شاقه به . . . كل ذلك أحداثه . ثم زاد على خزيه ذلك ؛ بأن عاب « علياً » و « عبدالله بن مسعود » لقولها : أقول فيها برأبي ، وكذب « ابن مسعود »

(١) الفرية [ بكسر فكون ] : أشد الكذب وأخشه .

(٢) وامل « دار » سقطت من تحت أعين النساخ أو من فوق أقلامهم فلم يقفوا عندها ، مع أن السياق يحتمها : ليتساقق المعنى ، وليستقيم عود الضمير « ها » في قوله : بمن فيها ، وليتضح معنى اسم الموصول « من » في قوله : « بمن فيها » ، وليمكن توضيح اسم الموصول بالأعلام المذكورين بعد ، وأخيراً ، ليتسق الكلام مع لاحقه : « وما كان في الدار غير . . . »

في روايته : « السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه » ،  
وفي روايته : انشقاق القمر ، وفي تشبيهه « الجن » ، « بالزط » وقد أنكر الجن رأساً ...  
إلى غير ذلك من الواقعة الفاحشة في الصحابة ، رضی الله عنهم أجمعين .

الثانية عشرة : قوله في المفكر قبل ورود السمع : إنه إذا كان عاقلاً متمكناً  
من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى ، بالنظر والاستدلال . وقال  
بتحسين العقل وتقييحه ، في جميع ما يتصرف فيه من أفعاله . وقال : لا بد  
من خاطرين : أحدهما يأمر بالإقدام ، والآخر بالكف ليصح الاختيار .

الثالثة عشرة : قد تكلم في مسائل « الوعد والوعيد » . وزعم أن من خان  
في مائة وتسعة وتسعين درهماً بالسرقة أو الظلم لم يفسق بذلك ، حتى تبلغ خيائته  
« نصاب الزكاة » ، وهو مائة درهم فصاعداً ، فحينئذ يفسق ، وكذلك في سائر  
« نصاب الزكاة » وقال في « المعاد » : إن الفضل على الأطفال ، كالفضل على البهائم .  
ووافق « الأسواري » في جميع ما ذهب إليه ، وزاد عليه بأن قال : إن الله تعالى  
لا يوصف بالقدرة على ما علم أنه لا يفعله ، ولا على ما أخبر أنه لا يفعله ؛  
مع أن الإنسان قادر على ذلك ؛ لأن قدرة العبد صالحة للضدين ، ومن المعلوم  
أن أحد الضدين واقع في المعلوم أنه سيوجد ؛ دون الثاني . والخطاب لا ينقطع  
عن « أبي لهب » ؛ وإن أخبر الرب تعالى بأنه : « سيصلي ناراً ذات لهب » .  
ووافق « أبو جعفر الإسكافي » وأصحابه من « المعتزلة » ، وزاد عليه بأن قال :  
إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ؛ وإنما يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال  
والمجانين . وكذلك « الجعفران » : « جعفر بن مبشر » و « جعفر بن حرب » ،  
ووافقاه وما زادوا عليه ؛ إلا أن « جعفر بن مبشر » قال : في فساق الأمة  
من هو شر من « الزنادقة » و « المجوس » . وزعم أن إجماع الصحابة على حد  
شارب الخمر كان خطأ ؛ إذ المعتبر في « الحدود » : « النصر » و « التوقيف » .  
وزعم أن سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع من الإيمان .

وكان « محمد بن شبيب » و « أبو شمر » و « موسى بن عمران » : من أصحاب

« النظام » إلا أنهم خالفوه في « الوعيد » وفي « المنزلة بين المنزلتين » ؛ وقالوا : صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بمجرد ارتكاب الكبيرة . وكان « ابن مبرر » يقول في « الوعيد » : إن استحقاق العقاب ، والخلود في النار بالفسك يعرف ، قبل ورود « السمع » . وسائر أصحابه يقولون : التخليد لا يعرف إلا « بالسمع » . ومن أصحاب « النظام » : « الفضل الحذثي » ، و « أحمد بن خابط » . قال « الراوندي » : إنهما كانا يزعمان أن للخلق خالقين : أحدهما قديم ؛ وهو الباري تعالى ، والثاني محدث ؛ وهو المسيح عليه السلام ؛ لقوله تعالى : « إذ تخلق من الطين كهيئة الطير » . وكذبه « الكعبي » في رواية « الحذثي » خاصة ؛ لحسن اعتقاده فيه .

### ٤ - الخاطبية والحديثية

« الخاطبية » : أصحاب « أحمد بن خابط » ، وكذلك « الحديثية » ؛ أصحاب « الفضل الحذثي » ؛ كانا من أصحاب « النظام » ، وطالما كتب « الفلاسفة » أيضاً ، وضما إلى مذهب « النظام » ثلاث « بدع » :  
البدعة الأولى : إثبات حكم من أحكام الإلهية في « المسيح » عليه السلام موافقة « للنصارى » على اعتقادهم : أن « المسيح » هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة ، وهو المراد بقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا ، وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام ، وهو المعنى بقوله تعالى : « أو يأتي ربك » ، وهو المراد بقول النبي عليه السلام : « إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن » ، وبقوله : « يضع الجبار قدمه في النار » . وزعم « أحمد بن خابط » : أن « المسيح » تدرع بالجسد الجسماني ، وهو الكلمة القديمة المتجسدة ؛ كما قالت « النصارى » .  
البدعة الثانية : القول « بالتناسخ » : زعموا أن الله تعالى أبدع خلقه : أصحاب ، سالمين ، عقلاء ، بالغين في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم ، وخلق فيهم معرفته والعلم به ، وأسبغ عليهم نعمه ، ولا يجوز أن يكون أول ما يخلقه إلا : عاقلاً ؛

ناظراً ؛ معتبراً ، وابتدأهم بتكليف شكره ؛ فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم في جميع ذلك ، وأطاعه بعضهم في البعض دون البعض ، فمن أطاعه في الكل ، أقره في دار النعيم التي ابتدأهم فيها ، ومن عصاه في الكل أخرجته من تلك الدار إلى دار العذاب وهي النار ، ومن أطاعه في البعض وعصاه في البعض أخرجته إلى دار الدنيا ؛ فألبسه هذه الأجسام الكثيفة ؛ وابتلاه : بالبأساء ، والضراء ، والشدة ، والرخاء ، والآلام ، واللذات ... على صور مختلفة ، من صور الناس وسائر الحيوانات ، على قدر ذنوبهم ؛ فمن كانت معصيته أقل ، وطاعته أكثر ، كانت صورته أحسن ، وآلامه أقل ؛ ومن كانت ذنوبه أكثر ، كانت صورته أقبح ، وآلامه أكثر . ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا : كرة بعد كرة ، وصورة بعد أخرى ما دامت معه ذنوبه وطاعاته . وهذا : عين القول « بالتناسخ » . وكان في زمانها شيخ المعتزلة « أحمد بن أيوب بن مانوس » ، وهو أيضاً من تلامذة النظام ، وقال أيضاً مثل ما قال « أحمد بن خابط » في « التناسخ » وخلق البرية دفعة واحدة ؛ إلا أنه قال : متى صارت « النوبة » إلى البهيمية ؛ ارتفعت التكاليف ، ومتى صارت « النوبة » إلى رتبة النبوة والملك ؛ ارتفعت التكاليف أيضاً ، وصارت النوبتان عالم الجزاء . ومن « مذهبهما » : أن « الديار » خمس ؛ داران للثواب إحداهما : فيها أكل ، وشرب ، وبعال ، وجنات ، وأنهار . والثانية : دار فوق هذه الدار ؛ ليس فيها أكل ، ولا شرب ، ولا بعال ؛ بل ملاذ روحانية ، وروح ، وريحان ، غير جسمانية . والثالثة : دار العقاب المحض ؛ وهي نار « جهنم » ، ليس فيها ترتيب ، بل هي على نمط التساوي . والرابعة : دار الابتداء ، التي خلق الخلق فيها قبل أن يهبطوا إلى دار الدنيا ؛ وهي الجنة الأولى . والخامسة : دار الابتلاء ؛ وهي التي كلف الخلق فيها ، بعد أن اجترحوها في الأولى . وهذا التكوير والتكوير لا يزال في الدنيا . حتى يمتلئ المكيالان : مكيال الخير ، ومكيال الشر ؛ فإذا امتلأ مكيال الخير . صار العمل كله طاعة . والمطيع خيراً خالصاً ؛ فينقل إلى الجنة . ولم يلبث طرفة عين ؛ فإن مصل الغنى ظلم ؛ وفي الحديث :

« أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ، وإذا امتلأ مكياال الشر ، صار العمل كله معصية والعاصي شريراً محضاً ؛ فينقل إلى النار ، ولم يلبث طرفة عين ؛ وذلك قوله تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون » .

البدعة الثالثة : حملها كل ما ورد في « الخبر » : من رؤية الباري تعالى ؛ مثل قوله عليه السلام : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة » ، كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته ، على رؤية العقل الأول ، الذي هو أول مبدع ؛ وهو « العقل الفعال » ، الذي منه تفيض الصور على الموجودات ، وإياه عنى النبي عليه السلام بقوله : « أول ما خلق الله تعالى « العقل » ، فقال له : أقبل ، فأقبل ؛ ثم قال له : أدبر ، فأدبر ؛ فقال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أحسن منك ! بك أعز ، وبك أذل ، وبك أعطى ، وبك أمتنع » ؛ فهو الذي يظهر يوم القيامة ، وترتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه ؛ فيرويه كمثل القمر ليلة البدر ؛ فأما واهب « العقل » فلا يرى البتة . ولا يشبه إلا مبدع بمبدع . وقال « ابن خابط » ، إن كل نوع من أنواع الحيوانات « أمة » ، على حيالها ؛ لقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ؛ وفي كل أمة : رسول من نوعه ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . ولها طريقة أخرى في « التناسخ » ؛ وكأنهما مزجا كلام « التناسخية » ، و « الفلاسفة » ، و « المعتزلة » بعضها ببعض .

## ٥ - البشريّة

أصحاب « بشر بن المعتمر » ، كان من أفضل علماء المعتزلة . وهو الذي أحدث القول « بالتولد » وأفرط فيه . وانفرد عن أصحابه بمسائل ست :

الأولى منها : أنه زعم : أن اللون ، والطعم ، والرائحة ، والإدراكات كلها : من السمع ، والرؤية ... يجوز أن تحصل متولدة من فعل العبد ، إذا كانت أسبابها

من فعله ، وإنما أخذ هذا من « الطبيعيين » ؛ إلا أنهم لا يفرقون بين « المتولد »  
والمباشر بالقدرة ، وربما لا يثبتون القدرة على « منهاج » المتكلمين . وقوة الفعل ،  
وقوة الانفعال : غير القدرة التي يثبتها المتكلم .

الثانية : قوله : إن الاستطاعة : هي سلامة البنية ، وصحة الجوارح ، وتخليتها  
من الآفات ؛ وقال : لا أقول يفعل بها في الحالة الأولى ولا في الحالة الثانية ،  
لكنى أقول : الإنسان يفعل ، والفعل لا يكون إلا في الثانية .

الثالثة : قوله : إن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ، ولو فعل ذلك كان ظالماً  
إياه ؛ إلا أنه لا يستحسن أن يقال [ ذلك ] في حقه ؛ بل يقال : لو فعل ذلك  
كان الطفل : بالغاً ، عاقلاً ، عاصياً بمعصية ارتكبها ، مستحقاً للعقاب ؛  
وهذا كلام متناقض .

الرابعة : حكى « الكعبى » عنه أنه قال : « إرادة الله تعالى » : فعل من أفعاله ،  
وهى على وجهين : « صفة ذات » ، و « صفة فعل » : فأما صفة الذات ؛ فهى :  
أن الله تعالى لم يزل مريداً لجميع أفعاله ، وجميع الطاعات من عباده ؛ فإنه حكيم ،  
ولا يجوز أن يعلم الحكيم صلاحاً وخيراً ، ولا يريد . وأما « صفة الفعل » ؛  
فإن أراد بها فعل نفسه في حال إحداثه ؛ فهى : خلقه [ هـ ] له ، وهى قبل الخلق ؛  
لأن ما به يكون الشيء لا يجوز أن يكون معه ، وإن أراد بها فعل عباده ؛ فهى :  
الامر به .

الخامسة : قال إن عند الله تعالى « لطفاً » لو أتى به ، لآمن جميع من فى  
الأرض إيماناً يستحقون عليه الثواب ؛ استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده ،  
وأكثر منه ؛ وليس على الله تعالى أن يفعل ذلك بعباده . ولا يجب عليه رعاية  
الأصلح ؛ لأنه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح ؛ فما من « أصلح » إلا وفوقه  
« أصلح » ، وإنما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ، ويزيح العلل بالدعوة  
والرسالة . و « المفكر » قبل ورود السمع ، يعلم البارى تعالى بالنظر والاستدلال  
وإذا كان مختاراً فى فعله فيستغنى عن « الخاطرين » ؛ لأن الخاطرين لا يكونان



من قبل الله تعالى ؛ وإنما هما من قبل الشيطان ، و « المفكر ، الأول لم يتقدمه  
شيطان يخطر الشك بباله ، ولو تقدم ، فالكلام في الشيطان كالكلام فيه .  
السادسة : قال : من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاؤه العقوبة الأولى ؛  
فإنه قبل توبته بشرط أن لا يعود .

## ٦ - المَعْمَرِيَّة

أصحاب « معمر بن عباد السلي » ، وهو من أعظم « القدرية » فرية : في تدقيق  
القول بنفي الصفات ، ونفي القدر خيره وشره من الله تعالى ، والتكفير والتضليل  
على ذلك . وانفرد عن أصحابه بمسائل :

منها : أنه قال : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً غير « الأجسام » ؛ فأما « الأعراض »  
فإنها من اختراعات « الأجسام » ؛ إما طبعاً ؛ كالنار التي تحدث الإحراق ،  
والشمس الحرارة ، والقمر التلوين ؛ وإما اختياراً ؛ كالحيوان يحدث : الحركة ،  
والسكون ، والاجتماع ، والافتراق . ومن العجب أن حدوث الجسم وفناءه عنده  
« عرضان » ؛ فكيف يقول : إنها من فعل الأجسام ؟ ، وإذا لم يحدث الباري  
تعالى « عرضاً » فلم يحدث الجسم وفناءه ؟ فإن الحدوث « عرض » ؛ فيلزمه  
أن لا يكون لله تعالى فعل أصلاً . ثم ألزم : أن كلام الباري تعالى : إما « عرض » ،  
أو « جسم » . فإن قال : هو « عرض » ، فقد أحدثه الباري تعالى ؛ فإن المتكلم  
على أصله هو من فعل الكلام ، أو يلزمه : أن لا يكون لله تعالى كلام هو « عرض » ؛  
وإن قال : هو « جسم » ؛ فقد أبطل قوله : إنه أحدثه في محل ؛ فإن الجسم لا يقوم  
بالجسم ؛ فإذا لم يقل هو بإثبات الصفات الأزلية ، ولا قال بخلق الأعراض ؛  
فلا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه . وإذا لم يكن له كلام لم يكن أمراً  
ناهياً ، وإذا لم يكن أمر ونهي لم تكن شريعة أصلاً ؛ فأدى مذهبه إلى خزي عظيم .  
ومنها : أنه قال : إن « الأعراض » لا تنهاه في كل نوع . وقال : كل « عرض »

قام بمحل ، فإنما يقوم به لمعنى أوجب القيام ؛ وذلك يؤدي إلى « التسلسل » .  
وعن هذه المسألة سمي هو وأصحابه : « أصحاب المعاني » . وزاد على ذلك ؛  
فقال : « الحركة » ، إنما خالفت « السكون » ، لا بذاتها ؛ بل بمعنى أوجب المخالفة ؛  
وكذلك : مغايرة المثل المثل ، ومماثته ، وتضاد الضد الضد ؛ كل ذلك عنده بمعنى .  
ومنها : ما حكى « الكعبى » عنه : أن « الإرادة » من الله تعالى للشيء غير الله ،  
وغير خلقه للشيء ، وغير : الأمر ، وهو الأخبار ، والحكم ؛ فأشار إلى أمر مجهول  
لا يعرف . وقال : ليس للإنسان فعل سوى « الإرادة » : مباشرة كانت ،  
أو توليداً ؛ وأفعاله التكليفية : من القيام ، والقعود ، والحركة ، والسكون ؛ في الخير  
والشر . . كلها مستندة إلى إرادته ، لا على طريق المباشرة ، ولا على طريق  
« التوليد » ؛ وهذا عجب ، غير أنه إنما بناه على مذهبه في حقيقة الإنسان . وعنده :  
الإنسان معنى أو جوهر غير الجسد ؛ وهو : عالم ، قادر ، مختار ، حكيم ، ليس  
بمتحرك ، ولا ساكن ، ولا متمكن ، ولا يرمى ، ولا يمس ، ولا يحس ،  
ولا يحس ، ولا يحس ، ولا يحس موضعاً دون موضع ، ولا يحويه مكان ،  
ولا يحصره زمان ؛ لكنه مدبر للجسد ، وعلاقته مع البدن علاقة التدبير والتصرف .  
وإنما أخذ هذا القول من « الفلاسفة » ؛ حيث قضوا بإثبات النفس الإنسانية  
أمراً ما ؛ هو جوهر قائم بنفسه : لا متحيز ، ولا متمكن ؛ وأثبتوا من جنس ذلك  
موجودات عقلية ، مثل العقول المفارقة . ثم لما كان ميل « معمر بن عباد »  
إلى مذهب « الفلاسفة » ميز بين أفعال النفس التي سماها « إنساناً » ، وبين القالب  
الذى هو جسده ؛ فقال : فعل النفس هو « الإرادة » ، فحسب ، والنفس إنسان ؛  
ففعل الإنسان هو « الإرادة » ، وما سوى ذلك : من الحركات ، والسكنات ،  
والاعتمادات - فهي من فعل الجسد .

ومنها : أنه يحكى عنه : أنه كان ينكر القول : بأن الله تعالى « قديم » ، لأن  
« قديم » أخذ من قدم يقدم فهو « قديم » ؛ وهو فعل ، كقولك : أخذ منه ما قدم  
وما حدث . وقال أيضاً : هو يشعر بالتقادم الزمانى ، ووجود البارئ تعالى ليس

بزمانى . ويحكى عنه أيضاً : أنه قال : الخلق غير المخلوق ، والإحداث غير المحدث .  
وحكى « جعفر بن حرب » ، عنه أنه قال : إن الله تعالى محال أن يعلم نفسه ؛ لأنه  
يؤدى إلى ألا يكون العالم والمعلوم واحداً ، ومحال أن يعلم غيره ؛ كما يقال : محال  
أن يقدر على الموجود من حيث هو موجود . ولعل هذا النقل فيه خلل ؛ فإن  
عاقلاً ما ، لا يتكلم بمثل هذا الكلام الغير المعقول .

لعمرى ! لما كان الرجل يميل إلى « الفلاسفة » ؛ ومن مذهبهم : أنه ليس « علم »  
البارى تعالى علماً انفعالياً ، أى تابعاً للمعلوم ، بل عليه علم فعلى ؛ فهو من حيث  
هو فاعل « عالم » ، وعليه هو الذى أوجب الفعل ، وإنما يتعلق بالموجود حال  
حدوثه لا محالة ، ولا يجوز تعلقه بالمعدوم على استمرار عدمه وأنه « علم » و « عقل »  
وكونه : عقلاً ، وعاقلاً ، ومعقولاً ، شىء واحد ؛ فقال « ابن عباد » : لا يقال :  
يعلم نفسه ؛ لأنه يؤدى إلى تمايز بين العالم والمعلوم ، ولا يعلم غيره ؛ لأنه يؤدى  
إلى كون « عليه » من غيره يحصل . فإما أن لا يصح النقل ، وإما أن يحمل على  
مثل هذا المحمل . ولسنا من رجال « ابن عباد » فنطلب لكلامه وجهاً .

## ٧ - المرذارية

أصحاب « عيسى بن صبيح » ، المكنى « بأبي موسى » ، الملقب « بالمردار » .  
وقد تلبذ « لبشر بن المعتز » ، وأخذ العلم منه ، وتزهده ؛ ويسمى راهب المعتزلة .  
وإنما انفرد عن أصحابه بمسائل :

الأولى منها : قوله فى « القدر » : إن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ،  
ولو كذب وظلم كان إلهها كاذباً ظالماً ؛ تعالى الله عن قوله .

والثانية : قوله فى « التولد » : مثل قول أستاذه ، وزاد عليه : بأن جوز وقوع  
فعل واحد من فاعلين على سبيل « التولد » .

الثالثة : قوله فى « القرآن » ، إن الناس قادرون على مثل القرآن : فصاحة ،

ونظماً ، وبلاغة وهو الذى بالغ فى القول بخلق القرآن ، وكفر من قال بقدمه ،  
بأنه قد أثبت قديمين . وكفر أيضاً من لابس السلطان ؛ وزعم أنه لا يرث  
ولا يرث ، وكفر أيضاً من قال : إن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى ، ومن قال :  
إنه يرى بالأبصار ، وغلا فى التكفير حتى قال : هم كافرون فى قولهم : لا إله  
إلا الله . وقد سأله « إبراهيم بن السندى » مرة عن أهل الأرض جميعاً ، فكفرهم ؛  
فأقبل عليه « إبراهيم » ، وقال : الجنة التى عرضها السموات والأرض ، لا يدخلها  
إلا أنت ، وثلاثة وافقوك ؟ ! نخزى ، ولم يجر جواباً . وقد تلذذ له أيضاً :  
« الجعفران » ، و « أبو زفر » ، و « محمد بن سويد » . وصحب : « أبو جعفر محمد  
ابن عبد الله الإسكافى » ، و « عيسى ابن الهيثم » : « جعفر بن حرب الأشج » .  
وحكى « السكبي » عن « الجعفرين » أنهما قالوا : إن الله تعالى خلق القرآن  
فى « اللوح المحفوظ » ، ولا يجوز أن ينقل ؛ إذ يستحيل أن يكون الشيء الواحد  
فى مكانين فى حالة واحدة ، وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الأول فى اللوح  
المحفوظ ؛ وذلك فعلنا وخلقنا .

قال : وهو الذى اختاره من الأقوال المختلفة فى القرآن .

وقالا فى تحسين العقل وتقييحه : إن العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع  
أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع ؛ وعليه أن يعلم أنه إن قصر ، ولم يعرفه ،  
ولم يشكره : عاقبه عقوبة دائمة ؛ فأثبت [ ما ] التخليد واجباً بالعقل .

## ٨ — الثُمَامِيَّة

أصحاب « ثُمَامَة بن أشرس النيرى » ؛ كان جامعاً بين سخافة الدين ،  
وخلاعة النفس ؛ مع اعتقاده بأن « الفاسق » يخلد فى النار إذا مات على  
فسقه من غير توبة ، وهو فى حال حياته فى منزلة بين المنزلتين . وانفرد  
عن أصحابه بمسائل :

منها : قوله : إن « الأفعال المتولدة » لا فاعل لها ؛ إذ لم يمكنه إضافتها إلى فاعل أسبابها ، حتى يلزمه أن يضيف الفعل إلى ميت ؛ مثل ما إذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده . ولم يمكنه إضافتها إلى الله تعالى ؛ لأنه يؤدي إلى فعل القبيح ، وذلك محال . فتحير فيه ، وقال : المتولدات أفعال لا فاعل لها .

ومننا : قوله في « الكفار » و « المشركين » و « المجوس » و « اليهود » و « النصارى » و « الزنادقة » و « الدهرية » : إنهم يصيرون في القيامة تراباً ؛ وكذلك قوله في البهائم ، والطيور ، وأطفال المؤمنين .

ومننا : قوله : « الاستطاعة » هي السلامة وصحة الجوارح ، وتخليتها من الآفات ؛ وهي قبل الفعل .

ومننا : قوله : إن « المعرفة » متولدة من « النظر » وهو فعل لا فاعل له كسائر « المتولدات » .

ومننا : قوله في « تحسين العقل وتقييده » وإيجاب المعرفة قبل ورود « السمع » : مثل قول أصحابه ؛ غير أنه زاد عليهم ؛ فقال : من « الكفار » من لا يعلم خالقه ، وهو معذور . وقال : إن « المعارف » كلها ضرورية وإن من لم يضطر إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فليس هو مأموراً بها ، وإنما خلق للعبارة والسخرة ؛ كسائر الحيوان .

ومننا : قوله : لا فعل للإنسان إلا « الإرادة » ، وما عداها فهو حدث لا يحدث له . وحكى ابن « الراوندي » عنه أنه قال : « العالم » فعل الله تعالى بطباعه ، ولعله أراد بذلك ما تريده « الفلاسفة » : من « الإيجاب » بالذات ، دون « الإيجاد » على مقتضى « الإرادة » ؛ لكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما لزم « الفلاسفة » من القول بقدوم العالم ؛ إذ « الموجب » لا ينفك عن « الموجب » . وكان « تمامة » في أيام « المأمون » ، وكان عنده بمكان .

## ٩ - الهشامية

أصحاب « هشام بن عمرو الفوطي » . ومبالغته في القدر أشد وأكثر من مبالغة أصحابه . وكان يتمتع من إطلاق « إضافات » أفعال إلى الباري تعالى ، وإن ورد بها التنزيل .

منها قوله : إن الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم ؛ وقد ورد في التنزيل : « ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

ومنها قوله : إن الله لا يحب الإيمان إلى المؤمنين ، ولا يزينه في قلوبهم ؛ وقد قال تعالى : « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » . ومبالغته في نفي « إضافات » : « الطبع » و « الختم » و « السد » ، وأمثالها - أشد وأصعب ؛ وقد ورد بجميعها التنزيل ؛ قال الله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، وقال : « بل طبع الله عليها بكفرهم » ، وقال : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً » . وليت شعري ! ما يعتقد الرجل ؟ : إنكار ألفاظ التنزيل ، وكونها وحياً من الله تعالى ؟ فيكون تصريحاً بالكفر ! أو إنكار ظواهرها من نسبتها إلى الباري تعالى ، ووجوب تأويلها ؟ وذلك عين مذهب أصحابه ؟ .

ومن بدعيه في الدلالة على « الباري » تعالى ، قوله : إن « الأعراض » لا تدل على كونه خالقاً ، ولا تصلح « الأعراض » دلالات ؛ بل « الأجسام » تدل على كونه خالقاً . وهذا أيضاً عجب .

ومن بدعه في « الإمامة » ، قوله : إنها لا تتعقد في أيام الفتنة واختلاف الناس ، وإنما يجوز عقدها في حال الاتفاق والسلامة . وكذلك أبو « بكر الأصم » من أصحابه كان يقول : الإمامة لا تتعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم . وإنما أراد بذلك الطعن في إمامة « علي » - رضي الله عنه إذ كانت « البيعة » في أيام الفتنة ، من غير اتفاق من جميع الصحابة ؛ إذ بقي في كل طرف طائفة على خلافه . ومن بدعه : أن « الجنة » و « النار » ليستا مخلوقتين الآن ؛ إذ لا فائدة

في وجودهما وهما جميعاً خاليتان بمن ينتفع ويتضرر بهما ، وبقيت هذه المسألة منه اعتقاداً « للمعتزلة » . وكان يقول « بالموافاة » ، وأن الإيمان هو الذي يوافق الموت . وقال : من أطاع الله جميع عمره ، وقد علم الله أنه يأتي بما يحبط أعماله ، ولو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد ؛ وكذلك على العكس . وصاحبه « عباد » من المعتزلة وكان يمتنع من إطلاق القول بأن الله تعالى خلق « الكافر » ؛ لأن « الكافر » : كفر ، وإنسان ؛ والله تعالى لا يخلق « الكفر » . وقال : « النبوة » جزاء على عمل ، وإنما باقية ما بقيت الدنيا . وحكى « الأشعري » عن « عباد » أنه زعم : أنه لا يقال : إن الله تعالى لم يزل قائلاً ، ولا غير قائل . ووافق « الإسكافي » على ذلك . قالوا : ولا يسمى « متكلماً » . وكان « الفوطي » يقول : إن « الأشياء » قبل « كونها » : « معدومة » ؛ وليست أشياء ، وهي بعد أن تعدم عن وجود تسمى « أشياء » . ولهذا المعنى كان يمنع القول : بأن الله تعالى قد كان لم يزل « عالماً » بالأشياء قبل « كونها » ؛ فإنها لا تسمى « أشياء » . قال : وكان يجوز « القتل » « والغيلة » على المخالفين لمذهبه ، وأخذ أموالهم عصباً وسرقة ؛ لاعتقاده كفرهم ، واستباحة دماهم وأموالهم .

## ١٠ - الجاحظية

أصحاب « عمرو بن بحر » ، أبي عثمان « الجاحظ » . كان من فضلاء المعتزلة ، والمصنفين لهم ؛ وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة ، وخالط وروج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة ، وحسن براعته اللطيفة . وكان في أيام « المعتصم » و « المتوكل » . وانفرد عن أصحابه بمسائل :

منها : قوله : إن « المعارف » كلها ضرورية طباع ، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد ، وليس [ للعبد ] « كسب » سوى « الإرادة » وتحصل أفعاله منه « طباعاً » ؛ كما قال « ثمامة » . ونقل عنه أيضاً : أنه أنكر أصل « الإرادة »

وكونها جنسا من « الأعراض » ؛ فقال : إذا انتفى السهو عن الفاعل ، وكان عالما بما يفعله ، فهو « المرید » على التحقيق ، وأما « الإرادة » المتعلقة بفعل الغير ، فهو ميل النفس إليه . وزاد على ذلك بإثبات « الطبائع » للأجسام ، كما قال « الطبيعيون » من « الفلاسفة » ، وأثبت لها أفعالا مخصوصة بها . وقال باستحالة عدم الجواهر ؛ فالأعراض تتبدل ، والجواهر لا يجوز أن تنفى .

ومنها : قوله في « أهل النار » : إنهم لا يخلدون فيها عذابا ، بل يصيرون إلى طبيعة « النار » . وكان يقول : « النار » تجذب أهلها إلى نفسها ، من غير أن يدخل أحد فيها . ومذهبه : مذهب « الفلاسفة » في نفي « الصفات » ، وفي إثبات « القدر » خيره وشره من العبد : مذهب « المعتزلة » . وحكى « الكعبى » عنه أنه قال : يوصف « البارئ » تعالى بأنه « مرید » ؛ بمعنى أنه لا يصح عليه « السهو » في أفعاله ، ولا « الجهل » ولا يجوز أن يغلب ويقهر .

وقال : إن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم ، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي ؛ وهم محجوجون بمعرفتهم . ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد ، وجاهل به ؛ فالجاهل معذور ، والعالم محجوج . ومن انتحل دين الإسلام ؛ فإن اعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالأبصار ، وهو عدل لا يجوز ولا يريد المعاصي ، وبعد الاعتقاد واليقين أقر بذلك كله ؛ فهو « مسلم » حقا . وإن عرف ذلك كله ، ثم جحده وأنكره وقال « بالتشبيه » و « الجبر » ؛ فهو « مشرك كافر » حقا . وإن لم ينظر في شيء من ذلك كله ، واعتقد أن الله تعالى ربه ، وأن محمداً رسول الله ؛ فهو « مؤمن » لا لوم عليه ، ولا تكليف عليه غير ذلك .

وحكى « ابن الراوندى » عنه أنه قال : إن للقرآن جسداً يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيواناً ؛ وهذا مثل ما يحكى عن « أبى بكر الأصم » أنه زعم : أن القرآن جسم مخلوق . وأنكر « الأعراض » أصلا ، وأنكر « صفات » البارئ تعالى . ومذهب « الجاحظ » هو بعينه مذهب الفلاسفة ؛ إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم ، أكثر منه إلى الإلهيين .



## ١١ - الخياطية والسكبية

أصحاب « أبي الحسين ابن أبي عمرو الخياط ، أستاذ « أبي القاسم بن محمد الكعبي » ، وهما من « معتزلة بغداد » على مذهب واحد ، إلا أن « الخياط ، غالى فى إثبات « المعدوم » شيئاً ؛ وقال : « الشيء » ما يعلم ويخبر عنه ، و« الجواهر » جوهر فى العدم ، و« العرض » عرض فى العدم ، وكذلك أطلق جميع أسماء الأجناس والأصناف ، حتى قال : السواد سواد فى العدم ؛ فلم يبق إلا « صفة الوجود » أو الصفات التى تلزم الوجود والحدوث ، وأطلق على « المعدوم » لفظ « الثبوت » وقال فى نفي الصفات عن « البارى » مثل ما قاله أصحابه ؛ وكذا القول فى : القدر ، والسمع ، والعقل . وانفرد « الكعبي » عن أستاذه بمسائل :

منها : قوله : إن « إرادة البارى » تعالى ليست صفة قائمة بذاته ، ولا هو مرید لذاته ، ولا إرادته حادثة فى محل أو لا فى محل ؛ بل إذا أطلق عليه أنه مرید فعناه أنه : عالم ، قادر ، غير محكره فى فعله ، ولا كاره . ثم إذا قيل : هو « مرید » لأفعاله ؛ فالمراد به أنه : خالق لها على وفق علمه ، وإذا قيل : هو « مرید » لأفعال عبادته ؛ فالمراد به : أنه أمر بها ، راض عنها . وقوله فى كونه « سمياً » « بصيراً » راجع إلى ذلك أيضاً ؛ فهو « سمياً » بمعنى أنه : عالم بالمسموعات ، و« بصير » بمعنى أنه : عالم بالمبصرات . وقوله فى « الرؤية » ، كقول أصحابه : نفيًا ، وإحالة ؛ غير أن أصحابه قالوا : يرى البارى تعالى ذاته ، ويرى المرثيات ؛ وكونه مدركاً لذلك زائد على كونه عالماً . وقد أنكر « الكعبي » ذلك ؛ قال : معنى قولنا : يرى ذاته ، ويرى المرثيات : أنه عالم بها فقط .

## ١٢ - الجبائية والبشمية

أصحاب أبي على « محمد بن عبد الوهاب الجبائي » وابنه « أبي هاشم عبد السلام » وهما من « معتزلة البصرة » . انفردا عن أصحابهما بمسائل ، وانفرد أحدهما

عن صاحبه بمسائل أما المسائل التي انفردا بها عن أصحابهما :  
فنها : أنهما أثبتا « إرادات » حادثة لافي محل ؛ يكون البارى تعالى بها موصوفاً  
مريداً ، وتعظما لافي محل ؛ إذا أراد أن يعظم ذاته ، وفناء لافي محل ؛ إذا أراد  
أن يفنى العالم . وأخص أوصاف هذه « الصفات » يرجع إليه ؛ من حيث  
إنه تعالى أيضاً لافي محل . وإثبات موجودات هي « أعراض » أو في حكم  
« الأعراض » لا محل لها ؛ كإثبات موجودات هي « جواهر » أو في حكم  
« الجواهر » لا مكان لها ، وذلك قريب من مذهب « الفلاسفة » ؛ حيث  
أثبتوا « عقلا » هو جوهر لافي محل ولا في مكان ، وكذلك « النفس الكلية »  
و « العقول المفارقة » .

ومنها : أنهما حكما بكونه تعالى « متكلماً » بكلام يخلقه في محل ، وحقيقة  
« الكلام » عندهما : أصوات مقطعة ، وحروف منظومة ؛ والمتكلم من فعل  
« الكلام » لا من قام به الكلام . إلا أن « الجبائي » خالف أصحابه خصوصاً  
بقوله : يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارئ كلاماً لنفسه في محل القراءة ؛  
وذلك حين ألزم : أن الذي يقرؤه القارئ ليس بكلام الله ، والمسموع منه ليس  
من كلام الله ؛ فالتزم هذا المحال : من إثبات أمر غير معقول ولا مسموع ، وهو  
إثبات كلامين في محل واحد .

واتفقا على : نفي « رؤية الله » تعالى بالأبصار في دار القرار ، وعلى القول  
بإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً ، وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه  
استقلالاً واستبداداً ، وأن « الاستطاعة » قبل الفعل ؛ وهي : قدرة زائدة على  
سلامة « البنية » وصحة الجوارح ، وأثبتا « البنية » شرطاً في قيام المعاني التي يشترط  
في ثبوتها الحياة ، واتفقا على أن « المعرفة » وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبح  
واجبات عقلية ، وأثبتا « شريعة » عقلية ؛ وردا « الشريعة النبوية » إلى مقدرات  
الأحكام ومؤقتات الطاعات التي لا يتطرق إليها عقل ولا يهتدى إليها فكر ،  
ويعتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي ؛ إلا أن

التأقيت والتخليد فيه يعرف « بالسمع » . و « الإيمان » عندهما اسم مدح ؛ وهو عبارة عن خصال الخير التي إذا اجتمعت في شخص سمي بها : « مؤمناً » ، ومن ارتكب « كبيرة » فهو في الحال يسمى فاسقاً : لا مؤمناً ؛ ولا كافراً ، وإن لم يتب ومات عليها ؛ فهو مخلد في « النار » . واتفقا على أن الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئاً مما علم أنه إذا فعل بهم أتوا « بالطاعة » و « التوبة » ؛ من « الصلاح » و « الأصلاح » و « اللطف » ؛ لأنه : قادر ، عالم ، جواد ، حكيم : لا يضره الإعطاء ، ولا ينقص من خزائنه المنح ، ولا يزيد في ملكه الادخار . وليس « الأصلاح » هو « الألد » ؛ بل هو : الأعود في العاقبة ، والأصوب في العاجلة ؛ وإن كان ذلك مؤلماً مكروهاً ؛ وذلك : « كالحجامة » و « الفصد » وشرب الأدوية ، ولا يقال : إنه تعالى يقدر على شيء هو أصلح مما فعله بعبده . والتكاليف كلها « أطفاف » ، وبعثة الأنبياء ؛ وشرع الشرائع ؛ وتمييد الأحكام ؛ والتنبيه على الطريق الأصوب . . . كلها « أطفاف » .

ومما تخالفا فيه : أما في صفات « البارئ » تعالى ؛ فقال « الجبائي » : البارئ تعالى « عالم » لذاته ؛ قادر « دحي » . . . لذاته ، ومعنى قوله « لذاته » أي لا يقتضى كونه عالماً « صفة » هي : « علم » أو « حال » توجب كونه « عالماً » . وعند « أبي هاشم » : هو « عالم » لذاته بمعنى أنه « ذو حالة » هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً موجوداً ، وإنما تعلم « الصفة » على « الذات » لا بانفرادها ؛ فأثبت ، « أحوالاً » هي صفات : لا موجودة ولا معدومة ، ولا معلومة ولا مجهولة ؛ أي : هي على حياها لا تعرف كذلك بل مع « الذات » . قال والعقل يدرك فرقاً ضرورياً بين معرفة الشيء مطلقاً وبين معرفته على صفة ؛ فليس من عرف « الذات » عرف كونه « عالماً » ، ولا من عرف الجوهر عرف الجوهر عرف كونه متحيزاً قابلاً « للعرض » . ولا شك أن الإنسان يدرك اشتراك الموجودات في قضية وافتراقها في قضية ، وبالضرورة يعلم أن ما اشتركت فيه غير ما افرقت به ، وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل ، وهي لا ترجع إلى الذات ولا إلى « أعراض » وراء « الذات » ،

فإنه يؤدي إلى قيام العرض بالعرض؛ فتعين بالضرورة أنها «أحوال»، فكون العالم «عالماً»، «حال»، هي «صفة»، وراء كونه «ذاتاً»، أي المفهوم منها غير المفهوم من «الذات»، وكذلك كونه: قادراً، حياً... ثم أثبت للباري تعالى «حالة»، أخرى أوجبت تلك «الأحوال». وخالفه والده وسائر منكري الأحوال في ذلك، وردوا الاشتراك والافتراق إلى الألفاظ وأسماء الأجناس؛ وقالوا: أليست الأحوال تشترك في كونها أحوالاً، وتفترق في خصائص؟ كذلك نقول في الصفات؛ وإلا فيؤدي إلى إثبات الحال للحال، ويفضي إلى «التسلسل»... بل هي راجعة إما إلى مجرد الألفاظ؛ إذ وضعت في الأصل على وجه يشترك فيها الكثير لا أن مفهومها معنى أو صفة ثابتة في الذات على وجه يشمل أشياء ويشترك فيها الكثير؛ فإن ذلك مستحيل. أو يرجع ذلك إلى «وجوه» واعتبارات عقلية، هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق، وتلك «الوجوه»: كالنسب، والإضافات، والقرب، والبعد، وغير ذلك؛ مما لا يعد صفات بالاتفاق. وهذا هو اختيار «أبي الحسين البصري» و«أبي الحسن الأشعري». ورتبوا على هذه المسألة: مسألة أن «المعدوم» شيء، فمن ثبت كونه شيئاً، كما نقلنا عن جماعة من المعتزلة، فلا يبقى من صفات الثبوت إلا كونه موجوداً؛ فعلى ذلك لا يثبت للقدرة في إيجادها أثراً ما سوى الوجود. والوجود على مذهب «نفاة الأحوال» لا يرجع إلا إلى اللفظ المجرد، وعلى مذهب «مبثي الأحوال» هو حالة لا توصف بالوجود ولا بالعدم، وهذا كما ترى من التناقض والاستحالة ومن «نفاة الأحوال» من يثبته شيئاً، ولا يسميه بصفات الأجناس. وعند «الجبائي»: أخص وصف الباري تعالى هو «القدم»، والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم. وليت شعري كيف يمكنه إثبات: الاشتراك، والافتراق، والعموم والخصوص — حقيقة؛ وهو من نفاة الأحوال؟ فأما على مذهب «أبي هاشم» فلعمري هو مطرد؛ غير أن القدم، إذا بحث عن حقيقته رجع إلى نفي الأولية؛ و«النفي» يستحيل أن يكون أخص وصف الباري.

واختلفا في كونه « سميما بصيراً » ، فقال « الجبائي » : معنى كونه سميما بصيراً : أنه حتى لا آفة به .

وخالفه « ابنه » وسائر أصحابه : أما « ابنه » فصار إلى أن كونه سميما « حالة » ، وكونه بصيراً « حالة » ، وكونه بصيراً « حالة » سوى كونه عالماً ؛ لاختلاف : القضيتين ، والمفهومين ، والمتعلقين ، والأثرين . وقال غيره من أصحابه : معناه كونه مدركاً للبصرات ، مدركاً للسموعات . واختلفا أيضاً في بعض مسائل « اللطف » ؛ فقال « الجبائي » ، فيمن يعلم الباري تعالى من حاله أنه لو آمن مع « اللطف » لكان ثوابه أقل لقلّة مشقته ، ولو آمن بلا لطف لكان ثوابه أكثر لكثرة مشقته : إنه لا يحسن منه أن يكلفه إلا مع « اللطف » ويسوى بينه وبين من المعلوم من حاله أنه لا يفعل الطاعة على كل وجه إلا مع « اللطف » ؛ ويقول : إذ لو كلفه مع عدم اللطف لوجب أن يكون مستفسداً حاله ، غير مزيج لعلته . ومخالفه « أبو هاشم » في بعض المواضع في هذه المسألة ؛ قال : يحسن منه تعالى أن يكلفه الإيمان على أشق الوجهين ؛ بلا لطف . واختلفا في فعل الألم للعوض ؛ فقال « الجبائي » : يجوز ذلك ابتداءً لأجل العوض ؛ وعليه بنى آلام الأبطال . وقال « ابنه » : إنما يحسن ذلك بشرط « العوض » والاعتبار جميعاً . وتفصيل مذهب « الجبائي » في « الأعواض » على وجهين : أحدهما أنه يقول : يجوز التفضل بمثل الأعواض ؛ غير أنه تعالى علم أنه لا ينفعه « عوض » إلا على ألم متقدم . والوجه الثاني : أنه إنما يحسن ذلك ؛ لأن العوض مستحق ، والتفضل غير مستحق . والثواب عندهم ينفصل عن التفضل بأمرين : أحدهما : تعظيم وإجلال للشاب يقترن بالنعم ، والثاني : قدر زائد على التفضل ؛ فلم يجب إذا إجراء « العوض » بحرى الثواب ؛ لأنه لا يتميز عن التفضل بزيادة مقدار ولا بزيادة صفة . وقال « ابنه » : يحسن الابتداء بمثل « العوض » تفضلاً ، والعوض منقطع غير دائم . وقال « الجبائي » : يجوز أن يقع « الاتصاف » من الله تعالى للظلوم من الظالم بأعواض يتفضل بها عليه ؛

إذا لم يكن للظالم على الله عوض لشيء ضره به .  
وزعم « أبو هاشم » : أن التفضل لا يقع به « انتصاف » ؛ لأن التفضل ليس  
يجب عليه فعله . وقال « الجبائي » « وابنه » : لا يجب على الله شيء لعباده في الدنيا  
إذا لم يكلفهم عقلا وشرعا ؛ فأما إذا كلفهم : فعل الواجب في عقولهم ، واجتناب  
القبائح ، وخلق فيهم الشهوة للقبیح والنفور من الحسن ، وركب فيهم الأخلاق  
الذميمة ؛ فإنه يجب عليه عند هذا التكليف إكمال العقل ، ونصب الأدلة ،  
والقدرة ، والاستطاعة ، وتهية الآلة ؛ بحيث يكون مزيجا لعلهم فيما أمرهم ،  
ويجب عليه أن يفعل بهم : أدعى الأمور إلى فعل ما كلفهم به ، وأزجر الأشياء  
لهم عن فعل القبیح الذي نهاهم عنه . ولهم في مسائل هذا الباب خبط طويل .

وأما كلام جميع المعتزلة البغداديين في النبوة والإمامة فيخالف كلام البصريين ؛  
فإن من شيوخهم من يميل إلى « الروافض » ، ومنهم من يميل إلى « الخوارج » .  
و « الجبائي » و « أبو هاشم » قد وافقا « أهل السنة » في الإمامة ، وأنها  
بالاختيار ، وأن الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة ؛ غير أنهم ينكرون  
الكرامات أصلا للأولياء : من الصحابة ، وغيرهم . ويبالغون في عصمة الأنبياء  
عليهم السلام عن الذنوب : كبائرهما ، وصغائرهما ، حتى منع « الجبائي » القصد  
إلى الذنب ؛ إلا على تأويل . والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي « عبد الجبار » ،  
وغيره انتهجوا طريقة « أبي هاشم » . وخالفه في ذلك « أبو الحسين البصري » ،  
وتصفح أدلة الشيوخ ، واعترض على ذلك بالتزييف والإبطال وانفرد عنهم بمسائل :  
منها نفي الحال ، ومنها نفي المعدوم شيئا ، ومنها نفي الألوان أعراضا ، ومنها قوله :  
إن الموجودات تميز بأعيانها ؛ وذلك من توابع نفي الحال ، ومنها رده الصفات  
كلها إلى كون الباري تعالى : عالما ، قادرا ، مدركا . وله ميل إلى مذهب « هشام بن الحكم »  
في أن الأشياء لا تعلم قبل كونها . والرجل فلسفي المذهب ؛ إلا أنه روج كلامه  
على المعتزلة في معرض « الكلام » فراج عليهم ؛ لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب .

## الباب الثاني : الجبرية

١ - الجبر : هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ،  
و « الجبرية » أصناف : فالجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة  
على الفعل أصلا ، والجبرية المتوسطة : [ هي التي ] تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة  
أصلا ؛ فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل ، وسمى ذلك كسبا ؛  
فليس بجبري .

و « المعتزلة » يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثرا في الإبداع  
والإحداث استقلالاً : جبرياً ، ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم  
بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها : جبرياً ؛ إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثرا .  
والمصنفون في المقالات عدوا « النجارية » و « الضرارية » : من « الجبرية » ؛  
وكذلك جماعة « الكلابية » : من « الصفاتية » . و « الأشعرية » سموهم تارة  
« حشوية » وتارة « جبرية » . ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من « النجارية »  
و « الضرارية » فعددناهم من « الجبرية » ، ولم نسمع إقرارهم على غيرهم فعددناهم  
من « الصفاتية » .

## ١ - الجهمية

أصحاب « جهم بن صفوان » ، وهو من « الجبرية الخالصة » . ظهرت بدعته  
« بترمذ » ، وقتله « سالم بن أحوز المازني » « بمرور » في آخر ملك بني أمية : وافق  
المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم بأشياء :  
منها قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ؛ لأن ذلك  
يقضى تشبيها ؛ فنفى كونه : حيا ، عالما ؛ وأثبت كونه : قادراً ، فاعلا ، خالقا ؛  
لأنه لا يوصف شيء من خلقه : بالقدرة ، والفعل ، والخلق .  
ومنها إثباته علوما حادثة للباري تعالى لا في محل ؛ قال : لا يجوز أن يعلم الشيء .

قبل خلقه ؛ لأنه لو علم ثم خلق ! أفبقي علمه على ما كان أم لم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل ؛ فإن العلم بأن سيوجد ، غير العلم بأن قد وجد ، وإن لم يبق فقد تغير ؛ والمتغير مخلوق ليس بقديم . ووافق في هذا مذهب « هشام بن الحكم » كما تقرر ؛ قال : وإذا ثبت حدوث « العلم » فليس يخلو : إما أن يحدث في ذاته تعالى ؛ وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته ؛ وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث في محل ؛ فيكون المحل موصوفاً به ؛ لا الباري تعالى . . . فتعين أنه لا محل له ؛ فأثبت علوماً حادثة بعدد الموجودات المعلومة .

ومنها قوله في القدرة الحادثة : إن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ؛ وإنما هو مجبور في أفعاله : لا قدرة له ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً ، كما تنسب إلى الجمادات ؛ كما يقال : أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغيبت السماء وأمطرت ، واهتزت الأرض وأنبتت . . . إلى غير ذلك . والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال كلها جبر ؛ قال : وإذا ثبت الجبر ، فالتكليف أيضاً كان « جبراً » .

ومنها قوله : إن حركات أهل الخلد تنقطع ، والجنة والنار تفيان بعد دخول أهلها فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بحميمها ، إذ لا تصور حركات لا تنهاى آخراً ، كما لا تصور حركات لا تنهاى أولاً ؛ وحمل قوله تعالى : « خالدين فيها » على المبالغة والتأكيد ، دون الحقيقة في التخليد ؛ كما يقال : خلد الله ملك فلان ، واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ؛ فالآية اشتملت على شريطة واستثناء ، والخلود والتأييد لا شرط فيه ولا استثناء .

ومنها قوله : من أتى « بالمعرفة » ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده ؛ لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد ؛ فهو مؤمن . قال : والإيمان لا يتبعض أى لا ينقسم إلى : عقد ، وقول ، وعمل ؛ قال : ولا يتفاضل أهله فيه ؛ فإيمان الأنبياء وإيمان



الأمة على نمط واحد ؛ إذ المعارف لا تفاضل . وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه . ونسبته إلى التعطيل المحض . وهو أيضا موافق « للمعتزلة » ، في : نفي « الرؤية » وإثبات خلق الكلام ، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود « السمع » .

## ٢ - النجارية

أصحاب « الحسين بن محمد النجار » ، وأكثر معتزلة « الرى » ، و [ ما ] حوالها على مذهبه ، وهم وإن اختلفوا أصنافاً ، إلا أنهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها أصولاً ؛ وهم : « برغوثية » ، و « زعفرانية » ، و « مستدركة » ، و وافقوا « المعتزلة » في نفي الصفات : من العلم ، والقدرة ، والإرادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ؛ ووافقوا « الصفاتية » ، في خلق الأعمال .

قال « النجار » : البارئ تعالى « مرید » لنفسه ، كما هو « عالم » لنفسه ؛ فالزم عموم التعلق ، فالزم ؛ وقال : هو مرید الخير والشر ، والنفع والضرر . وقال أيضاً : معنى « كونه مريدا » أنه غير مستكره ولا مغلوب . وقال : هو خالق أعمال العباد : خيرها وشرها ، حسنها وقيحها ؛ والعبد مكتسب لها . وأثبت تأثيراً للقدرة الحادثة ، وسمى ذلك كسباً ؛ على حسب ما ثبته « الأشعري » ، ووافقه أيضاً في أن الاستطاعة مع الفعل . وأما في مسألة « الرؤية » ؛ فأنكر رؤية الله تعالى بالأبصار ، وأحالها ؛ غير أنه قال : يجوز أن يحول الله تعالى القوة التي في القلب - من المعرفة - إلى العين ، فيعرف الله تعالى بها ؛ فيكون ذلك رؤية . وقال بحدوث الكلام ؛ لكنه انفرد عن « المعتزلة » بأشياء : منها قوله : إن كلام البارئ تعالى إذا قرئ فهو « عرض » ، وإذا كتب فهو « جسم » . ومن العجب أن « الزعفرانية » قالت : « كلام الله » غيره ، وكل ما هو غيرد ؛ فهو مخلوق ، ومع ذلك قالت : كل من قال : إن القرآن مخلوق ؛ فهو كافر ، ولعلمهم أرادوا بذلك : الاختلاف ؛ وإلا فالتناقض ظاهر . و « المستدركة » منهم زعموا : أن كلامه

غيره، وهو مخلوق ؛ لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلام الله غير مخلوق » ،  
و « السلف » عن آخرهم أجمعوا على هذه العبارة ؛ فوافقناهم ، وحمّلنا قولهم  
« غير مخلوق » ، أى : على هذا الترتيب والنظم من الحروف والأصوات ؛ بل هو  
مخلوق على غير هذه الحروف بعينها ؛ وهذه حكاية عنها . وحكى « الكعبى »  
عن « النجار » أنه قال : البارئ تعالى بكل مكان « ذاتاً » و « وجوداً » لا على معنى  
« العلم » و « القدرة » ؛ وألزمه محالات على ذلك .

وقال فى « المفكر » قبل ورود « السمع » مثل ما قالت « المعتزلة » : إنه  
يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال .

وقال فى « الإيمان » إنه عبارة عن « التصديق » ، ومن ارتكب  
كبيرة ومات عليها من غير « توبة » عوقب على ذلك ، ويجب أن يخرج من النار ؛  
فليس من العدل التسوية بينه وبين « الكفار » فى الخلود .

و « محمد بن عيسى » الملقب « بـرغوث » و « بشر بن غياث المريسي »  
و « الحسين النجار » : متقاربون فى المذهب . وكلهم أثبتوا كونه تعالى « مريداً » -  
لم يزل - لكل ما علم أنه سيحدث من : خير وشر ، وإيمان وكفر ، وطاعة  
ومعصية . وعامة « المعتزلة » يابون ذلك .

### ٣ - الضَّرَّارِيَّة

أصحاب « ضرار بن عمرو » ، و « حفص الفرد » ، واتفقا : فى « التعطيل » ،  
وعلى أنهما قالوا : البارئ تعالى عالم قادر ، على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز .  
وأثبتنا لله سبحانه « ماهية » لا يعلمها إلا هو ؛ وقالوا : إن هذه المقالة محكية  
عن « أبى حنيفة » رحمه الله وجماعة من أصحابه ، وأرادا بذلك : أنه يعلم نفسه  
شهادة ، لا بدليل ولا خبر ، ونحن نعلمه بدليل وخبر . وأثبتنا « حاسة » سادسة  
للإنسان ، يرى بها البارئ تعالى يوم الثواب فى الجنة . وقالوا : « أفعال العباد » :  
مخلوقة للبارئ تعالى حقيقة ؛ والعبد مكتسبها حقيقة ، وجوزا حصول فعل بين فاعلين .

وقالا : يجوز أن يقلب الله تعالى الأعراض أجساما ، والاستطاعة والعجز بعض  
الجسم وهو جسم ولا محالة ؛ بنى زمانين . وقالا : « الحجة » بعد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في الإجماع فقط ؛ فما ينقل عنه في أحكام الدين من طريق أخبار  
الآحاد ؛ فغير مقبول . ويحكى عن « ضرار » : أنه كان ينكر « حرف » عبد الله  
ابن مسعود ، و « حرف » « أبي بن كعب » ؛ ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله .  
وقال في المفكر قبل ورود السمع : إنه لا يجب عليه بعقله شيء حتى يأتيه الرسول ؛  
فيأمره وينهاه ، ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل . وزعم « ضرار » أيضاً :  
أن الإمامة تصلح في غير قريش ، حتى إذا اجتمع « قرشي » و « نبطي » قدمنا  
« النبطي » ؛ إذ هو أقل عدداً ، وأضعف وسيلة ، فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة .  
و « المعتزلة » وإن جوزوا « الإمامة » في غير « قريش » ، إلا أنهم لا يجوزون  
تقديم « النبطي » على « القرشي » .



مركز تحقيقات كبيوتر علوم سعودي

## الباب الثالث : الصفاتية

١ - أعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات  
أزلية : من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ،  
والجلال ، والإكرام ، والجود ، والإيناع ، والعزة ، والعظمة ؛ ولا يفرقون  
بين صفات الذات ، وصفات الفعل ؛ بل يسوقون الكلام سوفاً واحداً . وكذلك  
يثبتون صفات خبرية ؛ مثل : اليدين ، والوجه ؛ ولا يؤولون ذلك ؛ إلا أنهم  
يقولون : هذه الصفات قد وردت في الشرع ، فنسميها : صفات خبرية . ولما كانت  
المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون ؛ سمي السلف : صفاتية ،  
والمعتزلة : معطلة ؛ فبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه  
بصفات المحدثات ، واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها ، وما ورد به  
الخبر فافترقوا فيه فرقتين ؛ فمنهم من أوله على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم  
من توقف في التأويل ؛ وقال : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء ،  
فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها ، وقطعنا بذلك ؛ إلا أنا لا نعرف  
معنى اللفظ الوارد فيه ؛ مثل قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى ومثل  
قوله : خلقت يدي ومثل قوله : وجاء ربك إلى غير ذلك ، ولسنا مكلفين  
بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه :  
لا شريك له ، وليس كمثله شيء ؛ وذلك قد أثبتناه يقيناً . ثم إن جماعة  
من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف ؛ فقالوا : لا بد من إجرائها على  
ظاهرها ، والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف  
في الظاهر ؛ فوقعوا في التشبيه الصرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف .  
ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود ، لا في كلهم ، بل في القرائين  
منهم ؛ إذ وجدوا في التوراة ألفاظاً كثيرة تدل على ذلك . ثم الشيعة  
في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير : أما الغلو ؛ فتشبيه بعض أئمتهم

بالإله تعالى وتقدس ، وأما التقصير ؛ فتشبيه الإله بواحد من الخلق .  
ولما ظهرت المعتزلة و المتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن  
الغلو والتقصير ، ووقعت في الاعتزال ، وتخطت جماعة من السلف إلى التفسير  
الظاهر ؛ فوقعت في التشبيه .

وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ، ولا تهدفوا للتشبيه ؛ ففهم : مالك  
ابن أنس رضي الله عنهما ؛ إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والإيمان  
به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ومثل أحمد بن حنبل رحمه الله ، وسفيان الثوري ،  
وداود بن علي الأصفهاني ، ومن تابعهم .

حتى انتهى الزمان إلى : عبد الله بن سعيد الكلابي ، وأبي العباس القلانسي ،  
والخارث بن أسد المحاسبي ؛ وهؤلاء كانوا من جملة السلف ؛ إلا أنهم باشروا  
علم الكلام ، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية ، وصنف  
بعضهم ، ودرس بعض . . . حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه  
مناظرة في مسألة من مسائل الصيلاح والأصباح فتخاصما ؛ وانتهى الأشعري  
إلى هذه الطائفة ، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية ، وصار ذلك مذهباً لأهل السنة  
والجماعة . وانتقلت سمة الصفائية إلى الأشعرية . ولما كانت المشبهة «الكرامية»  
من مثبتي الصفات ؛ عددها : فرقتين من جملة «الصفائية» .

## ١ - الأشعرية

أصحاب: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري  
رضي الله عنهما . وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه  
كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه . وقد جرت مناظرة  
بين عمرو بن العاص وبينه ؛ فقال عمرو : أين أجد أحداً أحاكم إليه ربي ؟ فقال  
أبو موسى : أنا ذلك المتحاكم إليه ، فقال عمرو : أو يقدر علي شيئاً ثم يعذبني عليه؟

قال : نعم ، قال عمرو : ولم ؟ قال : لأنه لا يظالمك ، فسكت عمرو ولم يجر جواباً .

قال الأشعري : الإنسان إذا فكر في خلقته : من أى شيء ابتداء ، وكيف دار في أطوار الخلقه طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقه ، وعرف يقيناً : أنه بذاته لم يكن ليدير خلقته ، وينقله من درجة إلى درجة ، ويرقيه من نقص إلى كمال . . . علم بالضرورة أن له : صانعاً ، قادراً ، عالماً ، مريداً ؛ إذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع ؛ لظهور آثار الاختيار في الفطرة ، وتبين آثار الإحكام والإتقان في الخلقه ، فله صفات دلت أفعاله عليها ، لا يمكن جردها ؛ وكما دلت الأفعال على كونه : عالماً ، قادراً ، مريداً . . . دلت على : العلم ، والقدرة ، والإرادة ؛ لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهداً وغائباً ، وأيضاً لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم ، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ، ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة ؛ فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان ، ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ، ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت ، وقدر دون قدر ، وشكل دون شكل . وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حياً بحياة ، للدليل الذي ذكرناه . وألزم منكري الصفات إلزاماً لا يحصى لهم عنه ؛ وهو : أنكم وافقتمونا — بقيام الدليل — على كونه عالماً قادراً ؛ فلا يخلو : إما أن يكون المفهوم من الصفتين واحداً ، أو زائداً ؛ فإن كان واحداً ، فيجب أن يعلم بقادريته ، ويقدر بعالميته ، ويكون من علم الذات مطلقاً ، علم كونه عالماً قادراً ، وليس الأمر كذلك ؛ فعلم أن الاعتبارين مختلفان ؛ فلا يخلو : إما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ ، أو إلى الحال ، أو إلى الصفة . وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد ؛ فإن العقل يقضى باختلاف مفهومين معقولين ، ولو قدر عدم الألفاظ رأساً ما ارتاب العقل فيما تصوره . وبطل رجوعه إلى الحال ؛ فإن إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطة بين : الوجود والعدم ، والإثبات والنفي ؛ وذلك محال . فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات ؛ وذلك : مذهبه .

على أن القاضي أبا بكر الباقلاني، من أصحاب الأشعري، قد ردد قوله في إثبات الحال ونفيها، وتقرر رأيه على الإثبات، ومع ذلك أثبت الصفات معاني قائمة به؛ لا أحوالا. وقال: الحال الذي أثبت أبو هاشم هو الذي نسميه صفة: خصوصا إذا أثبت حالة أوجبت تلك الصفات.

قال أبو الحسن: الباري تعالى: عالم بعلم، قادر بقدره، حي بحياة، مرید بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر؛ وله في البقاء اختلاف رأى. قال: وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى، لا يقال: هي هو، ولا: هي غيره، ولا: لا هو، ولا: لا غيره. والدليل على أنه متكلم بكلام قديم، ومرید بإرادة قديمة: أنه قد قام الدليل على أنه تعالى ملك، والملك من له الأمر والنهي، فهو أمرناه؛ فلا يخلو: إما أن يكون أمراً بامر قديم، أو بامر محدث؛ وإن كان محدثاً فلا يخلو: إما أن يحدثه في ذاته، أو في محل، أو لا في محل. ويستحيل أن يحدثه في ذاته؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث؛ وذلك محال، ويستحيل أن يحدثه في محل؛ لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفاً، ويستحيل أن يحدثه لا في محل؛ لأن ذلك غير معقول، فتعين أنه: قديم، قائم به، صفة له. وكذلك التقسيم في الإدارة، والسمع، والبصر. قال: وعلمه واحد؛ يتعلق بجميع المعلومات: المستحيل، والجائز، والواجب، والموجود، والمعدوم. وقدرته واحدة؛ تتعلق بجميع ما يصلح وجوده من الجائزات. وإرادته واحدة؛ تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص. وكلامه واحد هو: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار، ووعد، ووعد؛ وهذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه، لا إلى عدد في نفس الكلام والعبارات. والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة، والمدلول قديم أزلي. والفرق بين القراءة والمقروء، والتلاوة والمتلو: كالفرق بين الذكر والمذكور؛ فالذكر محدث، والمذكور قديم. وخالف الأشعري بهذا التدقيق جماعة من الحشوية؛ إذ أنهم قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة.

والكلام عند الأشعري : معنى قائم بالنفس سوى العبارة ، والعبارة دلالة عليه من الإنسان ؛ فالمتكلم عنده من قام به الكلام ، وعند المعتزلة من فعل الكلام ؛ غير أن العبارة تسمى كلاماً : إما بالمجاز ، وإما باشتراك اللفظ . قال : وإرادته : واحدة ، قديمة ، أزلية ، متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة ، وأفعال عباده ؛ من حيث إنها مخلوقة له ، لا من حيث إنها مكتسبة لهم ؛ فعن هذا قال : أراد الجميع : خيرها ، وشرها ، ونفعها ، وضرها ؛ وكما أراد وعلم ، أراد من العباد ما علم ؛ وأمر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ ؛ فذلك حكمه ، وقضاؤه ، وقدره ، الذي لا يتغير ولا يتبدل . وخلاف المعلوم : مقدور الجنس ، محال الوقوع .

وتكليف ما لا يطاق جائز على مذهبه ؛ للعلة التي ذكرناها ؛ ولأن الاستطاعة عنده عرض ، والعرض لا يبيح زمانين ؛ ففي حال التكليف لا يكون المكلف قط قادراً ؛ لأن المكلف من يقدر على إحداث ما أمر به . فأما أن يجوز ذلك في حق من لا قدرة له أصلاً على الفعل فمحال ، وإن وجد ذلك منصوصاً عليه في كتابه . قال : والعبد قادر على أفعاله ؛ إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعدة ، وبين حركات الاختيار والإرادة . والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة ، متوقفة على اختيار القادر فعن هذا قال : المكتسب ، هو المقدور بالقدرة الحاصلة ، والحاصل تحت القدرة الحادثة .

ثم على أصل أبي الحسن : لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث ؛ لأن جهة الحدوث قضية واحدة ، لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض ، فلو أثرت في قضية الحدوث ، لأثرت في حدوث كل محدث ؛ حتى تصلح لإحداث : الألوان ، والطعوم ، والروائح ؛ وتصلح لإحداث الجواهر والأجسام ؛ فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة . غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة ، أو تحتها ، أو معها : الفعل الحاصل ؛ إذا أَرَادَهُ الْعَبْدُ ،



وتجرد له ، ويسمى هذا الفعل كسباً ؛ فيكون خلقاً من الله تعالى : إبداعاً وإحداثاً ، وكسباً من العبد : حصولاً تحت قدرته .

والقاضي أبو بكر الباقلاني تخطى عن هذا القدر قليلاً ؛ فقال : الدليل قد قام على أن القدرة الحادثة لا تصلح للإيجاد ؛ لكن ليست تقتصر صفات الفعل أو وجوهه واعتباراته على جهة الحدوث فقط ؛ بل ههنا وجوه آخر ، هن وراء الحدوث ؛ من كون الجوهر : جوهرأ ، متحيزأ ، قابلاً للعرض ؛ ومن كون العرض ، عرضأ ، ولوئأ ، وسوادأ . . . وغير ذلك ، وهذه أحوال عند مشيقي الأحوال . قال : فجهة كون الفعل حاصلًا بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة ، ويسمى ذلك : كسبأ ؛ وذلك هو أثر القدرة الحادثة . قال : وإذا جاز على أصل المعتزلة : أن يكون تأثير القدرة أو القادرية القديمة في حال : هو الحدوث والوجود ، أو في وجه من وجوه الفعل ؛ فلم لا يجوز أن يكون تأثير القدرة الحادثة في حال : هو عفة للحادث ، أو في وجه من وجوه الفعل ؛ وهو كون الحركة مثلاً على هيئة مخصوصة ؟ وذلك أن المفهوم من الحركة مطلقاً ومن العرض مطلقاً ، غير المفهوم من القيام والقعود ، وهما حالتان متميزتان ؛ فإن كل قيام حركة ، وليس كل حركة قياماً . ومن المعلوم : أن الإنسان يفرق فرقاً ضرورياً بين قولنا : أوجد ، وبين قولنا : صلى ، وصام ، وقعد ، وقام . وكما لا يجوز أن يضاف إلى الباري تعالى جهة ما يضاف إلى العبد ، فكذلك لا يجوز أن يضاف إلى العبد جهة ما يضاف إلى الباري تعالى ؛ فأثبت القاضي تأثيراً للقدرة الحادثة . وأثرها : هي الحالة الخاصة ؛ وهي جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل ، وتلك الجهة هي المتعينة لأن تكون مقابلة بالثواب والعقاب ؛ فإن الوجود من حيث هو وجود لا يستحق عليه ثواب وعقاب ، خصوصاً على أصل المعتزلة ؛ فإن جهة الحسن والقبح هي التي تقابل بالجزاء ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود ؛ فالوجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبح . قال : فإذا جاز لكم إثبات صفتين : هما حالتان ، جاز لي إثبات حالة :

هي متعلق القدرة الحادثة . ومن قال : هي حالة مجهولة ؛ فيينا بقدر الإمكان جهتها ، وعرفناها إيش هي (١) ، ومثلناها كيف هي .

ثم إن إمام الحرمين « أبا المعالي الجويني » ، تخطى عن هذا البيان قليلا ؛ قال : أما نفي هذه القدرة والاستطاعة ؛ فما ياباه العقل والحس ، وأما إثبات قدرة لا أثر لها بوجه ؛ فهو كنعني القدرة أصلا ، وأما إثبات تأثير في حالة لا يفعل ؛ [ فهو ] (٢) كنعني « التأثير » ، خصوصا والأحوال على أصلهم لا توصف بالوجود والعدم ... فلا بد إذا من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة ، لا على وجه الإحداث والخلق ؛ فإن الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العدم ، والإنسان كما يحس من نفسه الاقتدار ، يحس من نفسه أيضا عدم الاستقلال ؛ فالفعل يستند وجوده إلى القدرة ، والقدرة يستند وجودها إلى سبب آخر ؛ تكون نسبة القدرة إلى ذلك السبب كنسبة الفعل إلى القدرة ، وكذلك يستند سبب إلى سبب آخر ... حتى ينتهي إلى مسبب الأسباب ؛ فهو : الخالق للأسباب ومسبباتها ، المستغنى على الإطلاق ؛ فإن كل سبب — مهما استغنى من وجه — محتاج من وجه ، والباري تعالى هو الغني المطلق ، الذي لا حاجة له ولا فقر . وهذا الرأي إنما أخذه من الحكماء الإلهيين ، وأبرزه في معرض الكلام . وليس يختص نسبة السبب إلى المسبب — على أصله — بالفعل والقدرة ؛ بل كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمة . وحينئذ يلزم القول : بالطبع ، وتأثير الأجسام في الأجسام إيجادا ، وتأثير الطبائع في الطبائع إحداثا . وليس ذلك مذهب الإسلاميين . كيف ورأى المحققين من الحكماء : أن الجسم لا يؤثر في إيجاد الجسم ؛ قالوا : الجسم لا يجوز أن يصدر عن جسم ، ولا عن قوة ما في جسم ؛ فإن الجسم مركب من مادة وصورة ، فلو أثر لأثر بجهته ؛ أعني بمادته وصورته ، والمادة لها طبيعة عدمية ، فلو أثرت لأثرت

(١) بمعنى : أي شيء هي ، وهذا الاستعمال قديم شائع في هذا المعنى .

(٢) لفظه « فهو » ساقطة من جميع النسخ ، ولكننا نرى ضرورة إثباتها ؛ حتى لا يتمرد

المعنى ، أو يضل الفهم .

بمشاركة العدم ، والتالى محال ، فالمقدم إذا محال ففقيضه حق ؛ وهو : أن الجسم ، وقوة ما فى الجسم : لا يجوز أن يؤثر فى جسم .  
وتخطى من هو أشد تحقّقاً ، وأغوص تفكراً - عن الجسم وقوة ما فى الجسم - إلى كل ما هو جائز بذاته ؛ فقال : كل ما هو جائز بذاته لا يجوز أن يحدث شيئاً ما ؛ فإنه لو أحدث لأحدث بمشاركة الجواز ، والجواز له طبيعة عدمية ، فلو خلى الجائز وذاته كان عدماً ، فلو أثر الجواز بمشاركة العدم ، لأدى إلى أن يؤثر العدم فى الوجود ؛ وذلك محال . فإذا لا موجد على الحقيقة إلا واجب الوجود لذاته ، وما سواه - من الأسباب - معدات لقبول الوجود ، لا محدثات لحقيقة الوجود ؛ ولهذا شرح سنذكره . ومن العجب : أن مأخذ كلام الإمام أبى المعالى إذا كان بهذه المثابة ؛ فكيف يمكن إضافة الفعل إلى الأسباب حقيقة ؟ !

هذا ؛ ونعود إلى كلام صاحب المقالة . قال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري : إذا كان الخالق على الحقيقة هو البارئ تعالى ، لا يشاركه فى الخلق غيره ؛ فأخص وصفه تعالى هو : القدرة على الاختراع . قال : وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله . وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى : أخص وصفه هو : كون يوجب تمييزه عن الأكوان كلها . وقال بعضهم : نعلم يقيناً : أن ما من موجود إلا ويتميز عن غيره بأمر ما ؛ وإلا فيقتضى أن تكون الموجودات كلها مشتركة متساوية ، والبارئ تعالى موجود . فيجب أن يتميز عن سائر الموجودات بأخص وصف ، إلا أن العقل لا ينتهى إلى معرفة ذلك الأخص ، ولم يرد به سمع ؛ فتوقف . ثم : هل يجوز أن يدركه العقل ؟ ففيه خلاف أيضاً . وهذا قريب من مذهب ضرار ؛ غير أن ضراراً أطلق لفظ الماهية [ عليه تعالى ] ؛ وهو من حيث العبارة منكر . ومن مذهب الأشعري : أن كل موجود يصح أن يرى : فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود ، والبارئ تعالى موجود ؛ فيصح أن يرى ، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه فى الآخرة ؛ قال الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، . . . إلى غير ذلك من الآيات والأخبار . قال : ولا يجوز

أن تتعلق به الرؤية على : جهة ، ومكان ، وصورة ، ومقابلة ، واتصال شعاع ،  
أو على سبيل انطباع ؛ فإن كل ذلك مستحيل . وله قولان في ماهية الرؤية :  
أحدهما : أنه « علم » مخصوص ، ويعنى بالخصوص ؛ أنه يتعلق بالوجود دون  
العدم ، والثاني : أنه إدراك وراء العلم ؛ لا يقتضى تأثيراً في المدرك ، ولا تأثراً  
عنه . وأثبت أن السمع والبصر للبارئ تعالى صفتان أزليتان ؛ هما إدراك  
وراء العلم ، يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود . وأثبت اليبين  
والوجه صفات خبرية ؛ فيقول : ورد بذلك السمع فيجب الإقرار به كما ورد .  
وصغوه<sup>(١)</sup> إلى طريقة السلف ؛ من ترك التعرض للتأويل ، وله قول أيضاً في جواز  
التأويل . ومذهبه في الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام ، والسمع والعقل :  
مخالف للمعتزلة من كل وجه . قال : الإيمان هو التصديق بالجنان ، وأما القول  
باللسان ، والعمل بالأركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب ؛ أي : أقر بوحدانية  
الله تعالى ، واعترف بالرسول تصديقاً لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى - بالقلب -  
صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمناً ناجياً ، ولا يخرج من الإيمان  
إلا بإنكار شيء من ذلك . وصاحب الكبيرة : إذا خرج من الدنيا من غير توبة  
يكون حكمه إلى الله تعالى : إما أن يغفر له برحمته ، وإما أن يشفع فيه النبي  
صلى الله عليه وسلم ؛ إذ قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ، وإما أن يعذبه  
بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ، ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار ؛  
لما ورد به السمع : بالإخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان .  
قال : ولو تاب فلا أقول : بأنه يجب على الله تعالى قبول توبته بحكم العقل ؛  
إذ هو الموجب ، فلا يجب عليه شيء ؛ بلى : ورد السمع بقبول توبة التائبين .  
وإجابة دعوة المضطرين . وهو المالك في خلقه ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ،  
فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً ، ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً ؛

(١) الصغوه [ بفتح وسكون ، أو بكسر وسكون ] : الميل ؛ ومنه صفت النجوم والشمس :

إذ الظلم هو : التصرف فيما لا يملكه المتصرف ، أو وضع الشيء في غير موضعه ؛ وهو اذ لك المطلق ، فلا يتصور منه ظلم ، ولا ينسب إليه جور . قال : والواجبات كلها سمعية ، والعقل لا يوجب شيئاً ولا يقتضى تحسناً ولا تقييماً ؛ فمعرفة الله تعالى : بالعقل تحصل ، وبالسمع : تجب ؛ قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، . وكذلك : شكر المنعم ، وإثابة المطيع ، وعقاب العاصي ؛ يجب بالسمع دون العقل . ولا يجب على الله تعالى شيء ما بالعقل : لا الصلاح ، ولا الأصلاح ، ولا اللطف . وكل ما يقتضيه العقل من جهة الحكمة الموجبة ؛ فيقتضى تقيضه من وجه آخر . وأصل التكليف لم يكن واجبا على الله تعالى ؛ إذ لم يرجع إليه نفع ، ولا اندفع به عنه ضرر . وهو قادر على مجازاة العبيد : ثوابا ، وعقابا ؛ وقادر على الإفضال عليهم ابتداء : تكرماً ، وتفضلاً . والثواب ، والنعم ، واللطف ؛ كله منه فضل ، والعقاب ، والعذاب ؛ كله عدل : لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، . وأنجات الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ؛ ولكن بعدة الإنعامات تأييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات ؛ إذ لا بد من طريق الاستماع يسلكه ، ليعرف به صدق المدعى ، ولا بد من إزاحة العلل ؛ فلا يقع في التكليف تناقض . والمعجزة : فعل خارق للعادة ، مقترن بالتحدي ، سليم عن المعارضة ، ينزل منزلة التصديق بالقول ، من حيث القرينة ؛ وهو منقسم إلى خرق المعتاد ، وإلى إثبات غير المعتاد . والكرامات للأولياء حق ؛ وهي من وجه : تصديق للأنبياء ، وتأكيده للمعجزات .

والإيمان والطاعة بتوفيق الله تعالى ، والكفر والمعصية بخذلانه ؛ والتوفيق عنده : خلق القدرة على الطاعة ، والخذلان عنده : خلق القدرة على المعصية . وعند بعض أصحابه : تيسير أسباب الخير هو التوفيق ، وبضده الخذلان . وما ورد به السمع من الأخبار عن الأمور الغائبة ؛ مثل : القلم ، واللوح ، والعرش ، والكرسي ، والجنة ، والنار ؛ فيجب إجراؤها على ظاهرها ، والإيمان بها

كما جاءت ؛ إذ لا استحالة في إثباتها . وما ورد من الأخبار عن الأمور المستقبلية في الآخرة ؛ مثل : سؤال القبر ، والثواب والعقاب فيه ؛ ومثل : الميزان ، والحساب ، والصراط ، وانقسام الفريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ... حق ؛ يجب الاعتراف بها ، وإجراؤها على ظاهرها ؛ إذ لا استحالة في وجودها .

والقرآن عنده معجز من حيث : البلاغة ، والنظم ، والفصاحة ؛ إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة ، فاخاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة . ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن ؛ من جهة صرف الدواعي ، وهو المنع من المعارضة ، ومن جهة الإخبار عن الغيب .

وقال : الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار ، دون النص والتعيين ؛ إذ لو كان ثم نص لما خفي ، والدواعي تتوفر على نقله . واتفقوا في سقيفة بني ساعدة على أبي بكر رضي الله عنه ، ثم اتفقوا بعد تعيين أبي بكر على عمر رضي الله عنه ، واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضي الله عنه . واتفقوا بعده على علي ، رضي الله عنه . وهم مترتبون في الفضل ترتيبهم في الإمامة .

وقال : لا نقول في عائشة وطلحة والزبير : إلا أنهم رجعوا عن الخطأ ، وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة . ولا نقول في حق معاوية وعمرو بن العاص : إلا أنهما بغيا على الإمام الحق ؛ فقاتلهم علي ، مقاتلة أهل البغي . وأما أهل النهروان فهم الشراة (١) المارقون عن الدين ؛ بخبر النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد كان علي ، رضي الله عنه على الحق في جميع أحواله ؛ يدور الحق معه حيث دار .

---

(١) الشراة [ بالضم ] هم الخوارج الذين خرجوا على الإمام الحق على رضي الله عنه ؛ وإنما لزمهم هذا اللقب : لكثرة غضبهم ولجاجهم وخروجهم عن الحق ، أو لزعيمهم أنهم شروا دنياهم بالآخرة أي باعوها .

## ٢ - المُشَبَّهة

اعلم أن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ، ونصرهم : جماعة من أمراء بني أمية على قوهم بالقدر ، وجماعة من خلفاء بني العباس ؛ على قوهم بنفي الصفات وخلق القرآن . . . تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في متشابهات : آيات الكتاب الحكيم ، وأخبار النبي الأمين صلى الله عليه وسلم . فاما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجزوا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث ؛ مثل : مالك بن أنس ومقاتل ابن سليمان ، وسلكوا طريق السلامة ؛ فقالوا : تؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا تعرض للتأويل ؛ بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره . وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا : من حرك يده عند قراءة قوله [تعالى] : خلقت يدي ، أو أشار بأصبعه عند روايته : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، ... » وجب قطع يده ، وقلع أصبعيه . وقالوا : إنما توقفنا في تفسير الآيات وتأويلها ؛ لأمرين : أحدهما : المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب ، ؛ فنحن نحترز عن الزيغ .

والثاني : أن التأويل أمر مطنون بالاتفاق ، والقول في صفات الباري بالظن غير جائز ، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقنا في الزيغ ؛ بل نقول كما قال الراسخون في العلم : كل من عند ربنا : آمنا بظاهره ، وصدقنا بباطنه ، ووكنا عليه إلى الله تعالى ، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك ؛ إذ ليس ذلك من شرائط الإيمان وأركانه . واحتاط بعضهم أكثر احتياط ؛ حتى لم يقرأ : اليد وبالفارسية ،

ولا الوجه ، ولا الاستواء ، ولا ما ورد من جنس ذلك ؛ بل إن احتاج في ذكرها إلى عبارة عبر عنها بما ورد : لفظاً بلفظ . فهذا هو طريق السلامة ، وليس هو من التشبيه في شيء .

غير أن جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه ؛ مثل : الهشاميين من الشيعة ، ومثل : مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي ، وغيرهم من [ الحشوية ] (١) ؛ قالوا : معبودهم على صورة ؛ ذات أعضاء وأبعاد : إما روحانية ، وإما جسمانية . ويجوز عليه : الانتقال ، والنزول ، والصعود ، والاستقرار ، والتمكن .

فأما مشبهة الشيعة ؛ فستأتي مقالاتهم ، في باب الغلاة .

وأما مشبهة الحشوية ؛ فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى ، أنه حكى عن : مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي : أنهم أجازوا على ربهم : الملامسة ، والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة ؛ إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض . وحكى الكعبي عن بعضهم : أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا ، وأن يزوروه ، ويزورهم . وحكى عن داود الجواربي أنه قال : اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك . وقال : إن معبوده : جسم ، ولحم ، ودم ؛ وله جوارح ، وأعضاء ، من : يد ، ورجل ، ورأس ، ولسان ، وعينين ، وأذنين ؛ ومع ذلك : جسم لا كالأجسام ، ولحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء ؛ وكذلك سائر الصفات وهو : لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبه شيء . وحكى عنه أنه قال : هو : أجوف من أعلاه إلى صدره ، مصمت

---

(١) لم ترد كلمة « الحشوية » - التي زدناها بين المربعين - في كل المجموعات الاصول للكتاب التي بلغت اثنتي عشرة مجموعة والتي بين أيدينا ، والتي استبدلناها بما ورد في جميع النسخ من : « الشيعة » ، « السنة » ، « المشبهة » ، « أهل الشيعة » بعد الكثير من الفحص والتقصي ؛ لأن تمحص آرائهم ، وحكاية الأشعري عن مشبهة الحشوية اللاحقة ، يوجبان وهذه الزيادة أو هذا الاستبدال ، وفوق كل ذي علم عليم .



ما سوى ذلك ؛ وأن له وفرة سوداء (١) وله شعر قَطَط (٢) . وأما ما ورد في التزليل من : الاستواء ، والوجه ، واليدين ، والجنب ، والمجبيء ، والإتيان ، والفوقية . . . وغير ذلك ؛ فأجروها على ظاهرها ، أعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام . وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة [ وغيرها ] (٣) في قوله عليه السلام : « خلق آدم على صورة الرحمن » ، وقوله : حتى يضع الجبار قدمه في النار ، وقوله : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » ، وقوله : « نخر طينة آدم بيده أربعين صباحا » ، وقوله : « وضع يده أو كفه على كتفي » ، وقوله : « حتى وجدت برد أنامله على كتفي » . . . إلى غير ذلك . . . أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام . وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه السلام ، وأكثرها مقتبسة من اليهود ؛ فإن التشبيه فيهم طباع ، حتى قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وإن العرش ليسط من تحته كأطيظ الرجل الجديد (٤) ، وإنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع . وروى المشبهة عن النبي عليه السلام أنه قال : « لقيني ربي ؛ فصافني ، وكافني ، ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله » . وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن : إن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية ؛ وقالوا : « لا يعقل كلام ليس بحروف

(١) الوفرة [ بفتح فسكون ] شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن .

(٢) شعر قط [ بالفتح والتشديد ] وقطط [ بفتحين ] : قصر كثير الجعودة ، وقيل :

حسن التجاعيد .

(٣) لم تذكر جميع النسخ كلمة « وغيرها » التي يحتم علينا المعنى ذكرها أو ذكر ما في معناها ،

لتشمل - غير الصورة الواردة في الخبر الأول - ما ورد في الأخبار التالية من : القدم ، والأصابع واليد أو الكف ، والأنامل . . .

(٤) أط الرجل ونحوه : صوت ، وأطت الإبل : أنت تعبا . والرجل : مركب البعير

وما يكون عليه من الأثاث . . . والمعنى : أن العرش ليعجز عن حمله وعظمته ؛ لأن أطيظ الرجل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله .

ولا كلم، واستدلوا بأخبار؛ منها ما روي عن النبي عليه السلام: « ينادى الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الأولون والآخرون »، وروي: أن موسى عليه السلام كان يسمع كلام الله كجر السلاسل. قالوا: وأجمعت السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله، ولا نعرف من القرآن إلا ما هو بين أظهرنا؛ فنبصره، ونسمعه، ونقرؤه، ونكتبه. والمخالفون في ذلك: أما المعتزلة؛ فوافقونا على أن هذا الذي في أيدينا كلام الله، وخالفونا في القدم؛ وهم محجوجون بإجماع الأمة. وأما الأشعرية؛ فوافقونا على أن القرآن قديم، وخالفونا في أن الذي في أيدينا كلام الله؛ وهم محجوجون أيضاً بإجماع الأمة: أن المشار إليه هو كلام الله. فأما إثبات كلام، هو صفة قائمة بذات الباري تعالى: لا نبصرها، ولا نكتبها، ولا نقرؤها، ولا نسمعها؛ فهو مخالفة الإجماع من كل وجه. فنحن نعتقد: أن ما بين الدفتين كلام الله، أنزله على لسان جبريل عليه السلام؛ فهو: المكتوب في المصاحف، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من الباري تعالى بغير حجاب ولا واسطة؛ وذلك معنى قوله تعالى: سلام قولاً من رب رحيم؛ وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى إني أنا الله رب العالمين، ومناجاته من غير واسطة حتى قال تعالى: وكلم الله موسى تكليماً، وقال: إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي. وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى كتب التوراة بيده، وخلق جنة عدن بيده، وخلق آدم بيده. وفي التنزيل: وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء. قالوا: فنحن لا نزيد من أنفسنا شيئاً، ولا نندارك بعقولنا أمراً لم يتعرض له السلف؛ قالوا: ما بين الدفتين كلام الله، قلنا: هو كذلك؛ واستشهدوا عليه بقوله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ومن المعلوم: أنه ما سمع إلا هذا الذي نقرؤه. وقال تعالى: « إنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون، تنزيل من رب العالمين ». وقال: « في صحف مكرمة، مرفوعة

مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة . وقال : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » . وقال :  
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » . . . إلى غير ذلك من الآيات .  
ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية ؛ وقال : يجوز أن يظهر الباري  
تعالى بصورة شخص ، كما كان جبريل عليه السلام ينزل في صورة أعرابي ، وقد  
تمثل لمريم بشرا سوياً ، وعليه حمل قول النبي عليه السلام « رأيت ربي في أحسن  
صورة » . وفي التوراة عن موسى عليه السلام : شافته الله تعالى فقال لي : كذا .  
و « الغلاة من الشيعة » مذهبهم الحلول . ثم الحلول : قد يكون بجزء ، وقد يكون  
بكل ؛ على ما سيأتي في تفصيل مذاههم إن شاء الله تعالى .

### ٣ - الكرامية

أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام ، وإنما عددناه من الصفاتية ؛ لأنه كان ممن  
يثبت الصفات ، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه . وقد ذكرنا : كيفية  
خروجه ، واتباعه إلى أهل السنة ؛ فيما قدمنا ذكره .  
وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة ، وأصولها ستة : العابدية  
والتونية ، والزرينية ، والإسحاقية ، والواحدية ، وأقربهم : الهيصمية . ولكل واحدة  
منهم رأى ؛ إلا أنه لما لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين بل عن سفهاء أغتام جاهلين  
لم نفردها مذهباً ، وأوردنا مذهب صاحب المقالة ، وأشارنا إلى ما يتفرع منه .  
نص أبو عبد الله ، على أن معبوده على العرش استقراراً ، وعلى أنه بجهة  
فوق ذاتاً . وأطلق عليه اسم الجوهر ؛ فقال في كتابه المسمى عذاب القبر :  
إنه أحدى الذات ، أحدى الجوهر ، وإنه يماس للعرش من الصفحة العليا . وجوز :  
الاتقال ، والتحول ، والنزول . ومنهم من قال : إنه على بعض أجزاء العرش ،  
وقال بعضهم : امتلاً العرش به . وصار المتأخرون منهم : إلى أنه تعالى بجهة  
فوق ، وأنه محاذ للعرش . ثم اختلفوا : فقالت العابدية : إن بينه وبين العرش

من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولاً بالجواهر لا اتصلت به . وقال محمد بن ابيصم :  
إن بينه وبين العرش بعداً لا يتناهى ، وإنه مبين للعالم بينونة أزلية . ونفى التحيز  
والمحاذاة ، وأثبت الفوقية والمباينة . وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه .  
والمقاربون منهم قالوا : نعى بكونه جسماً : أنه قائم بذاته ؛ وهذا هو حد الجسم  
عندهم . وبنوا على هذا أن من حكم القائمين بأنفسهما : أن يكونا متجاورين  
أو متباينين ؛ ففضى بعضهم بالتجاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين .  
وربما قالوا : كل موجودين فإما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض  
مع الجوهر وإما أن يكون بجهة منه ، والبارى تعالى ليس بعرض إذ هو قائم  
بنفسه ؛ فيجب أن يكون بجهة من العالم ، ثم أعلى الجهات وأشرفها جهة فوق ؛  
فقلنا هو بجهة فوق بالذات حتى إذا رتئ - رتئ من تلك الجهة . ثم لم اختلافات  
في النهاية ؛ فمن المجسمة من أثبت النهاية له من ست جهات ، ومنهم من أثبت  
النهاية [ له ] من جهة تحت ، ومنهم من أنكر النهاية [ له ] فقال : هو عظيم .  
ولهم في معنى العظمة خلاف ؛ فقال بعضهم : معنى عظمته أنه مع وحدته  
على جميع أجزاء العرش ؛ والعرش تحته وهو فوق كله على الوجه الذي هو فوق  
جزء منه ، وقال بعضهم : معنى عظمته أنه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة أكثر  
من واحد ؛ وهو يلاقى جميع أجزاء العرش ؛ وهو العلى العظيم . ومن مذهبهم  
جميعاً : جواز قيام كثير من الحوادث بذات البارى تعالى . ومن أصلهم :  
أن ما يحدث في ذاته ؛ فإتما يحدث بقدرته ، وما يحدث مبايناً لذاته ؛ فإتما يحدث  
بواسطة الإحداث . ويعنون بالإحداث : الإيجاد والإعدام الواقعين في ذاته  
بقدرته من الأقوال والإرادات ؛ ويعنون بالمحدث : ما باين ذاته من الجواهر  
والأعراض . ويفرقون بين الخلق والمخلوق ، والإيجاد والموجود والموجد ،  
وكذلك بين الإعدام والمعدوم ؛ فالمخلوق : إنما يقع بالخلق ؛ والخلق إنما يقع  
في ذاته بالقدرة . والمعدوم : إنما يصير معدوماً بالإعدام الواقع في ذاته  
بالقدرة . وزعموا : أن في ذاته سبحانه حوادث كثيرة ؛ مثل : الإخبار  
عن الأمور الماضية والآتية ، والكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام ،

والقصص ، والوعد والوعيد والأحكام ؛ ومن ذلك المسمعات والمبصرات فيما يجوز أن يسمع ويبصر . والإيجاد والإعدام : هو القول والإرادة ؛ وذلك قوله : « كن ، للشيء الذي يريد كونه . وإرادته لوجود ذلك الشيء ؛ وقوله للشيء « كن » : صورتان .

وفسر محمد بن الهيصم الإيجاد والإعدام : بالإرادة والإيثار ؛ قال : وذلك مشروط بالقول شرعاً ؛ إذ ورد في التنزيل : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن ، فيكون » ؛ وقوله : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون » . وعلى قول الأكثرين منهم : الخلق عبارة عن القول والإرادة . ثم اختلفوا في التفصيل : فقال بعضهم : لكل موجود إيجاد ، ولكل معدوم إعدام . وقال بعضهم : إيجاد واحد يصلح لموجودين إذا كانا من جنس واحد ، وإذا اختلف الجنس تعدد الإيجاد . وألزم بعضهم : لو افتقر كل موجود أو كل جنس إلى إيجاد ؛ فليفتقر كل إيجاد إلى قدرة ؛ فالزم تعدد القدرة بتعدد الإيجاد . وقال بعضهم أيضاً : تعدد القدرة بعدد أجناس المحدثات ، وأكثرهم على أنها تعدد بعدد أجناس الحوادث التي تحدث في ذاته من : الكاف والتون ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ؛ وهي خمسة أجناس . ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر . ومنهم من أثبت لله تعالى السمع والبصر أزلاً ؛ والتسمعات والتبصرات هي إضافة المدركات إليهما . وقد أثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة بأصول المحدثات وبالحوادث التي تحدث في ذاته ، وأثبتوا إرادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات .

وأجمعوا على أن الحوادث لا توجب لله تعالى وصفاً ، ولا هي صفات له ؛ فتحدث في ذاته هذه الحوادث من : الأقوال ، والإرادات ، والتسمعات ، والتبصرات ؛ ولا يصير بها : قائلاً ، ولا مريداً ، ولا سمياً ، ولا بصيراً ؛ ولا يصير بخلق هذه الحوادث : محدثاً ، ولا خالقاً . وإنما هو : قائل بقائلته ، وخالق بخالقيته ، ومريد بمريديته ؛ وذلك قدرته على هذه الأشياء .

ومن أصلهم : أن الحوادث التي يحدثها في ذاته واجبة البقاء حتى يستحيل عدمها ؛ إذ لو جاز عليها العدم لتعاقبت على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر في هذه القضية ، وأيضاً ؛ فلو قدر عدمها فلا يخلو : إما أن يقدر عدمها بالقدرة ؛ أو بإعدام يخلقه في ذاته. ولا يجوز أن يكون عدمها بالقدرة ؛ لأنه يؤدي إلى ثبوت المعدوم في ذاته وشرط الوجود والمعدوم أن يكونا مباينين لذاته ، ولو جاز وقوع معدوم في ذاته بالقدرة من غير واسطة إعدام لجاز حصول سائر المعدومات بالقدرة . ثم يجب طرد ذلك في الموجد ؛ حتى يجوز وقوع موجد يحدث في ذاته ؛ وذلك محال عندهم ، ولو فرض إعدامها بالإعدام لجاز تقدير عدم ذلك الإعدام ؛ فيتسلسل ؛ فارتكبوا لهذا التحكم : استحالة عدم ما يحدث في ذاته . ومن أصلهم : أن المحدث إنما يحدث في ثاني حال ثبوت الإحداث بلا فصل ، ولا أثر للإحداث في حال بقائه . ومن أصلهم : أن ما يحدث في ذاته من الأمر فنقسم إلى : أمر التكوين ؛ وهو فعل يقع تحته المفعول ، وإلى ما ليس أمر التكوين ؛ وذلك : إما خبر ، وإما أمر التكليف ونهى التكليف ؛ وهي أفعال من حيث دلت على القدرة ، ولا تقع تحتها مفعولات . . . هذا هو تفصيل مذاهبهم في محل الحوادث .

وقد اجتهد ابن الهيثم في إرمام مقالة أبي عبد الله في كل مسألة ؛ حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيما بين العقلاء : مثل التجسيم ؛ فإنه قال : أراد بالجسم : القائم بالذات . ومثل الفوقية ؛ فإنه حملها على العلو ، وأثبت البينونة غير المتناهية ، وذلك الخلاء الذي أثبتته بعض الفلاسفة . ومثل الاستواء ؛ فإنه : نفي المجاورة والمماسة ، والتمكن بالذات . . . غير مسألة محل الحوادث ؛ فإنها لم تقبل المرمة ، فالتزمها كما ذكرنا ، وهي من أشنع المحالات عقلاً .

وعند القوم : أن الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير ؛ فيكون في ذاته - أكثر من عدد المحدثات - عوامل من الحوادث ؛ وذلك محال وشنيع .

وبما أجمعوا عليه من إثبات الصفات قولهم : البارئ تعالى : عالم بعلم ، قادر بقدره ، حي بحياة ، شاء بمشيئة ؛ وجميع هذه الصفات : صفات قديمة ،

أزلية ، قائمة بذاته . وربما زادوا السمع والبصر كما أثبتته الأشعري . وربما زادوا اليدين والوجه : صفات ، قديمة ، قائمة به ، وقالوا : له يد لا كالأيدي ، ووجه لا كالوجوه . وأثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق ؛ دون سائر الجهات .

وزعم ابن الهيضم : أن الذي أطلقه المشبهة على الله عز وجل من : الهيئة ، والصورة ، والجوف ، والاستدارة ، والوفرة ، والمصافحة ، والمعانقة ، ونحو ذلك ... لا يشبه سائر ما أطلقه الكرامية من : أنه خلق آدم بيده ، وأنه استوى على عرشه ، وأنه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق . وذلك أنا لا نعتقد من ذلك شيئاً على معنى فاسد : من جارحتين وعضوين ؛ تفسيراً لليدين ، ولا مطابقة للمكان واستقلال العرش بالرحمن ؛ تفسيراً للاستواء ، ولا تردداً في الأماكن التي تحيط به ؛ تفسيراً للجيء ، وإنما ذهبنا في ذلك إلى إطلاق ما أطلقه القرآن فقط من غير تكيف وتشبيه ، وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه كما أطلقه سائر المشبهة والمجسمة . وقال الباري تعالى عالم في الأزل بما سيكون على الوجه الذي يكون ، وشاء لتنفيذ علمه في معلوماته فلا ينقلب علمه جهلاً ، ومريد لما يخلق في الوقت الذي يخلق بإرادة حادثة ، وقائل لكل ما يحدث بقوله كن حتى يحدث ؛ وهو الفرق بين الإحداث والمحدث ، والخلق والمخلوق . وقال : نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى ، وأنه : أراد الكائنات كلها خيراً وشرها ؛ وخلق الموجودات كلها حسناً وقبيحاً . ونثبت للعبد فعلاً بالقدرة الحادثة ويسمى ذلك : كسباً ، والقدرة الحادثة مؤثرة في إثبات فائدة زائدة على كونه مفعولاً مخلوقاً للباري تعالى ؛ تلك الفائدة هي مورد التكليف ، والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب .

\*\*\*

وانفقوا على أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع ، وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة ؛ إلا أنهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والأصلح واللطف عقلاً ؛ كما قالت المعتزلة . وقالوا : الإيمان هو الإقرار باللسان فقط ؛ دون التصديق بالقلب . ودون سائر الأعمال . وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمناً ؛ فيما يرجع

إلى أحكام الظاهر والتكليف ، وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء ؛ فالمنافق  
عندهم : مؤمن في الدنيا على الحقيقة ، مستحق للعقاب الأبدى في الآخرة .  
وقالوا في الإمامة : إنها تثبت بإجماع الأمة دون النص والتعيين ؛ كما قال أهل السنة .  
إلا أنهم جوزوا عقد البيعة لإمامين في قطرين ، وغرضهم : إثبات إمامة معاوية  
في الشام باتفاق جماعة من أصحابه ، وإثبات أمير المؤمنين « علي » بالمدينة والعراقين  
باتفاق جماعة من الصحابة . ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام  
الشرعية ؛ قتالا على طنب قتلة عثمان رضي الله عنه ، وأستقلالا ببيت المال .  
ومذهبهم الأصلي اتهام « علي » رضي الله عنه في الصبر على ما جرى مع « عثمان »  
رضي الله عنه والسكوت عنه ؛ وذلك : عرق نزع .



مركز بحوث الكمبيوتر علوم إلكترونية



## الباب الرابع : الخوارج

١ - الخوارج ، والمرجئة ، والوعيدية :

كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى : خارجياً ؛ سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ؛ والأئمة في كل زمان .

والمرجئة : صنف آخر تكلموا في الإيمان والعمل ؛ إلا أنهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة .

والوعيدية : داخلة في الخوارج ؛ وهم القائلون : بتكفير صاحب الكبيرة ، وتخليده في النار ؛ فذكرنا مذاهبهم في أثناء مذاهب الخوارج .

ب - اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين « علي » رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين ، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين : الأشعث ابن قيس الكندي ، و [مسعر] (١) بن فديك التيمي ، وزيد بن حصين الطائي ؛ حين قالوا : « القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت تدعوننا إلى السيف » ! . . . حتى قال : « أنا أعلم بما في كتاب الله ! انفروا إلى بقية الأحزاب ! انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله ، وأتم تقولون : صدق الله ورسوله » قالوا : لترجعن « الأشتر » عن قتال المسلمين ؛ وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان ؛ فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع ، وولوا مدبرين ، وما بقي منهم إلا شذمة قليلة فيهم حشاشة قوة ؛ فامثل الأشتر أمره . وكان من أمر الحكيم : أن الخوارج حملوه على التحكيم أولاً ، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، فما رضی الخوارج بذلك ؛ وقالوا : هو منك ، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري

(١) لم يرد لفظ « مسعر » الذي أثبتناه بدل : مسعود ، ومسعد ، ومسعود - التي وردت في جميع النسخ الأصول للكتاب ، ولكن التحقيق التاريخي والترجي لهذا الاسم يحتمل لفظ « مسعر » بكسر فشكله فتفتح .

على أن يحكم بكتاب الله تعالى ، فجرى الأمر على خلاف ما رضى به ؛  
فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه ؛ وقالوا : لم حكمت الرجال ؟ لا حكم  
إلا لله . وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان .

وكبار الفرق منهم : المحكمة ، [ و ] الأزارقة ، والنجدات ، [ والبيهسية ] ،  
والمجاردة ، والثعالبة ، والإباضية ، والصفيرية (١) ؛ والباقون فروعهم .  
ويجمعهم : القول بالتبرى من عثمان وعلى رضى الله عنهما ؛ ويقدمون ذلك  
على كل طاعة ؛ ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب  
الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة : حقاً واجباً .

### ١ - المَحْكَمَةُ الْأُولَى

هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين « على » رضى الله عنه حين جرى أمر  
المحكّين ، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ، ورأسهم: عبد الله بن الكواء ،  
وعتاب بن الأعمور ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وعروة بن جرير ، ويزيد  
ابن عاصم المحاربي ، وحرقوق بن زهير البجلي المعروف بذي الثديّة . وكانوا  
يومئذ في اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام ؛ أعنى يوم النهروان .  
وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم ،  
وصوم أحدكم في جنب صيامهم ؛ ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقبهم » .  
فهم : المارقة ، الذين قال فيهم : « سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم  
يمرقون من الدين ؛ كما يمرق السهم من الرمية » .  
وهم الذين أولهم : ذو الخويرة ، وآخرهم : ذو الثديّة . وإنما خروجهم  
- في الزمن الأول - على أمرين :

(١) وقد اضطررنا إلى زيادة « البيهسية » وتقديم « اشعالبية » وتأخير « الصفيرية »  
وإضافة « واو قبل » الأزارقة ؛ ليستقيم الكلام ، ويتضح المعنى ، وليساق الإجمال التفصيل .

أحدهما : بدعتهم في الإمامة ؛ إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ، وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتباب الجور : كان إماماً ؛ ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وإن غير السيرة ، وعدل عن الحق ؛ وجب عزله أو قتله . وهم أشد الناس قولا بالقياس . وجوزوا : أن لا يكون في العالم إمام أصلاً ، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون : عبداً ، أو حراً ، أو نبظياً ، أو قرشياً .

والبدعة الثانية : أنهم قالوا : أخطأ « علي » في التحكيم ؛ إذ حكم الرجال ، ولا حكم إلا الله . وقد كذبوا علي « علي » رضي الله عنه من وجهين : أحدهما في التحكيم ؛ أنه حكم الرجال ، وليس ذلك صدقاً ؛ لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم . والثاني : أن تحكيم الرجال جائز ؛ فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة ، وهم رجال ؛ ولهذا قال علي رضي الله عنه : « كلمة حق أريد بها باطل » . وتخطوا عن هذه التخطئة إلى التكفير ، ولعنوا « علياً » رضي الله عنه فيما قاتل : الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين : فقاتل الناكثين ، واغتنم أموالهم ؛ وما سبى ذراريهم ونساءهم ، وقتل مقاتلة من القاسطين ؛ وما اغتنم ، ولا سبى ... ثم رضي بالتحكيم ، وقاتل مقاتلة المارقين ؛ واغتنم أموالهم ، وسبى ذراريهم . وطعنوا في عثمان رضي الله عنه ؛ للأحداث التي عدوها عليه . وطعنوا في أصحاب الجبل وأصحاب صفين ... فقاتلهم « علي » رضي الله عنه بالنهروان مقاتلة شديدة ، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة ، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة ؛ فانهزم اثنان منهم إلى عمان ، واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى تل مورو باليمن . وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم ، وبقيت إلى اليوم . وأول من بويع من الخوارج بالإمامة : عبد الله بن وهب الراسبي في منزل زيد بن حصين ؛ بايعه : عبد الله بن الكواء ، وعروة بن جرير ، ويزيد ابن عاصم المحاربي ، وجماعة معهم . وكان يمتنع عليهم تخرجاً ، ويستقبلهم ويومئ إلى غيره تخرزاً ؛ فلم يقنعوا إلا به ، وكان يوصف برأى ونجدة ؛ فترا من الحكمين ،

ومن رضى بقولها وصوب أمرهما . وأكفروا أمير المؤمنين « عليا ، رضى  
الله عنه وقالوا : إنه ترك حكم الله ، وحكم الرجال . وقيل : إن أول من تلفظ  
بهذا رجل من بنى سعد بن زيد بن مناة بن تميم يقال له : الحجاج بن عبيد الله  
يلقب بالبرك ، وهو الذى ضرب معاوية على إلبته - لما سمع بذكر الحكيم -  
وقال : أتحمك فى دين الله ؟ لا حكم إلا لله ، فلنحكم بما حكم الله فى القرآن به ؛  
فسمعها رجل فقال : طعن والله فأنفذا ، فسموا : المحكمة ؛ بذلك . ولما سمع  
أمير المؤمنين « على ، رضى الله عنه هذه الكلمة قال : « كلمة عدل أريد بها جور ؛  
إنما يقولون : لا إمامة ، ولا بد من إمامة بر أو فاجر . » ويقال : إن أول سيف  
سل من سيوف الخوارج سيف : عروة بن أذينة ؛ وذلك أنه أقبل على الأشعث  
ابن قيس ، فقال : يا هذه الدنيا يا أشعث ؟ وما هذا التحكيم ؟ أشرط أحدكم أو ثق  
من شرط الله تعالى ؟ ثم شهر السيف ، والأشعث مولى ، فضرب به عجز البغلة ،  
فشبت البغلة ، فنفرت اليمانية ؛ فلما رأى ذلك الأحنف : مشى هو وأصحابه إلى الأشعث  
فسألوه الصفع ؛ ففعل . وعروة بن أذينة نجى بعد ذلك من حرب النهروان  
وبقى إلى أيام معاوية ، ثم أتى إلى زياد بن أبيه ومعه مولى له ؛ فسأله زياد  
عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ فقال فهما خيراً ، وسأله عن عثمان ؛ فقال :  
كنت أوالى عثمان على أحواله فى خلافته ست سنين ، ثم تبرأت منه بعد ذلك  
للأحداث التى أحدثها ؛ وشهد عليه بالكفر ، وسأله عن أمير المؤمنين « على ،  
رضى الله عنه ؛ فقال : كنت أتولاه إلى أن حكم الحكيم ثم تبرأت منه بعد ذلك ؛  
وشهد عليه بالكفر ، وسأله عن معاوية ؛ فسه سباً قبيحاً ، ثم سأله عن نفسه ؛  
فقال : أركب لريبة ؛ وأخرك لدعوة ؛ وأنت فيما بينهما بعد عاص ربك ، فأمر  
زياد بوضب عنقه . ثم دعا مولاه ؛ فقال له : صف لى أمره وصدق ، فقال :  
أأظن أم أختصر ؟ فقال : بل أختصر ، فقال : ما أتيتك بطعام فى نهار قط ،  
ولا فرشت له فراشاً بليل قط . هذه معاملته واجتهاده ، وذلك خبثه واعتقاده .

## ٢ - الأزارقة

أصحاب «أبي راشد» : نافع بن الأزرق ، الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز ؛ فغلبوا عليها ، وعلى كورها ، وما وراها من بلدان : فارس وكرمان ؛ في أيام عبد الله بن الزبير ، وقتلوا عماله بهذه النواحي . وكان مع نافع من أمراء الخوارج : عطية بن الأسود الحنفي ، وعبد الله بن ماخون وأخواه عثمان والزبير ، وعمرو ابن عمير العنبري ، وقطرى بن الفجاءة المازني ، وعبيدة بن هلال اليشكري ، وأخوه محرز بن هلال ، وصخر بن حبيب التيمي ، وصالح بن مخراق العبدي ، وعبد ربه الكبير ، وعبد ربه الصغير . . . في زهاء ثلاثين ألف فارس ؛ ممن يرى رأيهم ، وينخرط في سلكهم . فأنقذ إليهم عبد الله بن الحرث بن نوفل النوفلي بصاحب جيشه : مسلم بن عيسى بن كرين ابن حبيب ؛ فقتله الخوارج ، وهزموا أصحابه . فأخرج إليهم أيضا عثمان بن عبد الله ابن معمر التيمي ؛ فهزموه . فأخرج إليهم حارثة بن بدر العتابي في جيش كثيف ؛ فهزموه ، وخشى أهل البصرة على أنفسهم وبلدهم من الخوارج . فأخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة ؛ فبقي في حرب الأزارقة تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج . ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الأزارقة ، وبأبوعوا بعده قطرى بن الفجاءة المازني ، وسموه : أمير المؤمنين .

وبدع الأزارقة ثمانية :

إحداهما : أنه أكفر عليا رضي الله عنه ، وقال : إن الله أنزل في شأنه : «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام» ؛ وصوب : عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وقال : إن الله تعالى أنزل في شأنه : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» .

وقال عمران بن حطان وهو : مفتي الخوارج ، وزاهدها ، وشاعرها الأكبر ؛

في ضربة ابن ملجم لعنه الله لعلي رضي الله عنه :

يا ضربة من متيب ما أراد بها إلا ليلبغ من ذى العرش رضوانا  
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا  
وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة ، وزادوا عليه تكفير : عثمان وطلحة  
والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ؛ وسائر المسلمين معهم ،  
وتخليدهم فى النار جميعاً .

والثانية : أنه أكفر القعدة ، وهو أول من أظهر البراءة من القعدة  
عن القتال ؛ وإن كان موافقاً له على دينه ، وأكفر من لم يهاجر إليه .  
والثالثة : إباحته قتل أطفال المخالفين والنسوان منهم .  
والرابعة : إسقاطه الرجم عن الزانى ؛ إذ ليس فى القرآن ذكره ، وإسقاطه  
حد القذف عن المحصنين من الرجال ؛ مع وجوب الحد على قاذف  
المحصنات من النساء .

والخامسة : حكمه بأن أطفال المشركين فى النار مع آبائهم .  
والسادسة : أن التقية غير جائزة فى قول ولا عمل .  
والسابعة : تجويزه أن يبعث الله تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته ،  
أو كان كافراً قبل البعثة . والكبائر والصغائر : إذا كانت بمثابة عنده ؛ وهى كفر ،  
وفى الأمة من جوز الكبائر والصغائر على الأنبياء عليهم السلام ؛ فهى كفر .  
والثامنة : اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر  
كفر ملة ؛ خرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مخلداً فى النار مع سائر الكفار ،  
واستدلوا بكفر إبليس ؛ وقالوا : ما ارتكب إلا كبيرة حيث أمر بالسجود  
لآدم عليه السلام فامتنع ؛ وإلا ، فهو عارف بوحدانية الله تعالى .

### ٣ - النَّجَدَاتُ الْعَاذِرِيَّةُ

أصحاب نجدة بن عامر الحنفي ؛ وقيل : عاصم ، وكان من شأنه أنه خرج  
من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالأزارقة ؛ فاستقبله : أبو فديك ، وعطية

ابن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق ؛ فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف : بتكفير القعدة عنه ، وسائر الأحداث ، والبدع ؛ وبايعوا نجدة ، وسموه أمير المؤمنين . ثم اختلفوا على نجدة ؛ فأكفره قوم منهم لأمور تقوموا عليه ؛ منها أنه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم وقوموها على أنفسهم وقالوا : إن صارت قيمتهن في حصصنا فذاك ، وإلا رددنا الفضل ؛ ونكحوهن قبل القسمة ، وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة . فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك قال : لم يسعكم ما فعلتم ؟ قالوا : لم نعلم أن ذلك لا يسعنا ؛ فعذرهم بحالهم . واختلف أصحابه بذلك ؛ فمنهم من وافقه ، وعذر بالجهالات في الحكم الاجتهادي ؛ وقالوا : الدين أمران : أحدهما : معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسوله عليهم السلام ، وتحريم دماء المسلمين — يعنون موافقيهم — ، والإقرار بما جاء من عند الله جملة . . . فهذا واجب على الجميع ، والجهل به لا يعذر فيه .

والثاني : ما سوى ذلك ؛ فالناس معدودون فيه . إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام . قالوا : ومن جوز العذاب على المجتهد المخطيء في الأحكام قبل قيام الحجة عليه ؛ فهو كافر ، واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العبد والذمة وأموالهم ؛ في حال التقية ، وحكم بالبراءة ممن حرمها . قال : وأصحاب الحدود - من موافقيه - لعل الله تعالى يعفو عنهم ؛ وإن عذبهم ففي غير النار ، ثم يدخلهم الجنة ؛ فلا تجوز البراءة عنهم . قال : ومن نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها ؛ فهو مشرك ، ومن زنى ، وشرب ، وسرق ؛ غير مصر عليه ؛ فهو غير مشرك ، وغاظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا .

ولما كاتب عبد الملك بن مروان وأعطاه الرضى : نقم عليه أصحابه فيه ؛ فاستتابوه ، فأظهر التوبة ، فتركوا النقمة عليه ، والتعرض له . وندمت طائفة على هذه الاستتابة ؛ وقالوا : أخطأنا ، وما كان لنا أن نستتيب الإمام ، وما كان له أن يتوب باستتابتنا إياه ؛ فتابوا من ذلك وأظهروا الخطأ ، وقالوا له : تب

من توبتك ؛ وإلا نابذناك ، فتاب من توبته . وفارقه : أبو فديك ، وعطية .  
ووثب عليه أبو فديك فقتله . ثم برى . أبو فديك من عطية ، وعطية من أبي فديك  
وأنفذ عبد الملك بن مروان : عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي مع جيش إلى حرب  
أبي فديك ؛ فخاربه أياماً ، فقتله ولحق عطية بأرض سجستان ، ويقال لأصحابه :  
العطوية ، ومن أصحابه : عبد الكريم بن مجرد زعيم العجاردة .

وإنما قيل للنجيدات : العاذرية ؛ لأنهم عذروا بالجهالات في أحكام الفروع .  
وحكى الكعبي عن النجيدات : أن التقية جائزة في القول والعمل كله ؛ وإن كان  
في قتل النفوس . قال : وأجمعت النجيدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط ،  
وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ؛ فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم  
عليه ، فأقاموه - جاز .

ثم افرقوا بعد نجدة إلى : عطوية ، وفديكية ، وبرى . كل واحد منهما عن صاحبه  
بعد قتل نجدة ، وصارت الدار لأبي فديك ، إلا من تولى نجدة . وأهل سجستان  
وخراسان وكرمان وقهستان - من الخوارج - على مذهب عطية .

وقيل : كان نجدة بن عامر ونافع بن الأزرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج  
على ابن الزبير ، ثم تفرقا عنه . واختلف نافع ونجدة : فصار نافع إلى البصرة ،  
ونجدة إلى اليمامة . وكان سبب اختلافهما أن نافعاً قال : التقية لا تحل ، والقعود  
عن القتال كفر ؛ واحتج بقول الله تعالى : « إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية  
الله ، وبقوله تعالى : « يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » . وخالفه  
نجدة ؛ وقال : التقية جائزة ، واحتج بقول الله تعالى : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ،  
وبقوله تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » : وقال : القعود  
جائز ، والجهاد إذا أمكنه أفضل ؛ قال الله تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين  
أجرأ عظيماً » . وقال نافع : هذا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين كانوا  
مقهورين ، وأما في غيرهم مع الإمكان فالقعود كفر ؛ لقول الله تعالى : « وقد  
الذين كذبوا الله ورسوله » .



## ٤ - البَيْهَسِيَّة

أصحاب : أبي بهس الهيصم بن جابر ، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة ، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد ، فهرب إلى المدينة ، فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه ؛ وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ؛ ففعل به ذلك . وكفر أبو بهس : إبراهيم ، وميمون ؛ في اختلافهما في بيع الأئمة ، وكذلك كفر الواقفية . وزعم : أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، والولاية لأولياء الله تعالى ، والبراءة من أعداء الله . فمن جملة ما ورد به الشرع وحكم به : ما حرم الله (١) ، وجاء به الوعيد ؛ فلا يسعه إلا : معرفته بعينه ، وتفسيره ، والاحتراز عنه . ومنه ما ينبغي أن يعرف باسمه ، ولا يضره ألا يعرفه بتفسيره حتى يتلى به ؛ وعليه أن يقف عندما لا يعلم ، ولا يأتي بشيء إلا يعلم . وبريء أبو بهس عن « الواقفية » بقوله : « إنا نقف فيمن واقع الحرام وهو لا يعلم أحلالا واقع أم حراما ؟ » قال : كان من حقه أن يعلم ذلك ، والإيمان : هو أن يعلم كل حق وباطل ، وإن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل . ويحكي عنه أنه قال : الإيمان : هو : الإقرار ، والعلم ؛ وليس هو أحد الأمرين دون الآخر . وعامة البهسية على أن العلم والإقرار والعمل كله إيمان ؛ وذهب قوم منهم إلى أنه لا يحرم سوى ما ورد في قوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه . . . الآية » ؛ وما سوى ذلك ، فكله حلال ، ومن البهسية قوم يقال لهم : العونية ؛ وهم فرقتان :

(١) وقد رأيت مع فضيلة الشيخ عبد الحليم البسيوني المصحح بالأزهر - على رغم إجماع النسخ على : « مما حرم الله » - أن المعنى لا يستقيم ، بل ولا يصح معها ؛ فاضطررنا إلى استبدال « ما » (التي نطقن ، أن الشهرستاني كتبها بخطه ، أو أرادها بـ « مما » التي أجمع عليها : تقصير : النسخ ، أو قصور المتعلمين - وفوق كل ذي علم عليم .

فرقة تقول : : من رجع من دار الهجرة إلى القعود برئنا منه ، وفرقة تقول : بل نتولاهم ؛ لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالاً لهم . والفرقتان اجتمعتا على أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية : الغائب منهم ، والشاهد . ومن البهسية صنف يقال لهم : أصحاب التفسير ؛ زعموا : أن من شهد من المسلمين شهادة ، أخذ : بتفسيرها ، وكيفيتها . وصنف يقال لهم : أصحاب السؤال : قالوا : إن الرجل يكون مسلماً : إذا شهد الشهادتين ، وتبرأ ، وتولى ، وآمن بما جاء من عند الله جملة ؛ وإن لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ؛ ولا يضره أن لا يعلم حتى يتلى به فيسأل ، وإن واقع حراماً لم يعلم تحريمه فقد كفر ، وقالوا في الأطفال بقول الثعلبية : إن أطفال المؤمنين مؤمنون ، وأطفال الكافرين كافرون . ووافقوا القدرية في القدر ؛ وقالوا : إن الله تعالى فوض إلى العباد ؛ فليس لله في أعمال العباد مشيئة . فبرئت منهم عامة البهسية . وقال بعض البهسية : إن واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الإمام الوالي ، ويحده ؛ وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور . وقال بعضهم : إن السكر إذا كان من شراب حلال ؛ فلا يؤخذ صاحبه بما قال فيه وفعل . وقالت العونية : السكر كفر ؛ ولا يشهدون أنه كفر ما لم ينضم إليه كبيرة أخرى : من ترك الصلاة ، أو قذف المحصن .

ومن الخوارج : أصحاب صالح بن مسرح ، ولم يبلغنا عنه أنه أحدث قولاً تميز به عن أصحابه ، فخرج على « بشر بن مروان » ، فبعث إليه بشر : الحارث بن عميرة أو الأشعث بن عميرة الهمداني ؛ أنفذه الحجاج لقتاله ، فأصابته صالحة جراحة ، في قصر جلولاء . فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني المكنى بأبي الصحرارى ؛ وهو الذى غلب على الكوفة وقتل من جيش الحجاج أربعة وعشرين أميراً ، كلهم أمراء الجيوش ؛ ثم انهزم إلى الأهواز وغرق في نهر الأهواز وهو يقول : « ذلك تقدير العزيز العليم » . وذكر « اليمان » : أن الشيبية يسمون : مرجئة الخوارج ؛ لما ذهبوا إليه من الوقف في أمر صالح . ويحكى عنه : أنه برىء منه وفارقه ؛ ثم خرج يدعى الإمامة لنفسه . ومذهب شبيب ما ذكرناه .

من مذاهب البهسية ؛ إلا أن شوكته ، وقوته ، ومقاماته مع المخالفين . . .  
بما لم يكن لخارج من الخوارج .  
وقصته مذكورة في التواريخ .

## ٥ - العجاردة

أصحاب : عبد الكريم بن مجرد . وافق النجدات في بدعهم ؛ وقيل : إنه كان  
من أصحاب أبي بهس ، ثم خالفه وتفرد بقوله : تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى  
إلى الإسلام ؛ ويجب دعاؤه إذا بلغ ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ،  
ولا يرى المال فيئاً حتى يقتل صاحبه ، وهم يتولون القعدة ؛ إذا عرفوهم بالديانة ،  
ويرون الهجرة فضيلة ؛ لا فريضة ، ويكفرون بالكبائر ، ويحكي عنهم : أنهم  
ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ؛ ويرعمون أنها قصة من القصص ؛  
قالوا : ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن .

ثم إن العجاردة : اختلفوا أصنافاً ، ولكل صنف مذهب على حiale ؛ إلا أنهم  
لما كانوا من جملة العجاردة أوردناهم على حكم التفصيل بالجدول والضلع (١) ؛ وهم :

(١) ثم نستطع الجزم بتفاصيل «الجدول والضلع» وكفتيهما؛ اللذين أشار إليهما الشهرستاني ؛  
لاضطراب جميع المجموعات التي عثرنا عليها أصولاً للكتاب - والتي بلغت اثنتي عشرة مجموعة -  
في ترتيب أصناف «العجاردة» المذكورة . ولنا كبير الأمل في الله أن يهدينا مخطوطة الشهرستاني  
نفسه لهذا الكتاب ، التي كتبها بخطه ؛ ففيها القول الفصل في هذه التفاصيل : شكلاً وموضوعاً .  
ومع هذا فلا بد لنا الآن من أن نتعمق في فهم «الموضوع» ونحاول جاهدين التقرب  
إلى «الشهرستاني» بالقرب منه ، أو الاتحاد به : «وما توفيتي إلا بالله» . وإنما آثرنا الترتيب  
الذي أبتناه في المتن ؛ لاعتقادنا - بعد أن أوسعنا الوسع ، وأجهدنا الجهد - أن هذا الترتيب  
الذي اصطفيناه : يساوق المعنى ، ويطابق الموضوع ، ويوافق «الشهرستاني» ؛ فبدأنا بذكر  
الصلبية ؛ لأن الأصول أجمعت على ذلك ، وأقول الشهرستاني عنهم : «تفردوا عن العجاردة» .  
وثبتنا بذكر الميمونية ؛ لقوله عن ميمون : «كان من جملة العجاردة إلا أنه تفرد عنهم» .  
وثبتنا بذكر الحزبية ؛ لقوله عنهم : «وافقوا الميمونية» . وربنا بذكر الخلفية ؛ لقوله عنهم =

أصحاب عثمان بن أبي الصلت ، والصلت بن أبي الصلت . تفردوا  
 ١ - الصَّلْتِيَّةُ } عن العجاردة بأن الرجل إذا أسلم توأماه ، وتبرأنا من أطفاله ؛  
 حتى يدركوا فيقبلوا الإسلام . ويحكي عن جماعة منهم : أنهم قالوا : ليس لأطفال  
 المشركين والمسلمين ولاية ، ولا عداوة ؛ حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام ؛  
 فيقروا ، أو ينكروا .

أصحاب : ميمون بن خالد . كان من جملة العجاردة ؛ إلا أنه تفرد  
 ب - الميمونية } عنهم : بإثبات القدر - خيره وشره - من العبد . وإثبات  
 الفعل للعبد : خلقاً ، وإبداعاً . وإثبات الاستطاعة قبل الفعل . والقول بأن الله  
 تعالى يريد الخير ؛ دون الشر ، وليس له مشيئة في معاصي العباد . وذكر الحسين  
 الكرايسى في كتابه الذى حكى فيه مقالات الخوارج : أن الميمونية يميزون نكاح  
 بنات البنات ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات ؛ وقالوا : إن الله تعالى حرم نكاح  
 البنات ، وبنات الإخوة والأخوات ؛ ولم يحرم نكاح بنات أولاد هؤلاء .  
 وحكى الكعبى والأشعري عن الميمونية إنكارها كون سورة يوسف  
 من القرآن . وقالوا بوجوب قتال السلطان ؛ وحده ؛ ومن رضى بحكمه ؛ فأما من  
 أنكره ، فلا يجوز قتاله : إلا إذا أعان عليه ، أو طعن فى دين الخوارج أو صار  
 دليلاً للسلطان وأطفال المشركين - عندهم - فى الجنة .

أصحاب : حمزة بن أدرك . وافقوا الميمونية فى القدر وفى سائر :  
 ح - الحمزية } بدعها . إلا فى أطفال مخالفيهم والمشركين ، فإنهم قالوا ،  
 هؤلاء كلهم فى النار .

وكان حمزة من أصحاب الحسين بن الرقاد ، الذى خرج بسجستان من أهل أوق .

== فى الميمونية : « وخالفه خلف الخارجى » ؛ وفى الخلفية : « خالفوا الحمزية وقالوا : الحمزية  
 ناقضوا » . وخسنا يذكر الأطراف ؛ لقوله عنهم : « فرقة على مذهب حمزة » . وسدسنا يذكر  
 الشعبية ؛ لقوله عن شعيب : « كان مع ميمون من جملة العجاردة » . وسبعنا يذكر الحمزية  
 لقوله عنهم : « أخذوا بقول شعيب . . . » « وقل ربى زدنى علماً » .

وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر ، واستحقاق الرئاسة ؛ فبرىء كل واحد منهما عن صاحبه . وجوز حمزة إمامين ، في عصر واحد ؛ ما لم تجتمع الكلمة ، ولم تقهر الأعداء .

و - الخَلْفِيَّةُ } أصحاب : خلف الخارجي ؛ وهم من خوارج : كرمان ، ومكران . خالفوا الحمزية في القول بالقدر ، وأضافوا القدر - خيره وشره - إلى الله تعالى ، وسلكوا في ذلك مسلك أهل السنة ، وقالوا : الحمزية ناقضوا ؛ حيث قالوا : لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم ، أو على ما لم يفعلوه كان ظلماً . وقضوا بأن أطفال المشركين في النار ، ولا عمل لهم ، ولا ترك . وهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض !

ه - الأَطْرَافِيَّةُ } فرقة على مذهب حمزة في القول بالقدر . إلا أنهم عذروا أصحاب الأطراف ، في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل ، وأثبتوا واجبات عقلية ؛ كما قالت القدرية . ورئيسهم : غالب بن شاذك ، من سجستان . وخالفهم عبد الله السديوري ، وتبرأ منهم .

ومنهم : المحمدية : أصحاب محمد بن رزق . وكان من أصحاب الحسين بن الرقاد ، ثم برىء منه .

و - الشُعَيْبِيَّةُ } أصحاب : شعيب بن محمد ، وكان مع ميمون من جملة العجاردة ؛ إلا أنه برىء منه ، حين أظهر القول بالقدر . قال شعيب : إن الله تعالى خالق أعمال العباد . والعبد : مكتسب لها : قدرة ، وإرادة ؛ مسئول عنها : خيراً وشرأ ؛ مجازى عليها : ثواباً ، وعقاباً . ولا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئة الله تعالى . وهو : على بدع الخوارج في الإمامة ، والوعيد ؛ وعلى بدع العجاردة في : حكم الأطفال ، وحكم القعدة ، والتولي والتبرى .

أصحاب : حازم بن علي . أخذوا بقول شعيب في أن الله تعالى  
 ز - الحازمية } خالق أعمال العباد ، ولا يكون في سلطانه إلا ما يشاء .  
 وقالوا بالموافاة ، وأن الله تعالى : إنما يتولى العباد ، على ما علم أنهم صائرون إليه  
 في آخر أمرهم من الإيمان ؛ ويتبرأ منهم على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر  
 أمرهم من الكفر . وأنه سبحانه لم يزل محبا لأوليائه ، مبغضاً لأعدائه .  
 ويحكي عنهم أنهم يتوقفون في أمر «علي» رضي الله عنه ، ولا يصرحون بالبراءة  
 عنه . ويصرحون بالبراءة في حق غيره .

### ٦ - الثعلبية

أصحاب : ثعلبة بن عامر . كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة ،  
 إلى أن اختلفا في أمر الأطفال ؛ فقال ثعلبة : إنا على ولايتهم : صغاراً ، وكباراً ؛  
 حتى نرى منهم إنكاراً للحق ، ورضاً بالجور . فتهرات العجاردة من ثعلبة . ونقل  
 عنه أيضاً أنه قال : ليس له حكم في حال الطفولة ، من ولاية ، وعداوة ؛ حتى  
 يدركوا ، ويدعوا ؛ فإن قبلوا فذاك ، وإن أنكروا كفروا . وكان يرى : أخذ  
 الزكاة من عبدهم إذا استغنوا وإعطاءهم منها إذا افتقروا .

أصحاب : أخنس بن قيس . من جملة الثعلبية . وانفرد عنهم  
 ١ - الأخنسية } بأن قال : أتوقف في جميع من كان في دار التقية من أهل  
 القبلة ؛ إلا من عرف منه إيمان فأتولاه عليه ، أو كفر فأتبرأ منه . وحرموا :  
 الاغتيال ، والقتل ، والسرقه في السر . ولا يبدأ أحد من أهل القبلة بالقتال ،  
 حتى يدعى إلى الدين ؛ فإن امتنع قوتل ؛ سوى من عرفوه بعينه على خلاف  
 قولهم . وقيل إنهم جوزوا : تزويج المسلمات ، من مشركي قومهم : أصحاب  
 الكبار . وهم على أصول الخوارج في سائر المسائل .

أصحاب : معبد بن عبد الرحمن ، كان من جملة الثعلبية .  
 ب - المعبدية } خالف الأخنس في الخطأ الذي وقع له في تزويج المسلمات

من مشرك . وخالف ثعلبة فيما حكم من أخذ الزكاة من عبيدهم ، وقال : إني لأبرأ منه بذلك ، ولا أدع اجتهادي في خلافه . وجوزوا أن تصير سهام الصدقة سهماً واحداً ، في حال التقية .

أصحاب : رشيد الطوسي ؛ ويقال لهم العشرية . وأصلهم : ح - الرُّشَيْدِيَّةُ } أن الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقى بالأنهار والقنى نصف العشر ؛ فأخبرهم زياد بن عبد الرحمن : أن فيه العشر ، ولا تجوز البراءة عن قال : فيه نصف العشر قبل هذا . فقال : رشيد إن لم تجز البراءة منهم فإننا نعمل بما عملوا ؛ فافترقوا في ذلك فرقتين .

أصحاب : شيبان بن سلمة . الخارج في أيام أبي مسلم ، وهو و - الشَّيْبَانِيَّةُ } المعين له ولعلي بن الكرمانى على نصر بن سيار ، وكان من الثعالبة ؛ فلما أعانها برئت منه الخوارج . فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته ، فقالت الثعالبة : لا تصح توبته ؛ لأنه قتل المواقين لنا في المذهب ، وأخذ أموالهم ، ولا تقبل توبة من : قتل مسلماً وأخذ ماله ؛ إلا بأن يقتصر من نفسه ، ويرد الأموال ؛ أو يوهب له ذلك . ومن مذهب شيبان : أنه قال بالجبر ، ووافق جهم بن صفوان في مذهبه إلى الجبر ، ونفى القدرة الحادثة . وينقل عن زياد ابن عبد الرحمن الشيباني أبي خالد : أنه قال : إن الله تعالى لم يعلم ، حتى خلق لنفسه علماً ؛ وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها . ونقل عنه أنه تبرأ من شيبان ، وأكفره حين نصر الرجزيين . فوَقَّعت عامة الشيبانية : بجرجان ، ونسا ، وأرمينية . والذي تولى شيبان ، وقال بتوبته : عطية الجرجاني ، وأصحابه .

أصحاب : مكرم بن عبد الله العجلي ، كان من جملة الثعالبة . ه - المَكْرَمِيَّةُ } وتفرد عنهم بأن قال : تارك الصلاة : كافر ؛ لا من أجل ترك الصلاة ولكن من أجل جهله بالله تعالى . وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الإنسان ، وقال إنما يكفر لجهله بالله تعالى ؛ وذلك أن العارف بوحداية الله تعالى ؛

وأنه المطلع على سره وعلايته ، المجازى على طاعته ومعصيته ؛ أن يتصور منه : الإقدام على المعصية ، والاجترار على المخالفة ؛ ما لم يغفل عن هذه المعرفة ، ولا يبالي بالتكليف [ منه ] (١) ؛ وعن هذا قال النبي عليه السلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، . . . الخبر . وخالفوا الثعالبية في هذا القول . وقالوا : بإيمان الموافاة ، والحكم بأن الله تعالى إنما يتولى عباده ويعاديهم على ما هم صائرُونَ إليه من موافاة الموت ، لا على أعمالهم التي هم فيها ؛ فإن ذلك ليس بموثوق به إصراراً عليه ؛ ما لم يصل المرء إلى آخر عمره ، ونهاية أجله ؛ فحينئذ إن بقى على ما يعتقد أنه هو الإيمان ؛ فنواليه ، وإن لم يبق فنعاديه ، وكذلك في حق الله تعالى ] : حكم الموالاتة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة . وكلهم على هذا القول .

و — المَعْلُومِيَّةُ وَالْمَجْهُولِيَّةُ } كانوا في الأصل حازمية ؛ إلا أن المعلوماتية } قالت : من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به ، حتى يصير عالماً بجميع ذلك ؛ فيكون مؤمناً . وقالت : الاستطاعة مع الفعل ، والفعل مخلوق للعبد ؛ فبرئت منهم الحازمية . وأما المجهولية ؛ فإنهم قالوا : من علم بعض أسماء الله تعالى وصفاته وجعل بعضها ؛ فقد عرفه تعالى . وقالت : إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى .

أصحاب : يحيى بن أصدم . أبدعوا : القول بأن تقطع } — البِدْعِيَّةُ } على أنفسنا بأن من اعتقد اعتقادنا فهو من أهل الجنة ، ولا نقول : إن شاء الله ؛ فإن ذلك شك في الاعتقاد ، ومن قال : أنا مؤمن إن شاء الله ؛ فهو شاك . فنحن من أهل الجنة قطعاً ، من غير شك .

(١) إنما استبدلنا « منه » بـ : « فيه » المذكورة في كثير من المجموعات الأصول ؛ ليتحقق المذهب ، ويتضح المعنى ؛ وكأنه يريد أن يقول : لا يقدم على المعصية إلا من غفل عن معرفة الإله الواحد المطلع على سره وعلايته ، ولا يجترىء على مخالفة أوامر الله إلا من لا يبالي بصدور التكليف منه سبحانه ، المجازى على الطاعة والمعصية ؛ إذ العارف المبالي بالتكليف : لا يبصى ولا يخالف .



## ٧ - الإِبَاضِيَّة

أصحاب : عبد الله بن إِباض ؛ الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية ؛ فقاتله بتبالة . وقيل إن عبد الله بن يحيى الإِباضى كان رفيقاً له فى جميع أحواله وأقواله . قال : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناحتهم جائزة ، وموارثهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ؛ وما سواه حرام . وحرام قتلهم وسبهم فى السر غيلة ؛ إلا بعد نصب القتال ، وإقامة الحججة .

وقالوا : إن دار مخالفهم من أهل الإسلام دار توحيد ؛ إلا معسكر السلطان ؛ فإنه دار بغى وأجازوا شهادة مخالفهم على أوليائهم . وقالوا فى مرتكبى الكبائر : إنهم موحدون ؛ لا مؤمنون . وحكى الكعبى عنهم : أن الاستطاعة عرض من الأعراض ، وهى قبل الفعل ؛ بها يحصل الفعل . وأفعال العباد : مخلوقة لله تعالى : إحدائاً ، وإبداعاً ؛ ومكتسبة للعبد ؛ حقيقة ، لا مجازاً . ولا يسمون إمامهم : أمير المؤمنين ؛ ولا أنفسهم : مهاجرين . وقالوا : العالم يفتنى كله إذا فتى أهل التكليف . قال : وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة ؛ لا كفر الملة . وتوقفوا فى أطفال المشركين ؛ وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام ، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلاً . وحكى الكعبى عنهم : أنهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى ؛ كما قال أبو الهذيل . ثم اختلفوا فى النفاق : أيسمى شركاً ، أم لا ؟ قالوا : إن المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين ؛ إلا أنهم ارتكبوا الكبائر ؛ فكفروا بالكبيرة لا بالشرك . وقالوا : كل شىء أمر الله تعالى به ، فهو : عام ليس بخاص ؛ وقد أمر به المؤمن والكافر ، وليس فى القرآن خصوص . وقالوا : لا يخلق الله تعالى شيئاً إلا دليلاً على وحدانيته ، ولا يد أن يدل به واحداً . وقال قوم منهم : يجوز أن يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل ، ويكلف العباد بما يوحى إليه ؛ ولا يجب عليه إظهار المعجزة ؛ ولا يجب

على الله تعالى ذلك ، إلى أن يخلق دليلاً ، ويظهر معجزة ... وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم ؛ تفرق : الثعالب ، والعجاردة :

أ- الحفصية هم أصحاب : حفص بن أبي المقدم . تميز عنهم بأن قال : إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة ، وهي معرفة الله تعالى وحده ؛ فمن عرفه ، ثم كفر بما سواه ؛ من : رسول ، أو كتاب ، أو قيامه ، أو جنة ، أو نار ؛ أو ارتكب الكبائر : من الزنا ، والسرقه ، وشرب الخمر ... فهو كافر ؛ لكنه برىء من الشرك .

ب- الحارثية أصحاب : الحارث الإباضي . خالف الإباضية : في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة ، وفي الاستطاعة قبل الفعل ، وفي إثبات طاعة لا يراد بها الله تعالى .

ج- الزيدية أصحاب : يزيد بن أنيسة ؛ الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة ، وتبرأ من بعدهم ، إلا الإباضية ؛ فإنه يتولاها . وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء ، وينزل عليه جملة واحدة ؛ ويترك شريعة المصطفى محمد عليه السلام ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن ؛ وليست هي الصابئة الموجودة : بحرّان ، وواسط وتولى يزيد من شهد [ لمحمد ] المصطفى (١) عليه السلام من أهل الكتاب بالنبوة ، وإن لم يدخل في دينه . وقال : إن أصحاب الحدود : من موافقيه ، وغيرهم : كفار مشركون . وكل ذنب صغير أو كبير ؛ فهو شرك .

(١) ولعل مجرد النظر إلى كلمة « بالنبوة » يحتم إثبات « لمحمد » فضلا عن تصحيح المذهب ، والأمانة في النقل ، وعدم فساد المعنى . وغير خاف الفرق الكبير بين « من شهد المصطفى » و « من شهد لمحمد المصطفى » أعنى بين : شاهده ، وشهد له . وإيعازي حضرات النسخ الأفاضل إذا لم أفهم ما أجمعوا عليه : من أن « يزيد » تولى « من شهد المصطفى من أهل الكتاب بالنبوة » وإن لم يدخل في دينه .

## ٨ - الصُّفْرِيَّةُ الزِّيَادِيَّةُ

أصحاب : زياد بن الأصفر . خالفوا : الأزارقة ، والنجدات ، والإباضية في أمور ؛ منها : أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال ؛ إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ، ولم يسقطوا الرجم ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركون وتكفيرهم وتخليدهم في النار . وقالوا : التقيية جائزة في القول دون العمل . وقالوا : ما كان من الأعمال عليه حدة واقع ، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد ؛ كالزنا ، والسرقه ، والقذف ؛ فيسمى زانياً ، سارقاً ، قاذفاً ، لا : كافراً مشركاً . وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد ، لعظم قدره ؛ مثل : ترك الصلاة ، والفرار من الزحف ؛ فإنه يكفر بذلك . ونقل عن الضحاك منهم : أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقيية ، دون دار العلانية . ورأى زياد ابن الأصفر جميع الصدقات سهماً واحداً في حال التقيية . ويحكى عنه أنه قال : نحن مؤمنون عند أنفسنا ، ولا ندرى ! لعننا نحن من الإيمان عند الله . وقال : الشرك شركان : شرك هو : طاعة الشيطان ، وشرك هو : عبادة الأوثان . والكفر كفران : كفر بإنكار النعمة ، وكفر بإنكار الربوبية . والبراءة براءتان : براءة من أهل الحدود سنة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة .

o o o

ولنختتم المذاهب بذكر تنمة رجال الخوارج :

من المتقدمين : عكرمة ، وأبو هارون العبدى ، وأبو الشعثاء ، وإسماعيل بن سميع . ومن المتأخرين : اليمان بن رباب : ثعلبي ؛ ثم : بهسي . وعبد الله بن يزيد ؛ ومحمد بن حرب . ويحيى بن كامل . . . إباضية .  
ومن شعرائهم : عمران بن حطان . وحبيب بن مرة صاحب الضحاك بن قيس . ومنهم أيضاً : جهيم بن صفوان ، وأبو مروان غيلان بن مسلم ، ومحمد بن عيسى : برغوث ، وأبو الحسين كلثوم بن حبيب المهلبى ، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصرى ،

وعلى بن حرملة ، وصالح قبة بن صبيح بن عمرو ، ومويس بن عمران البصرى ،  
وأبو عبد الله بن مسلمة ، وأبو عبد الرحمن بن مسلمة ، والفضل بن عيسى الرقاشى ،  
وأبو زكريا يحيى بن أصفح ، وأبو الحسين محمد بن مسلم الصالحى ، وأبو محمد  
عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدى ، ومحمد بن صدقة ، وأبو الحسين على بن زيد  
الإباضى ، وأبو عبد الله محمد بن كرام ، وكثوم بن حبيب المرادى البصرى .

والذين اعتزلوا إلى جانب ؛ فلم يكونوا مع على رضى الله عنه فى حروبه ،  
ولامع خصومه ؛ وقالوا : لا ندخل فى غمار الفتنة بين الصحابة رضى الله عنهم :  
عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، وأسامة  
ابن زيد بن حارثة الكلبي ؛ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال قيس بن أبى حازم : كنت مع على رضى الله عنه فى جميع أحواله  
وحروبه حتى قال يوم صفين : « انفروا إلى بقية الأحزاب ، انفروا إلى من يقول :  
كذب الله ورسوله ؛ وأتم تقولون : صدق الله ورسوله ، . . . فعرفت أى شىء  
كان يعتقد فى الجماعة : فاعتزلت عنه .

## الباب الخامس : المرجئة

١ - الإرجاء على معنيين : أحدهما بمعنى : التأخير ؛ كما في قوله تعالى : قالوا : « أرجه وأخاه » ، أى : أمهله وأخره . والثانى : إعطاء الرجاء .  
أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر ؛ فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وقيل : الإرجاء : تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ؛ فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا : من كونه من أهل الجنة ، أو من أهل النار : فعلى هذا : المرجئة ، والوعيدية ؛ فرقتان متقابلتان . وقيل : الإرجاء : تأخير « على » ، رضى الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة ؛ فعلى هذا : المرجئة ، والشيعية ؛ فرقتان متقابلتان . والمرجئة : أصناف أربعة : مرجئة الخوارج . ومرجئة القدرية . ومرجئة الجبرية . والمرجئة الخالصة . ومحمد بن شيب ، والصالحى ، والخالدى : من مرجئة القدرية . وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقى ؛ أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء . ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة منهم .

### ١ - اليُونُسِيَّة

أصحاب : يونس بن عون النيرى . زعم أن الإيمان هو : المعرفة بالله ، والخضوع له ، وترك الاستكبار عليه ، والمحبة بالقلب ؛ فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن ، وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان ، ولا يعذب على ذلك ؛ إذا كان الإيمان خالصاً ، واليقين صادقاً .  
وزعم أن إبليس كان عارفاً بالله وحده ؛ غير أنه كفر باستكباره عليه : « أبى واستكبر وكان من الكافرين » . قال : ومن تمكن فى قلبه : الخضوع لله ،

والمحبة له على خلوص و يقين : لم يخالفه في معصية ، وإن صدرت منه معصية ؛  
فلا تضره بيقينه وإخلاصه . والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبه ؛  
لا بعمله وطاعته .

## ٢ — العبيدِيَّة

أصحاب : عبيد المكتب . حكى عنه أنه قال : ما دون الشرك مغفور لا محالة ،  
وإن العبد إذا مات على توحيدِهِ لا يضره ما اقترف من الآثام ، واجترح  
من السيئات . وحكى اليمان عن عبيد المكتب وأصحابه : أنهم قالوا : إن علم  
الله تعالى لم يزل شيئاً غيره ، وإن كلامه لم يزل شيئاً غيره ؛ وكذلك دين الله  
لم يزل شيئاً غيره . وزعم أن الله تعالى عن قولهم على صورة إنسان ؛ وحمل عليه  
قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » .

## ٣ — الغسائيَّة

أصحاب : غسان الكوفي . زعم أن الإيمان هو : المعرفة بالله تعالى ، وبرسوله ؛  
والإقرار بما أنزل الله ، وبما جاء به الرسول . . . في الجملة ، دون التفصيل .  
والإيمان : لا يزيد ، ولا ينقص . وزعم أن قائلوا قال : أعلم أن الله تعالى  
قد حرم أكل الخنزير ، ولا أدري هل الخنزير الذي حرمه : هذه الشاة ، أم غيرها ؟  
كان مؤمناً . ولو قال : أعلم أن الله تعالى قد فرض الحج إلى الكعبة ، غير أني  
لا أدري أين الكعبة ؟ ولعلها بالهند : كان مؤمناً . . . ومقصوده : أن أمثال  
هذه الاعتقادات أمور وراء الإيمان ، لأنه كان شاكاً في هذه الأمور ؛ فإن عاقلاً  
لا يستجيز من عقله أن يشك في أن الكعبة : إلى أية جهة هي ؟ ، وأن الفرق  
بين الخنزير والشاة ظاهر .

ومن العجيب ! أن غسان كان يحكى عن أبي حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ،

ويعدده من المرجئة ؛ ولعله كذب كذلك عليه . . لعمرى ! كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه : مرجئة السنة . وعده كثير من أصحاب المقالات : من جملة المرجئة ؛ ولعل السبب فيه : أنه لما كان يقول : « الإيمان : هو التصديق بالقلب ، وهو لا يزيد ، ولا ينقص » : ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان . والرجل مع تخريجه في العمل كيف يفتى بترك العمل ؟ ! . وله سبب آخر ؛ وهو أنه كان يخالف القدرية ، والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول ؛ والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر : مرجئاً ، وكذلك الوعيدية من الخوارج ؛ فلا يعد أن اللقب إنما لزمه من فريق : المعتزلة ، والخوارج . والله أعلم .

#### ٤ - الثوبانية

أصحاب : أبي ثوبان المرجيء . الذين زعموا : أن الإيمان هو : المعرفة والإقرار بالله تعالى ، وبرسوله عليهم السلام ، وبكل ما لا يجوز في العقل أن يفعله ؛ وما جاز في العقل تركه فليس من الإيمان . وأخر العمل كله عن الإيمان . ومن القائلين بمقالة أبي ثوبان هذا : أبو مروان غيلان بن مروان الدمشقي ، وأبو شمر ، ومويس بن عمران ، والفضل الرقاشي ، ومحمد بن شبيب ، والعتابي ، وصالح قبة . وكان غيلان يقول بالقدر - خيره وشره - من العبد ؛ وفي الإمامة : إنها تصلح في غير قريش ، وكل من كان قائماً بالكتاب والسنة كان مستحقاً لها ؛ وإنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة . والعجب أن الأمة أجمعت على أنها لا تصلح لغير قريش ؛ وبهذا دفعت الأنصار عن قولهم : منا أمير ، ومنكم أمير . فقد جمع غيلان خصالاً ثلاثاً : القدر ، والإرجاء ، والخروج .

والجماعة التي عددناهم اتفقوا على أن الله تعالى لو عفا عن عاص في القيامة : عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله ؛ وإن أخرج من النار واحداً : أخرج من هو في مثل حاله . ومن العجب أنهم لم يجزموا القول بأن المؤمنين من أهل التوحيد يخرجون من النار لا محالة .

ويحكى عن مقاتل بن سليمان : أن المعصية لا تضر صاحب التوحيد والإيمان ، وأنه لا يدخل النار مؤمناً . والصحيح من النقل عنه : أن المؤمن العاصي ربه يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم ؛ يصيبه لفتح النار وحرها وهيبها ؛ فيتألم بذلك على قدر معصيته ، ثم يدخل الجنة ؛ ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤرجة بالنار .

ونقل عن بشر بن غياث المريسي أنه قال : إذا دخل أصحاب الكبائر النار ؛ فإنهم سيخرجون عنها بعد أن يعذبوا بذنوبهم ، وأما التخليد فيها فمحال ؛ وليس يعدل . وقيل : إن أول من قال بالإرجاء : الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار . إلا أنه ما أصر العمل عن الإيمان ، كما قالت المرجئة : اليونسية ، والمبيدية ؛ لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر ؛ إذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان ؛ حتى يزول الإيمان بزوالها .

### مرآة كبرى في التومنية

أصحاب : أبي معاذ التومني ، زعم أن الإيمان هو ما عصى من الكفر ، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك كفر ؛ وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ، ولا يقال للخصلة الواحدة منها إيمان ، ولا بعض إيمان . وكل معصية كبيرة أو صغيرة لم يجمع عليها المسلمون بأنها كفر لا يقال لصاحبها : فاسق ؛ ولكن يقال : فسق ، وعصى . قال : وتلك الخصال هي : المعرفة ، والتصديق ، والمحبة والإخلاص ، والإقرار بما جاء به الرسول . قال : ومن ترك الصلاة و صيام مستحلاً كفر ؛ ومن تركها على نية القضاء لم يكفر . ومن قتل نبياً أو لطمه كفر ؛ لا من أجل القتل واللطم ؛ ولكن من أجل : الاستخفاف ، والعداوة ، والبغض . وإلى هذا المذهب ميل : ابن الراوندي ، وبشر المريسي ؛ قالوا : الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً ، والكفر هو الجحود والإنكار . والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه ؛ ولكنه علامة الكفر .



## ٦ - الصَّالِحِيَّة

أصحاب : صالح بن عمر [الصالحى] . والصالحى ، ومحمد بن شبيب ، وأبو شمر ، وغيلان : كلهم جمعوا بين : القدر ، والإرجاء . ونحن وإن شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة ؛ إلا أنه بدا لنا في هؤلاء ؛ لانفرادهم عن المرجئة بأشياء . فأما الصالحى ؛ فقال : الإيمان هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق ، وهو أن للعالم صناعاً فقط ، والكفر هو الجهل به على الإطلاق ؛ قال : وقول القائل «ثالث ثلاثة» ليس بكفر ؛ لكنه لا يظهر إلا من كافر . وزعم : أن معرفة الله تعالى هي المحبة والخضوع له ؛ ويصح ذلك مع حجة الرسول . ويصح في العقل أن يؤمن بالله ، ولا يؤمن برسوله ؛ غير أن الرسول عليه السلام قد قال : « من لا يؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى » . وزعم : أن الصلاة ليست بعبادة لله تعالى ، وأنه لا عبادة له إلا الإيمان به ؛ وهو معرفته ، وهو خصلة واحدة : لا يزيد ، ولا ينقص ، وكذلك الكفر خصلة واحدة : لا يزيد ، ولا ينقص .

وأما أبو شمر المرجئ القدرى ؛ فإنه زعم : أن الإيمان هو المعرفة بالله عز وجل ، والمحبة والخضوع له بالقلب ، والإقرار به : أنه واحد ليس كمثل شيء ؛ ما لم تقم عليه حجة الأنبياء عليهم السلام ؛ فإذا قامت الحجة فالإقرار بهم وتصديقهم من الإيمان والمعرفة ، والإقرار بما جاءوا به من عند الله غير داخل في الإيمان الأصلي . وليست كل خصلة من خصال الإيمان إيماناً ولا بعض إيمان ؛ فإذا اجتمعت كانت كلها إيماناً . وشرط في خصال الإيمان معرفة العدل ؛ يريد به : القدر خيره وشره من العبد ؛ من غير أن يضاف إلى البارى تعالى منه شيء .

وأما غيلان بن مروان من القدرية المرجئة ؛ فإنه زعم أن الإيمان هو : المعرفة الثانية بالله تعالى ، والمحبة والخضوع له ، والإقرار بما جاء به الرسول ، وبما جاء من عند الله . والمعرفة الأولى فطرية ضرورية . فالمعرفة على أصله نوعان : فطرية ،

وهي عليه بأن للعالم صانعاً ، ولنفسه خالقاً ، وهذه المعرفة لا تسمى إيماناً ، إنما الإيمان هو المعرفة الثانية المكتسبة .

\*\*\*

**تَمِّمَةُ** رجال المرجئة - كما نقل - : الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، وعمرو بن مرة ، ومحارب بن زياد ، ومقاتل بن سليمان ، وذر ، وعمرو بن ذر ، وحامد بن أبي سليمان ، وأبو حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وقديد بن جعفر ... وهؤلاء كلهم : أئمة الحديث ؛ لم يكفروا أصحاب الكبار بالكبيرة ، ولم يحكموا بتخليدهم في النار ؛ خلافاً للخوارج والقدرية .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رسولي

## الباب السادس : الشيعة

الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا  
١ - الشيعة هم } إمامته وخلافته : نصاً ووصية ؛ إما جلياً وإما خفياً .  
واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ؛ وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ،  
أو بتقية من عنده . وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة  
وينتصب الإمام بنصهم ؛ بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ؛  
لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله .

القول بوجود التعيين والتنصيب ، وثبوت عصمة الأنبياء  
ويجمعهم } والأئمة وجوباً عن الكبار والصغار ، والقول بالتولي  
والتبري : قولاً ، وفعلاً ، وعقداً ؛ إلا في حال التقية .  
ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك . ولهم في تعدية الإمامة : كلام ، وخلاف  
كثير ؛ وعند كل تعدية ، وتوقف : مقالة ، ومذهب ، وخطب .  
وهم خمس فرق : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية .  
وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه .

### ١ - الكيسانية

أصحاب : كيسان ، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،  
وقيل : تلميذ للسيد : محمد بن الحنفية رضي الله عنه . يعتقدون فيه اعتقاداً فوق  
حده ودرجته ؛ من : إحاطته بالعلوم كلها ، واقتباسه من السيدين ، الأسرار بجملتها  
من علم التأويل والباطن ؛ وعلم الآفاق والأنفس .

القول بأن الدين طاعة رجل ؛ حتى حملهم ذلك على تأويل  
ويجمعهم } الأركان الشرعية ؛ من الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ...

وغير ذلك . . . على رجال ؛ فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ ؛ والحلول ؛ والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر على واحد ؛ معتقد أنه : لا يموت ، ولا يجوز أن يموت ؛ حتى يرجع ، ومن معد حقيقة الإمامة إلى غيره ؛ ثم : متحسر عليه ؛ متحير فيه ، ومن مدع حكم الإمامة ؛ وليس من الشجرة .

وكلهم } خيارى متقطعون . ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له ؛ فلا دين له . نعوذ بالله من الحيرة والخور بعد الكور . رب ! أهدنا السبيل .

أصحاب : المختار بن أبي عبيد الثقفي ، كان خارجياً ، ثم صار } ١ - المُنْتَخَرِيَّةُ  
زبيرياً ، ثم صار شيعياً وكيسانياً . قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين « علي » ، رضي الله عنهما ؛ وقيل لا ؛ بل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان يدعو الناس إليه ، وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته ، ويذكر علوماً مزخرفة بترهاته ينوطها به . ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك : تبرأ منه ، وأظهر لأصحابه أنه إنما نمس على الخلق ذلك ؛ ليشي أمره ، ويجمع الناس عليه . وإنما انتظم له ما انتظم بأمرين : أحدهما انتسابه إلى محمد بن الحنفية : علماً ؛ ودعوة ، والثاني قيامه بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما ؛ واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلة الذين اجتمعوا على قتل الحسين . فمن مذهب المختار : أنه يجوز « البداء » ، على الله تعالى ، والبداء له معان : البداء في العلم ؛ وهو أن يظهر له خلاف ما علم ؛ ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد ، والبداء في الإرادة ؛ وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء في الأمر ؛ وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز «النسخ» ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة . وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء ؛ لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال : إما بوحي يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ؛

فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ؛ فإن وافق كونه قوله : جعله دليلاً على صدق دعواه ؛ وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم . وكان لا يفرق بين النسخ ، والبداء ؛ قال : إذا جاز النسخ في الأحكام : جاز البداء في الأخبار . وقد قيل : إن السيد محمد بن الحنفية تبرأ من المختار ، حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس : أنه من دعائه ، ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدئها المختار ؛ من : التأويلات الفاسدة ، والمخاريق الموهمة . فمن مخاريقه : أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة ؛ وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل ؛ وكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول : قاتلوا ولكم الظفر والنصرة ، وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل ، وفيه السكينة ، والبقية ؛ والملائكة من فوقكم ينزلون مبدأ لكم . وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء ؛ وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض : معروف . والأسجاع التي ألفها أبرد تأليف : مشهورة وإنما حملها على الانتساب إلى محمد بن الحنفية : حسن اعتقاد الناس فيه ، وامتلاء القلوب بمحبته . والسيد : محمد بن الحنفية كان : كثير العلم ، عزيز المعرفة ، وقاد الفكر ، مصيب الخاطر في العواقب ؛ قد أخبره أمير المؤمنين على رضی الله عنه عن أحوال الملاحم ، وأطلعته على مدارج المعالم ؛ وقد اختار العزلة : فأثر الخمول على الشهرة . وقد قيل : إنه كان مستودعاً علم الإمامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها ، وما فارق الدنيا إلا وقد أقرها في مستقرها .

وكان السيد الحميري ، وكثير عزة الشاعر : من شيعته ؛

قال « كثير ، فيه :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق : أربعة سواء :  
على ، والثلاثة من بنيهم هم الأسباط ، ليس بهم خفاء  
نسبت : سبط إيمان وبر وسبط : غيبته كربلاء

وسبط : لا يذوق الموت حتى يقود الخيول يقدمه اللواء  
تغيب - لا يرى فيهم زماناً - برضوى ، عنده غسل وماء

وكان السيد الحميري - أيضاً - يعتقد فيه : أنه لم يموت ، وأنه في جبل : رضوى ؛  
بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان ؛ تجريان بماء وغسل ، وأنه يعود  
بعد الغيبة ؛ فيملا الأرض عدلاً ؛ كما ملئت جوراً . وهذا هو أول حكم بالغيبة  
والعودة بعد الغيبة حكم به الشيعة . وجرى ذلك في بعض الجماعة ؛ حتى اعتقدوه :  
دينياً ، وركناً من أركان التشيع .

ثم اختلفت الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الإمامة ؛ وصار  
كل اختلاف مذهباً :

ب - الهاشمية } أتباع : أبي هاشم بن محمد بن الحنفية . قالوا : بانتقال محمد  
ابن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه ؛ وانتقال الإمامة منه  
إلى ابنه أبي هاشم . قالوا : فإنه أفضى إليه أسرار العلوم ؛ وأطلعه على : مناهج  
تطبيق الآفاق على الأنفس ، وتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الظاهر  
على الباطن . قالوا : إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل شخص روحاً ، ولكل تنزيل  
تأويلاً ، ولكل مثال - في هذا العالم - حقيقة في ذلك العالم . والمنتشر في الآفاق  
من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنساني ؛ وهو : العلم الذي استأثر  
عليه رضي الله عنه به ابنه : محمد بن الحنفية ؛ وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه  
أبي هاشم . وكل من اجتمع فيه هذا العلم ؛ فهو الإمام حقاً .

واختلفت بعد أبي هاشم شيعته : خمس فرق :

فرقة قالت : إن أبا هاشم مات - منصرفاً من الشام - بأرض الشراة ، وأوصى  
إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وانجرت في أولاده الوصية ، حتى صارت  
الخلافة إلى بني العباس . قالوا : ولهم في الخلافة حتى ؛ لاتصال النسب ،  
وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمه العباس أولى بالوراثة .

وفرقه قالت : إن الإمامة بعد موت أبي هاشم لابن أخيه : الحسن بن علي ابن محمد بن الحنفية .

وفرقه قالت : لا ؛ بل إن أبا هاشم أوصى إلى أخيه : علي بن محمد ، وعلى أوصى إلى ابنه : الحسن ؛ فالإمامة عندهم في بني الحنفية : لا تخرج إلى غيرهم .  
وفرقه قالت : إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ؛ وإن الإمامة خرجت من أبي هاشم إلى عبد الله ؛ وتحولت روح أبي هاشم إليه .  
والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة ؛ فاطلع بعض القوم على خيائته ، وكذبه ؛ فأعرضوا عنه ؛ وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .  
وكان من مذهب عبد الله : أن الأرواح تناسخ من شخص إلى شخص ، وأن الثواب والعقاب : في هذه الأشخاص ؛ إما أشخاص بني آدم ، وإما أشخاص الحيوانات . قال : وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه ، وحلت فيه . وادعى الإلهية ، والنبوة معاً ؛ وأنه يعلم الغيب . فعبده شيعته الحق ، وكفروا بالقيامة ؛ لاعتقادهم : أن التناسخ يكون في الدنيا ، والثواب والعقاب في هذه الأشخاص .  
وتأول قول الله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا . . . الآية ، على أن من وصل إلى الإمام ، وعرفه : ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ، ووصل إلى الكمال والبلاغ .

وعنه نشأت : الخرمية ، والمزدكية بالعراق . وهلك عبد الله بخراسان ، وافتقرت أصحابه ؛ فمنهم من قال : إنه بعد حي ، لم يميت ؛ ويرجع .  
ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه إلى إسحاق بن زيد بن الحارث الأنصاري ؛ وهم الحارثية : الذين يديحون المحرمات ، ويعيشون عيش من لا تكليف عليه .

وبين أصحاب عبد الله بن معاوية ، وبين أصحاب محمد بن علي : خلاف شديد في الإمامة ؛ فإن كل واحد منهما يدعى الوصية من أبي هاشم إليه ؛ ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد .

ح - البَيَانِيَّة } أتباع : بيان بن سيمان التميمي . قالوا بانتقال الإمامة  
 من أبي هاشم إليه . وهو : من الغلاة القائلين بإلهية أمير  
 المؤمنين علي رضي الله عنه ؛ قال : حل في علي جزء إلهي ، واتحد بجسده : فبه  
 كان يعلم الغيب ؛ إذ أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار ؛  
 وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر ؛ وعن هذا قال : والله ما قلعت باب  
 خيبر بقوة جسدانية ، ولا بحركة غذائية ؛ ولكن قلعته بقوة رحمانية ملكوتية ،  
 بنور ربها مضيئة . فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة ، والنور الإلهي  
 كالنور في المصباح . قال : وربما يظهر «علي» في بعض الأزمان ؛ وقال في تفسير  
 قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » : أراد به علياً ؛  
 فهو الذي يأتي في الظلل ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه . ثم ادعى بيان : أنه  
 قد انتقل إليه الجزء الإلهي ، بنوع من التناسخ ؛ ولذلك استحق أن يكون : إماماً ،  
 وخليفة ؛ وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم عليه السلام سجود الملائكة .  
 وزعم : أن معبوده على صورة إنسان : عضواً فعضواً ، وجزءاً فجزءاً .  
 وقال : يهلك كله إلا وجهه ؛ لقوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » .  
 ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر رضي الله عنهم ،  
 ودعاه إلى نفسه ؛ وفي كتابه : « أسلم تسلم ، ويرتقى من سلم ؛ فإنك لا تدري  
 حيث يجعل الله النبوة » . فأمر الباقر : أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به ،  
 فأكله ، فمات في الحال . وكان اسم ذلك الرسول : عمر بن أبي عفيف .  
 وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سيمان ؛ ودانوا به وبمذهبه ؛ فقتله خالد  
 ابن عبد الله القسري على ذلك ؛ وقيل : أحرقه «الكوفي» المعروف «بالمعروف»  
 ابن سعيد ، بالنار - معاً .

د - الرِّزَامِيَّة } أتباع : رزام بن رزم . ساقوا الإمامة : من علي ، إلى ابنه  
 محمد ، ثم إلى ابنه أبي هاشم ، ثم منه إلى علي بن عبد الله  
 ابن عباس بالوصية ، ثم ساقوها إلى محمد بن علي ، وأوصى محمد إلى ابنه : إبراهيم



الإمام ، وهو صاحب : أبي مسلم ؛ الذي دعا إليه ، وقال بإمامته . وهؤلاء ظهروا  
بخراسان في أيام أبي مسلم ؛ حتى قيل : إن أبا مسلم كان على هذا المذهب ؛ لأنهم  
ساقوا الإمامة إلى أبي مسلم : فقالوا : له حظ في الإمامة ، وادعوا : حلول  
روح الإله فيه ؛ ولهذا : أيده على بني أمية ؛ حتى قتلهم عن بكره أبيهم ،  
واصطلبهم<sup>(١)</sup> . وقالوا بتناسخ الأرواح .

والمقنع الذي ادعى الإلهية لنفسه على مخاريق أخرجها كان في الأول على هذا  
المذهب ، وتابعه مبيضة ما وراء النهر ؛ وهؤلاء : صنف من الحنوية ؛ دانو بترك  
الفرائض ، وقالوا : الدين : معرفة الإمام فقط . ومنهم من قال : الدين امران :  
معرفة الإمام ، وأداء الأمانة ؛ ومن حصل له الأمران ، فقد وصل إلى الكمال ،  
وارتفع عنه التكليف . ومن هؤلاء : من ساق الإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله  
ابن عباس من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ؛ وصية إليه ، لامن طريق آخر .  
وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الأول ، واقتبس  
من دعواتهم العلوم التي اختصوا بها ، وأحسن منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم ؛  
فكان يطلب المستقر فيه ؛ فبعث إلى الصادق : جعفر بن محمد رضي الله عنهما :  
أني قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس عن موالاته بني أمية إلى موالاته أهل  
البيت ، فإن رغبت فيه ، فلا مزيد عليك . فكتب إليه الصادق رضي الله عنه :  
ما أنت من رجالي ، ولا الزمان زمانى . فحاد أبو مسلم إلى أبي العباس عبد الله  
ابن محمد السفاح ، وقلده أمر الخلافة .

## ٢ - الزيدية

أتباع : زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . ساقوا  
الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ؛  
إلا أنهم جوزوا أن يكون كل : فاطمي ، عالم ، زاهد ، شجاع ، سخي ، خرج بالإمامة .

(١) اصلم [ بفتح فكون ] : القطع المتأصل . وللعنى : أذلهم ، واستأصلهم .

أن يكون - إماماً واجب الطاعة ؛ سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين  
رضي الله عنهما . وعن هذا ؛ جوز قوم منهم : إمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني  
عبد الله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا على ذلك ؛ وجوزوا :  
خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ، ويكون كل واحد منهما  
واجب الطاعة .

وزيد بن علي - لما كان مذهبه هذا المذهب - أراد أن يحصل الأصول والفروع  
حتى يتحلى بالعلم ؛ فتلذذ في الأصول لو اصل بن عطاء الغزال الأثخ رأس المعتزلة  
ورئيسهم ؛ مع اعتقاد واصل : أن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه  
التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام ما كان علي يقين من الصواب ؛  
وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه . فاقتبس منه الاعتزال ، وصارت  
أصحابه كلهم : معتزلة . وكان من مذهبه : جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ؛  
فقال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فوضت  
إلى أبي بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها : من تسكين نائرة الفتنة ،  
وتطيب قلوب العامة ؛ فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة : كان قريباً ،  
وسيف أمير المؤمنين علي عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد ،  
والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي... فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل  
ولا تتقاده الرقاب كل الانقياد ؛ فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من  
عرفوه : باللين ، والتؤدة ، والتقدم بالسن ، والسبق في الإسلام ، والقرب من رسول  
الله صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر  
عمر بن الخطاب زعق الناس ، وقالوا : لقد وليت علينا فظاً غليظاً ؛ فما كانوا يرضون  
بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ لشدة ، وصلابته ، وغلظه في الدين ، وفضاظته  
على الأعداء . . . حتى سكنهم أبو بكر بقوله : « لو سألتني ربي لقلت : « وليت  
عليهم خيرهم : لهم » . وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم ؛ فيرجع  
إليه في الأحكام ، ويحكم بحكمه في القضايا .

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين :  
رفضوه حتى أتى قدره عليه ؛ فسميت : رافضة .

وجرت بينه وبين أخيه الباقر : محمد بن عليّ مناظرات لا من هذا الوجه ؛  
بل : من حيث كان يتلذذ لو اصل بن عطاء ، ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ  
على جده في قتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ؛ ومن حيث يتسكّم في القدر  
على غير ما ذهب إليه أهل البيت ؛ ومن حيث إنه كان يشترط الخروج شرطاً  
في كون الإمام إماماً ؛ حتى قال له يوماً : عليّ مقضى مذهبك : والدك ليس بإمام ؛  
فإنه لم يخرج قط ، ولا تعرض للخروج .

ولما قتل زيد بن عليّ وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ، ومضى  
إلى خراسان ، واجتمعت عليه جماعة كثيرة . وقد وصل إليه الخبر من الصادق  
جعفر بن محمد بأنه يقتل كما قتل أبوه ، ويصلب كما صلب أبوه ؛ فجرى عليه الأمر  
كما أخبر . وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين ، وخرجا بالمدينة ،  
ومضى إبراهيم إلى البصرة ، واجتمع الناس عندهما ، وقتلا أيضاً . وأخبرهم الصادق  
بجميع ما تم عليهم ، وعرفهم : أن آباءه رضى الله عنهم أخبروه بذلك كله ؛  
وأن بني أمة يتطاولون على الناس ، حتى لو طاولتهم الجبال لظالوا عليها ، وهم  
يستشعرون بغض أهل البيت . ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن  
الله تعالى بزوال ملكهم ؛ وكان يشير إلى أبي العباس ، وإلى أبي جعفر : ابني محمد بن عليّ  
ابن عبد الله بن العباس . وقال : إنا لانحوض في الأمر حتى يتلاعب به هذا وأولاده ،  
وأشار إلى المنصور . فزيد بن عليّ قتل بكناسة الكوفة ؛ قتله هشام بن عبد الملك ،  
ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان ؛ قتله أميرها ، ومحمد الإمام قتل بالمدينة ؛  
قتله عيسى بن ماهان ؛ وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة . . . أمر بقتلها المنصور .  
ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم : ناصر الأطروش ،  
فطلب مكانه ؛ ليقتل ، فاختنى ، واعتزل الأمر ، وصار إلى بلاد الديلم والجيل  
ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد ؛ فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب

زيد بن علي؛ فدانوا بذلك، ونشئوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين .  
وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم . وخالفوا بني أعمامهم  
من الموسوية في مسائل الأصول ، ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول  
بإمامة المفضول ، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية . وهم أصناف ثلاثة :  
جارودية ، وسليمانية ، وبترية . والصالحية منهم والبترية : على مذهب واحد .

أصحاب : أبي الجارود : زياد بن أبي زياد . زعموا : أن  
- الجارودية } النبي صلى الله عليه وسلم نص على « علي ، رضی الله عنه  
بالوصف دون التسمية ؛ وهو الإمام بعده . والناس قصرُوا ؛ حيث لم يتعرفوا  
الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف ؛ وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم ؛ فكفروا  
بذلك . وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه : زيد بن علي ؛ فإنه لم يعتقد  
هذا الاعتقاد .

واختلفت الجارودية في : التوقف ، والسوق .  
فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ، ثم إلى الحسين ، ثم إلى علي  
ابن الحسين : زين العابدين ، ثم إلى ابنه : زيد بن علي ؛ ثم منه إلى الإمام : محمد  
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقالوا بإمامته .  
وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ، ومن جملة شيعته ؛ حتى رفع الأمر  
إلى المنصور ، فحبسه حبس الأبد ، حتى مات في الحبس . وقيل : إنه إنما بايع محمد  
ابن عبد الله الإمام في أيام المنصور ، ولما قتل محمد بالمدينة ؛ بقي الإمام أبو حنيفة  
على تلك البيعة ، يعتقد موالاة أهل البيت ، فرفع حاله إلى المنصور... فتم عليه ماتم .  
والذين قالوا بإمامة محمد بن عبد الله الإمام : اختلفوا : فمنهم من قال :  
إنه لم يقتل وهو بعد حي ؛ وسيخرج فيملا الأرض عدلاً ، ومنهم  
من أقر بموته ؛ وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي [ بن عمر بن علي ] (١)

(١) وإنما اضطررنا إلى زيادة [ بن عمر بن علي ] : تحقيقاً للاسم ، وجبراً لسهو النساخ ؛ أو غفلتهم  
أوسبق أيهم . راجع كتابي : « الحور العين » ، « ومقاتل الصالين » . والله الموفق .

ابن الحسين بن علي صاحب الطالقان ، وقد أسر في أيام المعتصم وحمل إليه ؛ فحبسه في داره حتى مات ، ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة ؛ فخرج ودعا الناس ، واجتمع عليه خلق كثير ، وقتل في أيام المستعين ، وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر . حتى قال فيه بعض العلوية :

قلت أعز من ركب المطايا      وجئتك أستلينك في الكلام  
وعز على أن ألقاك إلا      وفيما يتشا حد الحسام

وهو : يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي .

وأما أبو الجارود فكان يسمى : سرحوب ؛ سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر . وسرحوب : شيطان أعشى يسكن البحر ؛ قاله الباقر : تفسيراً .

ومن أصحاب أبي الجارود : فضيل الرسان ، وأبو خالد الواسطي . وهم مختلفون في الأحكام والسير ؛ فبعضهم يزعم : أن علم ولد الحسن والحسين رضي الله عنهما كعلم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيحصل لهم العلم قبل التعلم ؛ فطرة ، وضرورة . وبعضهم يزعم : أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم ؛ وجائز أن يؤخذ عنهم ، وعن غيرهم من العامة .

أصحاب : سليمان بن جرير ، وكان يقول : إن الإمامة } السُّلَيْمَانِيَّةُ  
شورى فيما بين الخلق ، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين  
من خيار المسلمين ، وإنها تصح في المفضول ، مع وجود الأفضل .

وأثبت إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً . وربما كان يقول : إن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي رضي الله عنه خطأ لا يبلغ درجة الفسق ، وذلك الخطأ : خطأ اجتهادي . غير أنه طعن في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي أحدثها ؛ وأكفره بذلك ، وأكفر عائشة ، والزبير ، وطلحة رضي الله عنهم بإقدامهم على قتال علي رضي الله عنه ، ثم إنه طعن في الرافضة ؛ فقال : إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالاتين لشيعتهم ؛ لا يظهر أحد قط عليهم ؛ إحداهما : القول بالبداء ؛ فإذا أظهروا قولاً : أنه سيكون

لهم قوة وشوكة وظهوراً . . . ثم لا يكون الأمر على ما أظروه . . . قالوا :  
بدا لله تعالى في ذلك .

والثانية : التقية ؛ فكل ما أرادوا تكلموا به ؛ فإذا قيل لهم في ذلك : إنه ليس  
بحق ؛ وظهر لهم البطلان قالوا : إنما قلناه : تقية ، وفعلناه : تقية . وتابعه  
على القول بجواز إمامة المفضول ، مع قيام الأفضل : قوم من المعتزلة ؛ منهم :  
جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكثير النوى ؛ وهو من أصحاب الحديث . . .  
قالوا : الإمامة من مصالح الدين ؛ ليس يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده ؛  
فإن ذلك حاصل بالعقل ، لكنها يحتاج إليها : لإقامة الحدود ، والقضاء  
بين المتحاكين ، وولاية اليتامى والأيتام ، وحفظ البيضة ، وإعلاء الكلمة ،  
ونصب القتال مع أعداء الدين ، وحتى يكون للمسلمين جماعة ، ولا يكون الأمر  
فوضى بين العامة ؛ فلا يشترط فيها أن يكون الإمام : أفضل الأمة علماً ، وأقدمهم  
عهداً ، وأسداهم رأياً وحكمة ؛ إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول ، مع وجود الفاضل  
والأفضل . ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك ؛ حتى جوزوا : أن يكون الإمام  
غير مجتهد ، ولا خبير بمواقع الاجتهاد ؛ ولكن يجب أن يكون معه من يكون  
من أهل الاجتهاد ؛ فيراجعه في الأحكام ، ويستفتى منه في الحلال والحرام ؛  
ويجب أن يكون في الجملة ذا رأى متين ، وبصر في الحوادث نافذ .

ح - الصَّالِحِيَّةُ وَالبَتْرِيَّةُ : } الصالحية : أصحاب الحسن بن صالح بن حمي .  
والبترية : أصحاب كثير النسوي الأبر .  
وهما متفقان في المذهب . وقولهم في الإمامة كقول السليمانية ؛ إلا أنهم توقفوا  
في أمر عثمان : أهو مؤمن ، أم كافر ؟ قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه ،  
وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا : يجب أن نحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه  
من أهل الجنة ، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها : من استهتاره بتربية بني أمية  
وبني مروان ، واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة . . . قلنا : يجب أن نحكم  
بكفره ؛ فتجربنا في أمره ، وتوقفنا في حاله ، وولكلناه إلى أحكم الحاكمين .

وأما «علي» ، فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة ، لكنه سلم الأمر لهم راضياً ، وفوض الأمر إليهم طائعاً ، وترك حقه رغباً . فتحن راضون بما رضى ، مسلمون لما سلم ؛ لا يحل لنا غير ذلك ، ولو لم يرض «علي» ، بذلك لكان أبو بكر هالكا . وهم الذين جوزوا : إمامة المفضول ، وتأخير الفاضل والأفضل ؛ إذا كان الأفضل راضياً بذلك .

وقالوا : من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين رضى الله عنهما وكان : عالماً ، زاهداً ، شجاعاً ؛ فهو الإمام ؛ وشرط بعضهم صباحة الوجه . ولهم خبط عظيم في إمامين وجدت فيهما هذه الشرائط ، وشهرا سيفيهما : ينظر إلى الأفضل والأزهد ، وإن تساويا : ينظر إلى الأمتن رأياً ، والأحزم أمراً ، وإن تساويا تقابلا ؛ فينقلب الأمر عليهم كلا ، ويعود الطلب جذعاً ، والإمام مأموماً ، والأمير مأموراً . ولو كانا في قطرين : انقرد كل واحد منهما بقطره ؛ ويكون واجب الطاعة في قومه . ولو أفتى أحدهما بخلاف ما يفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيباً ؛ وإن أفتى باستحلال دم الإمام الآخر .

وأكثرهم - في زماننا - مقلدون ؛ لا يرجعون إلى رأى واجتهاد : أما في الأصول ؛ فيرون رأى المعتزلة : حذو القذة بالقذة ؛ ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت . وأما في الفروع ؛ فهم على مذهب أبي حنيفة ، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله والشيعه .

أبو الجارود : زياد بن المنذر العبدي ؛ لعنه جعفر  
رجال الزيدية { ابن محمد الصادق رضى الله عنه ، والحسن بن صالح بن حى ،  
ومقاتل بن سليمان ، والداعى ناصر الحق : الحسن بن على بن الحسن بن زيد ،  
ابن عمر بن الحسين بن على ، والداعى الآخر صاحب طبرستان : الحسين بن زيد  
ابن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على ، ومحمد بن نصر .

### ٣ - الإمامية

هم القاتلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام : نصاً ظاهراً ،  
وتعييناً صادقاً ؛ من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين . قالوا :  
وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ؛ حتى تكون مفارقتة الدنيا  
على فراغ قلب من أمر الأمة ؛ فإنه إنما بعث : لرفع الخلاف ، وتقرير الوفاق ؛  
فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً : يرى كل واحد منهم رأياً ، ويسلك  
كل واحد منهم طريقاً ، لا يوافق في ذلك غيره ؛ بل يجب أن يعين شخصاً  
هو المرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه . وقد عين علياً  
رضي الله عنه ؛ في مواضع : تعريضاً ؛ وفي مواضع : تصريحاً .

أما تعريضاته ؛ فمثل : أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة براءة على الناس  
في المشهد ، وبعث بعده علياً ؛ ليكون هو القاريء عليهم ، والمبلغ عنه إليهم ؛  
وقال : نزل على جبريل عليه السلام فقال : يبلغه رجل منك ؛ أو قال : من قومك ؛  
وهو يدل على تقديمه علياً عليه . ومثل أن كان يثرمر على أبي بكر وعمر غيرهما  
من الصحابة في البعوث ؛ وقد أمر عليهما : عمرو بن العاص في بعث ، وأسامة  
ابن زيد في بعث ؛ وما أمر على ، علي ، أحداً قط .

وأما تصريحاته ؛ فمثل ما جرى في نأناة الإسلام (١) ؛ حين قال : من الذي  
يباعني على ماله ؟ فبايعته جماعة ، ثم قال : من الذي يبايعني على روحه وهو وصي  
وولي هذا الأمر من بعدي ؟ فلم يبايعه أحد ، حتى مد أمير المؤمنين على رضي الله  
عنه يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك ؛ حتى كانت قريش تعير أبا طالب :  
أنه أمر عليك ابنك . ومثل : ما جرى في كمال الإسلام ، وانتظام الحال ؛

---

(١) أي في بدء الإسلام حين كان ضعيفاً قبل أن تكثر أنصاره والداخلون فيه ، وقيل :  
في أول الإسلام عند قوة البصائر وقبل بلوغ الخلاف . وهذه المادة تدور في اللغة على الضعف وعدم  
الإبرام ، وضبطها : بفتح ، فسكون ، ففتح ، ففتح .



فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس،؛ فلما وصل إلى «غدير خم»، أمر بالدوحات فقممن، (١) ونادوا : الصلاة جامعة . ثم قال عليه السلام ، وهو على الرحال : « من كنت مولاه فعلى مولاه ؛ اللهم : وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار . ألا هل بلغت : ثلاثاً . » فادعت الإمامية : أن هذا نص صريح .

فإنا ننظر : من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولى له ؟ وبأى معنى ؟ فنطرد ذلك في حق علي رضي الله عنه . وقد فهمت الصحابة بن التولية ما فهمناه ؛ حتى قال عمر حين استقبل علياً : طوبى لك يا علي ! أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة . قالوا : وقول النبي عليه السلام : « أقضاكم علي » نص في الإمامة ؛ فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون : أقضى القضاة في كل حادثة ، والحاكم على المتخاصمين في كل واقعة ؛ وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ؛ قالوا « فأولوا الأمر » : من إليه القضاء والحكم . حتى وفي مسألة الخلافة لما تخصصت المهاجرون والأنصار ؛ كان القاضي في ذلك هو : أمير المؤمنين علي دون غيره فإن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له ؛ فقال : أفرضكم زيد ، وأقرؤكم أبي . وأعرفكم بالحلل والحرام معاذ . كذلك حكم لعلي بأخص وصف له ؛ وهو قوله : « أقضاكم علي » ، والقضاء يستدعي كل علم ، وليس كل علم يستدعي القضاء .

ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوتيرة في كبار الصحابة : طعناً ، وتكفيراً ؛ وأقله : ظلماً ، وعدواناً . وقد شهدت نصوص «القرآن» على عدالتهم ، والرضا عن جملتهم ؛ قال الله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . . » وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة ، وقال الله تعالى ثناء على المهاجرين

---

(١) المراد : أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه لما وصل إلى «غدير خم» ، أمر بعض من معه أن ينظفوا مكاناً بين الأشجار الملتفة حول الغدير ، ويزيلوا القمامة من بين دوحاته ، استعداداً لإقامة الصلاة ؛ فنظف ما بين الدوحات ، وقممن ، ونادوا بالصلاة .

والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وقال : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ، وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ؛ كما استخلف الذين من قبلهم » . . . وفي ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله تعالى ، وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم . فليت شعري ! كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ، ونسبة الكفر إليهم ! ؛ وقد قال النبي عليه السلام : عشرة من أصحابي في الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ؛ إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد . وإن نقلت هذات من بعضهم ، فليتدبر النقل ؛ فإن أكاذيب الروافض كثيرة ، وأحداث المحدثين كثيرة .

ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد : الحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين رضى الله عنهم على رأى واحد ؛ بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها ؛ حتى قال بعضهم : إن نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة ؛ ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة . وهم متفقون في الإمامة ، وسوفها إلى جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه ، ومختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده ؛ إذ كانت له خمسة أولاد ، وقيل : ستة : محمد ، وإسحاق ، وعبدالله ، وموسى ، وإسماعيل ، وعلي . ومن ادعى منهم النص والتعيين : محمد ، وعبد الله ، وموسى ، وإسماعيل . ثم : منهم من مات ؛ ولم يعقب ، ومنهم من مات ؛ وأعقب . ومنهم من قال بالتوقف ، والانتظار ، والرجعة . ومنهم من قال بالسوق والتعدية ؛ كما سيأتى ذكر اختلافاتهم ، عند ذكر طائفة طائفة .

وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم ، وتمادى الزمان : اختارت كل فرقة منهم طريقة ؛ فصارت الإمامية :

بعضها معتزلة : إما وعيدية ؛ وإما تفضيلية ، وبعضها إخبارية : إما مشبهة ؛ وإما سلفية . ومن ضل الطريق ، وتاه ؛ لم يبالي الله به ؛ في أي واد هلك .

أتباع : محمد الباقر بن علي زين العابدين ،  
 وابنه : جعفر الصادق . قالوا بإمامتهما ،  
 ١ - الباقريّة والجعفرية الواقفة

وإمامة والدهما : زين العابدين . إلا أن منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما ؛ ومنهم من ساق . وإنما ميزنا هذه : فرقة ، دون الأصناف المتشعبة التي نذكرها ؛ لأن من الشيعة من توقف على الباقر ، وقال برجعته ، كما توقف القائلون بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ؛ وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ؛ وقد أقام « بالمدينة » مدة : يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل « العراق » وأقام بها مدة : ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع أحداً في الخلافة قط . ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط . . . . . وقيل : من أنس بالله توحش عن الناس ، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس . وهو من جانب الأب : ينتسب إلى شجرة النبوة ، ومن جانب الأم : ينتسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد تبرأ عما كان ينسب إليه بعض الغلاة ؛ وبرىء منهم ، ولعنهم . وبرىء من خصائص مذاهب الرافضة ، وحمقاتهم ؛ من القول بالغيبة ، والرجعة ، والبداء ، والتناسخ ، والحلول ، والتشبيه . لكن الشيعة بعده اقتصروا ؛ وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يوجه على أصحابه ؛ فنسبه إليه وربطه به . والسيد برىء من ذلك ، ومن الاعتزال ، والقدر أيضاً .

هذا قوله في الإرادة : « إن الله تعالى أراد بنا شيئاً ، وأراد منا شيئاً ؛ فما أرادنا بنا : طواه عنا ، وما أرادنا منا : أظهره لنا ؛ فما بالنا نشغل بما أرادنا بنا ، عما أرادنا منا ؟! » . وهذا قوله في القدر : هو أمر بين أمرين : لا جبر ، ولا تفويض . وكان يقول في الدعاء : اللهم لك الحمد إن أطعتك ، ولك الحجة إن عصيتك ؛

لا صنع لي ، ولا لغيري في إحسان ؛ ولا حجة لي ، ولا لغيري في إساءة .  
فذكر الأصناف الذين اختلفوا فيه ، ونعدم ؛ لا على أنهم من تفاصيل أشياعه ؛  
بل : على أنهم منتسبون إلى أصل شجرته ، وفروع أولاده ؛ ليعلم ذلك .

ب - النَّاؤُوسِيَّةُ } أتباع رجل يقال له : ناووس ؛ وقيل : نسبوا إلى قرية :  
ناوسا . قالت : إن الصادق حي بعد ، ولن يموت حتى  
يظهر ؛ فيظهر أمره ، وهو القائم المهدي ، ورووا عنه أنه قال : لو رأيتم رأسي  
يدهده عليكم (١) من الجبل فلا تصدقوا ؛ فإني : صاحبكم ، صاحب السيف .  
وحكى أبو حامد الزوزني : أن الناووسية زعمت أن علياً باق ، وستشق  
الأرض عنه قبل يوم القيامة ؛ فيملا الأرض عدلاً .

ح - الأَفْطَحِيَّةُ } قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه : عبد الله  
الأفطح ، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه ، وأمهما :  
فاطمة بنت الحسين ابن الحسن بن علي ، وكان أسن أولاد الصادق .  
زعموا أنه قال : الإمامة في أكبر أولاد الإمام . وقال : الإمام من يجلس  
مجلسي ؛ وهو الذي جلس مجلسه ، والإمام : لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ  
خاتمه ولا يواريه إلا الإمام ؛ وهو الذي تولى ذلك كله . ودفع الصادق وديعة  
إلى بعض أصحابه ، وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه وأن يتخذها إماماً ؛  
وما طابها منه أحد إلا عبد الله . ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ،  
ومات ، ولم يعقب ولداً ذكراً .

د - الشَّمِيطِيَّةُ } أتباع : يحيى بن أبي شميطة . قالوا : إن جعفرأ قال :  
إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم . وقد قال له والده رضوان الله  
عليهما : إن ولدك ولد ، فسميته باسمي ؛ فهو الإمام ؛ فالإمام بعده : ابنه محمد .

(١) دمه : على وزن دحرج لفظاً ومعنى .

هـ - الإسماعيلية الواقفة } قالوا : إن الإمام بعد جعفر : إسماعيل ؛ نصاً  
 عليه باتفاق من أولاده ؛ إلا أنهم اختلفوا  
 في موته في حال حياة أبيه : فمنهم من قال : لم يمت ؛ إلا أنه أظهر موته تقيّة  
 من خلفاء بني العباس ؛ وأنه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة .  
 ومنهم من قال : موته صحيح ، والنص لا يرجع قهقري ؛ والفائدة في النص بقاء  
 الإمامة في أولاد المنصوص عليه ؛ دون غيرهم . فالإمام بعد إسماعيل : محمد  
 ابن إسماعيل . وهؤلاء يقال لهم : « المباركية » . ثم منهم من وقف على محمد  
 ابن إسماعيل ؛ وقال برجعته بعد غيبته .

ومنهم من ساق الإمامة في « المستورين » منهم ، ثم في « الظاهرين القائمين »  
 من بعدهم ، وهم : « الباطنية » ؛ وسنذكر مذاهم على الانفراد .  
 وإنما مذهب هذه الفرقة : الوقف على إسماعيل بن جعفر ، أو محمد بن إسماعيل .  
 والإسماعيلية المشهورة في الفرق منهم ؛ هم : « الباطنية التعليمية » الذين  
 لهم مقالة مفردة .

و - الموسوية والمفضلية } فرقة واحدة (١) قالت بإمامة موسى بن جعفر ،  
 نصاً عليه بالاسم ؛ حيث قال الصادق رضي  
 الله عنه : سابعكم قائمكم ، وقيل : صاحبكم قائمكم ؛ ألا وهو سمي صاحب التوراة .  
 ولما رأَت الشيعة : أن أولاد الصادق على تفرق ؛ فن ميت في حال حياة أبيه ؛  
 ولم يعقب ، ومن مختلف في موته ، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ، ومن ميت

(١) كأن الشهرستاني يريد أن يقول : إن مجموع الاسمين « الموسوية والمفضلية » علم  
 على هذه الفرقة ؛ لا الموسوية فقط ؛ إذ قد تنصرف إلى أتباع موسى بن عمران مثلاً ، ولا المفضلية  
 فقط ؛ لأنها قد تنصرف إلى أتباع مفضل الصيرفي القائل بربوبية جعفر الصادق ، وسيأتي ذكرهم  
 قريباً ضمن فرق « الغالية » . أما هؤلاء « الموسوية والمفضلية » فسموا بذلك : لأنهم يقولون  
 بإمامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم من الصادق ؛ ولأنهم ينسبون إلى رئيس لهم يقال  
 له « المفضل بن عمر » ، وكان ذا قدر فيهم .

غير معقب . . . وكان موسى هو الذى تولى الأمر ، وقام به بعد موت أبيه :  
رجعوا إليه ، واجتمعوا عليه ؛ مثل : المفضل بن عمر ، و زرارة بن أعين ،  
وعمار الساباطى .

وروت الموسوية عن الصادق رضى الله عنه أنه قال لبعض أصحابه : عد الأيام ،  
فعدّها من الأحد . . . حتى بلغ السبت ؛ فقال له كم عددت ؟ فقال : سبعة فقال  
«جعفر» : سبت السبوت ، وشمس الدهور ، ونور الشهور : من لا يلهو ولا يلعب ؛  
وهو سابعكم قائمكم هذا ، وأشار إلى ولده : موسى الكاظم . وقال فيه أيضاً :  
إنه شبيه بعيسى عليه السلام . ثم إن موسى لما خرج وأظهر الإمامة : حمله هارون  
الرشيد من المدينة ؛ فحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم أشخصه إلى بغداد ؛ فحبسه  
عند السندي بن شاهك . وقيل : إن يحيى بن خالد بن برمك سمه في رطب ؛ فقتله  
وهو في الحبس . ثم أخرج ودفن في مقابر قریش ببغداد . واختلفت الشيعة بعده :  
فمنهم من توقف في موته وقال : لا ندري أمات أم لم يمّت ؛ ويقال لهم الممطورة ،  
سأهم بذلك على بن إسماعيل ؛ فقال : « ما أنتم إلا كلاب ممطورة » . ومنهم من قطع  
بموته ؛ ويقال لهم : القطعية . ومنهم من توقف عليه ، وقال : إنه لم يمّت ،  
وسيجرج بعد الغيبة ، ويقال لهم : الواقفة .

ز - الاثنا عشرية } إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق  
وسموا : قطعية ، ساقوا الإمامة بعده في أولاده ؛ فقالوا :  
الإمام بعد موسى الكاظم ولده : على الرضى ؛ ومشهده بطوس . ثم بعده : محمد النقي  
الجواد أيضاً ؛ وهو في مقابر قریش ببغداد . ثم بعده : على بن محمد النقي ؛  
و « مشهده » بقم . وبعده : الحسن العسكري الزكى . وبعده ابنه : محمد القائم  
المنتظر ؛ الذى هو بسر من رأى ؛ وهو الثانى عشر . هذا هو طريق « الاثنى عشرية »  
في زماننا .

إلا أن الاختلافات التى وقعت في حال كل واحد من هؤلاء الاثنى عشر ؛



وليس لهم ألقاب مشهورة ، ولكننا نذكر أقاويلهم :

الفرقة الأولى : قالت : إن الحسن لم يموت ، وهو : القائم ، ولا يجوز أن يموت ولا ولده ظاهراً ؛ لأن الأرض لا تخلو من إمام ، وقد ثبت عندنا : أن القائم له غيبتان ؛ وهذه إحدى الغيبتين ، وسيظهر ، ويعرف ، ثم يغيب غيبة أخرى .  
الثانية : قالت : إن الحسن مات ، ولكنه يحيا ، وهو القائم ؛ لأننا رأينا أن معنى القائم : هو القيام بعد الموت ، فنقطع بموت الحسن ولا نشك فيه ، ولا ولده ؛ فيجب أن يحيا بعد الموت .

الثالثة : قالت : إن الحسن قدم مات ، وأوصى إلى جعفر أخيه ، ورجعت الإمامة إلى جعفر .

الرابعة : قالت : إن الحسن قدم مات ، والإمام : جعفر ؛ وإننا كنا نخطئ في الائتمام به ؛ إذ لم يكن إماماً ، فلما مات ولا عقب له تدينا : أن جعفر كان محقاً في دعواه ، والحسن مبطلاً .

الخامسة : قالت : إن الحسن قدم مات ؛ وكنا نخطئ في القول به ، وإن الإمام كان محمد بن علي أخا الحسن وجعفر ، ولما ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به ؛ وعلنا أن الحسن كان على مثل حاله إلا أنه كان يتستر : عرفنا أنهما لم يكونا إمامين ، فرجعنا إلى محمد ، ووجدنا له عقباً ؛ وعرفنا أنه كان هو الإمام دون أخويه .

السادسة : قالت : إن الحسن كان له ابن ، وليس الأمر على ما ذكروا : أنه مات ولم يعقب ؛ بل ولده ولد قبل وفاة أبيه بسنتين فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الأعداء ؛ واسمه محمد ؛ وهو : الإمام ، القائم ، الحجة ، المنتظر .

السابعة : قالت : إن له ابناً ؛ ولكنه ولد بعد موته بثمانية أشهر ، وقول من ادعى أنه مات وله ابن باطل ؛ لأن ذلك لو كان لم يخف ، ولا يجوز مكابرة العيان .

الثامنة : قالت : صححت وفاة الحسن ، وصح أن لا ولده ، وبطل ما ادعى :



من الخبل في سرية له (١) ؛ فثبت أن الإمام بعد الحسن غير موجود ؛ وهو جائز في المعقولات : أن يرفع الله الحجة عن الأرض ؛ لمعاصيهم ، وهي : فترة ، وزمان لا إمام فيه ، والأرض اليوم بلا حجة ؛ كما كانت الفترة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

التاسعة : قالت : إن الحسن قدم مات ، وصح موته ، وقد اختلف الناس هذه الاختلافات ، ولا ندرى كيف هو ؟ ولا نشك أنه قد ولد له ابن ، ولا ندرى : قبل موته ؟ أو بعد موته ؟ ؛ إلا أنا نعلم يقيناً : أن الأرض لا تخلو من حجة ، وهو : الخلف الغائب ؛ فنحن نتولاه ، وتتمسك به بأسمه ؛ حتى يظهر بصورته .

العاشر : قالت : نعم أن الحسن قدم مات ، ولا بد للناس من إمام ؛ فلا تخلو الأرض من حجة ، ولا ندرى : من ولده ؟ أم من ولد غيره ؟

الحادية عشرة : فرقة : توقفت في هذا التخاطب ، وقالت : لا ندرى على القطع حقيقة الحال ، لكننا نقطع في « الرضى » ونقول بإمامته . وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه : فنحن من « الواقعة » في ذلك ، إلى أن يظهر الله الحجة ، ويظهر بصورته ؛ فلا يشك في إمامته من أبصره ، ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبينته ؛ بل معجزته : اتباع الناس بأسرهم إياه ، من غير منازعة ، ولا مدافعة .

فهذه جملة الفرق الإحدى عشرة ، قطعوا على كل واحد واحد : ثم قطعوا على الكل بأسرهم .

ومن العجب ! أنهم قالوا : الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة ؛ وصاحبنا قال : إن خرج « القائم » وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم ، ولسنا ندرى كيف تنقضي مائتان ونيف وخمسون سنة في أربعين سنة ؟ . وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة : كيف تصور ؟ قالوا : أليس الخضر وإلياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف سنين ؛ لا يحتاجان إلى طعام وشراب ؟

(١) السرية [ بضم السين وتشديد الراء المكسورة وفتح الباء الشددة ] : الجارية التي يصطفونها سيدها خاصة نفسه .

فلم لا يجوز ذلك في واحد من آل البيت ؟ . قيل لهم : ومع اختلافكم هذا ، كيف يصح لكم دعوى الغيبة ؟ . ثم الخضر عليه السلام ليس مكلفاً بضمان جماعة ، والإمام عندهم : ضامن ، مكلف بالهداية والعدل ، والجماعة مكلفون بالاعتداء به والاستئنان بسنته ، ومن لا يرى كيف يقتدى به ؟ .  
فلذا ؛ صارت الإمامية متمسكين بالعدلية في الأصول ؛ وبالمشبهة في الصفات ؛ متحيرين تأميين .

وبين الإخبارية منهم والكلامية : سيف وتكفير . وكذلك بين التفضيلية والوعيدية : قتال ، وتضليل . أعاذنا الله من الحيرة ! .  
ومن العجب ! أن القائلين بإمامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم الذي بينت : لا يستحيون ؛ فيدعون فيه أحكام الإلهية ، ويتأولون قوله تعالى : عليه : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة » ؛ قالوا : هو الإمام المنتظر الذي يرد إليه علم الساعة ؛ ويدعون فيه أنه لا يغيب عنا ، وسيخبرنا بأحوالنا ، حين يحاسب الخلق . إلى تحكماك باردة ، وكلمات عن العقول شاردة .

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر : إلا واضعاً كف حائر على ذقن ، أوقاراً سن نادم

» » »

أسمى الأئمة الاثني عشر عند الإمامية : المرتضى ، والمجتبي ، والشهيد ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضي ، والتقي ، والنقي ، والزكي ، والحجة القائم المنتظر .

## ٤ - الغالية

هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ؛ فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق .

وهم على طرفي الغلو والتقصير . وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى ؛ إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق . فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ؛ حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة . وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك ، وتمكن الاعتزال فيهم ؛ لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول .

وبدع الغلاة محصورة في أربع : التشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ . ولهم ألقاب ؛ وبكل بلد لقب : فيقال لهم بأصبهان : الخرمية والكوزية ، وبالري : المزدكية والسبازية ، وبأذربيجان : الدقولية ؛ وبموضع : المحمرة ، وبما وراء النهر : المبيضة . وهم أحد عشر صنفاً :

١ - السَّبَائِيَّةُ | أصحاب عبد الله بن سبأ ؛ الذي قال لعلي كرم الله وجهه : « أنت أنت ، يعني : أنت الإله ؛ فنفاه إلى المدائن . زعموا : أنه كان يهودياً فأسلم ؛ وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عيها السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه . وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه . ومنه انشعبت أصناف الغلاة .

زعم أن علياً حتى لم يمت ؛ ففيه الجزء الإلهي ؛ ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذي يجيء في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ؛ وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك ؛ فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي الله عنه . واجتمعت عليه جماعة ، وهم أول فرقة قالت بالتوقف ، والغيبة ، والرجعة ؛ وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه . قال : وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة وإن كانوا على خلاف مراده ؛ هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول فيه حين تمعاً عين واحد بالحد في الحرم ورفعت القصة إليه : « ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً

في حرم الله ؟ ؛ فأطلق عمر اسم الإلهية عليه ؛ لما عرف منه ذلك .  
ب - الكَامِلِيَّةُ } أصحاب أبي كامل . أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة على  
رضى الله عنه . وطعن في علي أيضاً بتركه طلب حقه ،  
ولم يحذره في القعود ؛ قال : وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق ، على أنه غلا  
في حقه . وكان يقول : الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ، وذلك النور :  
في شخص يكون نبوة ، وفي شخص يكون إمامة ؛ وربما تناسخ الإمامة فتصير  
نبوة . وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت .

و « الغلاة » ، على أصنافها كلهم متفقون على : التناسخ ، والحلول . ولقد  
كان التناسخ مقالة لفرقة في كل ملة تلقوها من : المجوس المزدكية ، والهند البرهمية ،  
ومن الفلاسفة ، والصابئة . ومذهبهم : أن الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق  
بكل لسان ، ظاهر في كل شخص من أشخاص البشر ؛ وذلك بمعنى الحلول .  
وقد يكون الحلول بجزء ، وقد يكون بكل : أما الحلول بجزء ؛ فهو كإشراق  
الشمس في كوة ؛ أو كإشراقها على البلور ، أما الحلول بكل ؛ فهو كظهور ملك  
بشخص ؛ أو شيطان بحيوان . ومراتب التناسخ أربع : النسخ ، والمسح ،  
والفسخ ، والرسخ . وسيأتي شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل .  
وأعلى المراتب : مرتبة الملكية أو النبوة ، وأسفل المراتب : الشيطانية أو الجنية .  
وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهراً ، من غير تفصيل مذهبهم .

ح - العَلْبَائِيَّةُ } أصحاب : العلاء بن ذراع الدوسي ؛ وقال قوم : هو  
الأسدي . وكان يفضل علياً على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وزعم أنه الذي بعث محمداً ؛ يعني علياً ، وسماه إلهاً . وكان يشارك بدم  
محمد صلى الله عليه وسلم ، وزعم أنه بعث ليدعو إلى علي فدعا إلى علي . ويسمون  
هذه الفرقة : « الذمية » .

ومنهم من قال يألهيتهما جميعاً ويقدمون علياً في أحكام الإلهية ، ويسمونهم :  
« العينية » .

ومنهم من قال : بإلهيتهما جميعاً ، ويفضلون محمداً في الإلهية ويسمونهم :  
الميمية .

ومنهم من قال بالإلهية لجملة أشخاص أصحاب الكساء : محمد ، وعلي ، وفاطمة ،  
والحسن ، والحسين . وقالوا خمستهم شيء واحد ، والروح حالة فيهم بالسوية ،  
لافضل لواحد منهم على الآخر ؛ وكرهوا أن يقولوا : فاطمة بالتأنيث ؛ بل قالوا :  
فاطم ؛ بلا هاء ؛ وفي ذلك يقول بعض شعرائهم :

توليت بعد الله — في الدين — خمسة : نبياً ، وسبطيه ، وشيخاً ، وفاطماً

أصحاب : المغيرة بن سعيد العجلي . ادعى أن الإمامة بعد  
محمد بن علي بن الحسين في : محمد النفس الزكية بن عبد الله

ابن الحسن بن الحسن ؛ الخارج بالمدينة ، وزعم أنه حتى لم يميت . وكان المغيرة  
مولى لخالد بن عبد الله القسري ، وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ،  
وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه ، واستحل المحارم ، وغلا في حق علي رضي الله عنه  
غلو لا يعتقد عاقل . وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ؛ فقال : إن الله تعالى صورة  
وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء ؛ وصورته صورة رجل من نور ،  
على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة . وزعم أن الله تعالى لما أراد  
خلق العالم تكلم بالأسم الأعظم ، فطار ، فوقع على رأسه تاجاً ؛ قال : وذلك  
قوله : « سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى » . ثم اطلع على أعمال العباد  
وقد كتبها على كفه ؛ فغضب من المعاصي ، فغرق ، فاجتمع من عرقه بحران ؛  
أحدهما مالح ، والآخر عذب ؛ والمالح مظلم ، والعذب نير . ثم اطلع في البحر  
النير ، فأبصر ظله ؛ فانتزع عين ظله ؛ فخلق منها الشمس والقمر ؛ وأبقى ظله ،  
وقال : لا ينبغي أن يكون معي إله غيري . قال ثم خلق الخلق كله من البحرين ؛  
فخلق المؤمنون من البحر النير ، وخلق الكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس  
أول ما خلق ، وأول ما خلق هو ظل محمد عليه السلام وظل علي ؛ قبل خلق  
ظلال الكل . ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة ؛

وهي أن يمنن علي بن أبي طالب من الإمامة ، فأبين ذلك ، ثم عرض ذلك على الناس ؛ فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك ، وضمن له أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده ؛ فقبل منه ، وأقدا على المنع متظاهرين ؛ فذلك قوله تعالى : « وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » . وزعم أنه نزل في حق عمر قوله تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ؛ فلما كفر قال إني بريء منك » .

ولما أن قتل المغيرة اختلف أصحابه : فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار إمامة : محمد ؛ كما كان يقول هو بانتظاره . وقد قال المغيرة بإمامة أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما ؛ ثم غلا فيه وقال بإلهيته ؛ فقبلاً منه الباقر ولعنه . وقد قال المغيرة لأصحابه : انتظروه ؛ فإنه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام ؛ وزعم : أنه يحيى الموتى .

أصحاب : أبي منصور العجلي ، وهو الذي عزا نفسه } ه - المنصورية } إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر في الأول ، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام ؛ ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفي الباقر قال : انتقلت الإمامة إلى وتظاهر بذلك . وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بني كندة ، حتى وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته ؛ فأخذه ، وصلبه .

زعم أبو منصور العجلي : أن علياً رضي الله عنه هو «الكسف» الساقط من السماء ، وربما قال : الكسف الساقط من السماء هو الله تعالى . وزعم حين ادعى الإمامة لنفسه أنه عرج به إلى السماء ، ورأى معبوده ، فمسح بيده رأسه ، وقال له : يا بني ! أنزل فبلغ عني ، ثم أهبطه إلى الأرض ؛ فهو الكسف الساقط من السماء . وزعم أيضاً : أن الرسل لا تنتطح أبداً ، والرسالة لا تنقطع . وزعم : أن الجنة رجل أمرنا بموالاته ، وهو إمام الوقت ؛ وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام . وتناول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم . وتناول

الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم . واستحل أصحابه : قتل مخالفهم ، وأخذ أموالهم ، واستحلل نسائهم . وهم صنف من « الخزمية » . وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال : هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه ؛ فقد سقط عنه التكليف ، وارتفع الخطاب ؛ إذ قد وصل إلى الجنة ، وبلغ الكمال . وما أبدعه العجلى أنه قال : إن أول ما خلق الله تعالى هو عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

أصحاب : أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع } و - الخطائية  
مولى بني أسد ، وهو الذى عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر  
ابن محمد الصادق رضى الله عنه ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه : تبرأ  
منه ، ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول فى ذلك ، وبالغ فى التبرى  
منه ، واللعن عليه ؛ فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه . زعم أبو الخطاب :  
أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال يلهية جعفر بن محمد وإلهية آباءه رضى الله عنهم ؛  
وهم أبناء الله وأحبأؤه . والإلهية نور فى النبوة ، والنبوة نور فى الإمامة ، ولا يخلو  
العالم من هذه الآثار والأنوار . وزعم أن جعفرأ هو الإله فى زمانه ، وليس  
هو المحسوس الذى يرونه ؛ ولكن لما نزل إلى هذا العالم : لبس تلك الصورة  
فراء الناس فيها . ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته :  
قتله بسبخة الكوفة .

وافترقت « الخطائية » بعده فرقا ؛

فزعمت فرقة : أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له : معمر ، ودانوا به ؛  
كما دانوا بأبي الخطاب . وزعموا : أن الدنيا لا تبنى ، وأن الجنة هى التى تصيب  
الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار : هى التى تصيب الناس من شر ومشقة  
وبليه . واستحلوا : الخمر ، والزنا ، وسائر المحرمات . ودانوا بترك الصلاة  
والفرائض وتسمى هذه الفرقة : « المعمرية » .

وزعمت طائفة : أن الإمام بعد أبي الخطاب : بزيع . وكان يزعم : أن جعفرأ هو الإله ؛ أي ظهر الإله بصورته للخلق . وزعم : أن كل مؤمن يوحى إليه من الله ، وتأول قول الله تعالى : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ، أي : يوحى إليه من الله ؛ وكذلك قوله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل » . وزعم : أن من أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل . وزعم : أن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال له : إنه قد مات : ولكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية ، قيل : رجع إلى الملكوت . وادعوا كلهم معاينة أمواتهم ، وزعموا أنهم يرونهم : بكرة ، وعشيا . وتسمى هذه الطائفة : « الزيعية » .

وزعمت طائفة : أن الإمام بعد أبي الخطاب : عمير بن بيان العجلي ، وقالوا كما قالت الطائفة الأولى ؛ إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون ، وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق رضى الله عنه ؛ فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ؛ فأخذ عميراً ، فصلبه في كناسة الكوفة . وتسمى هذه الطائفة : « العجلية » ، و « العميرية » أيضاً .

وزعمت طائفة : أن الإمام بعد أبي الخطاب مفضل الصيرفي . وكانوا يقولون بربوبية جعفر ، دون نبوته ، ورسالته . وتسمى هذه الفرقة : « المفضلية » .

وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه ، وطردهم ، ولعنهم ؛ فإن القوم كلهم : حيارى ، ضالون ، جاهلون بحال الأئمة تائبون .

ز - الكيالية } أتباع : أحمد بن الكيال ، وكان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق ؛ وأظنه من الأئمة المستورين .

ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه الفائل (١) وفكره العاقل ، وأبدع مقالة في كل باب علمي ؛ على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة ، وربما عاند الحس في بعض المواضع .

(١) قال رأيه يفيل : فهو فائل : أخطأ ، وضعف ، وقبح ، ولم يصب فيه .



ولما وقفوا على بدعته : تبرءوا منه ، ولعنوه وأمروا شيعتهم بمناذته (١) ؛  
وترك مخالطته . ولما عرف الكيال ذلك منهم : صرف الدعوة إلى نفسه ، وادعى  
الإمامة أولاً ، ثم ادعى أنه « القائم » ثانياً .

وكان من مذهبه : أن كل من قدر الآفاق على الأنفس ، وأمكته أن يبين مناهج  
العالمين ؛ أعنى : عالم الآفاق ؛ وهو العالم العلوى ، وعالم الأنفس ؛ وهو العالم  
السفلى . . . كان هو : الإمام ، وأن كل من قرر الكل في ذاته ، وأمكته أن يبين  
كل كلى في شخصه المعين الجزئى . . . كان هو : القائم . قال : ولم يوجد في زمن  
من الأزمان أحد يقرر هذا التقرير إلا : أحمد الكيال ؛ فكان هو : القائم .

وإنما قتله من اتهم إليه أولاً ؛ على بدعته ذلك : أنه هو الإمام ، ثم القائم .  
وبقيت من مقالته - في العالم - تصانيف عربية وعجمية ؛ كلها : مزخرقة ،  
مردودة : شرعاً ، وعقلاً .

قال الكيال : العوالم ثلاثة : العالم الأعلى ، والعالم الأدنى ، والعالم الإنساني .  
وأثبت في العالم الأعلى خمسة أماكن : الأول : مكان الأماكن ، وهو مكان  
فارغ ، لا يسكنه موجود ، ولا يدبره روحاني ؛ وهو محيط بالكل . قال :  
والعرش الوارد في الشرع عبارة عنه ، ودونه : مكان النفس الأعلى ، ودونه :  
مكان النفس الناطقة ، ودونه : مكان النفس الحيوانية ، ودونه : مكان  
النفس الإنسانية .

قال : وأرادت النفس الإنسانية الصعود إلى عالم النفس الأعلى ، فصعدت ،  
وخرقت المكانين ؛ أعنى : الحيوانية ، والناطقية ؛ فلما قربت من الوصول إلى عالم  
النفس الأعلى : كلت ، وانحسرت ، وتحيرت ، وتعفنت ، واستحالت أجزاءها . . .  
فأهبطت إلى العالم السفلى ، ومضت عليها أكوار وأدوار ؛ وهى في تلك الحالة  
من العفونة والاستحالة ، ثم ساحت عليها النفس الأعلى وأفاضت عليها من أنوارها

(١) النبذ : إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ، والمراد هنا : اعتزاله ، ومكاشفته  
بسخافاته ، وعدم الاعتداد به ، ومقاتلته بعد مكاشفته .

جزءاً ؛ فحدثت التراكيب في هذا العالم ، وحدثت : السماوات ، والأرض ،  
والمركبات : من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ؛ ووقعت في بلايا  
هذا التركيب : تارة سروراً ، وتارة غمماً ، وتارة فرحاً ، وتارة ترحاً ؛ وطوراً  
سلامة وعافية ، وطوراً بلية ومحنة . . . حتى يظهر : القائم ، ويردها إلى حال  
الكمال ، وتنحل التراكيب ، وتبطل المتضادات ؛ ويظهر الروحاني على الجسماني ؛  
وما ذلك القائم إلا : أحمد الكيال .

ثم دل على تعيين ذاته بأضعف ما يتصور ، وأوهى ما يقدر ؛ وهو أن اسم  
« أحمد » مطابق للعوالم الأربعة : فالألف من اسمه في مقابلة النفس الأعلى ،  
والحاء ؛ في مقابلة النفس الناطقة ، والميم ؛ في مقابلة النفس الحيوانية ، والذال ؛  
في مقابلة النفس الإنسانية . قال : والعوالم الأربعة هي المبادئ والبسائط ،  
وأما : مكان الأماكن ؛ فلا وجود فيه البتة .

ثم أثبت في مقابلة العوالم العلوية : العالم السفلي الجسماني ؛ قال : فالسما خالية ؛  
وهي في مقابلة مكان الأماكن ، ودونها النار ، ودونها الهواء ، ودونه الأرض ،  
ودونها الماء . وهذه الأربعة في مقابلة العوالم الأربعة .

ثم قال : الإنسان ؛ في مقابلة النار ، والطائر ؛ في مقابلة الهواء ، والحيوان ؛  
في مقابلة الأرض ، والحوت ؛ في مقابلة الماء ؛ وكذلك ما في معناه . فجعل مركز  
الماء أسفل المراكز ، والحوت أخس المركبات .

ثم قابل العالم الإنساني الذي هو أحد الثلاثة - وهو عالم الأنفس - مع آفاق  
العالمين الأولين : الروحاني ، والجسماني ؛ قال : الحواس المركبة فيه خمس :

فالسمع : في مقابلة : مكان الأماكن : إذ هو فارغ ، وفي مقابلة السماء .  
والبصر : في مقابلة : النفس الأعلى من الروحاني ، وفي مقابلة النار  
من الجسماني ، وفيه إنسان العين ؛ لأن الإنسان محتص بالنار .

والشم : في مقابلة : الناطق من الروحاني ، والهواء من الجسماني ؛ لأن الشم  
من الهواء : يتروح ، ويتنسم .

والذوق : في مقابلة : الحيوانى من الروحانى ، والأرض من الجسمانى ،  
والحيوان مختص بالأرض ؛ والطعم بالحيوان .

واللس : في مقابلة : الإنسانى من الروحانى ، والماء من الجسمانى ؛ والحوت  
مختص بالماء ، واللس بالحوت . وربما عبر عن اللس بالكتابة .

ثم قال : أحمد ؛ هو : ألف ، وحاء ، وميم ، ودال ؛ وهو في مقابلة العالمين :  
أما في مقابلة العالم العلوى الروحانى ؛ فقد ذكرناه .

وأما في مقابلة العالم السفلى الجسمانى ؛ فالألف تدل على الإنسان ، والحاء  
تدل على الحيوان ، والميم على الطائر ، والدال على الحوت ؛ فالألف من حيث  
استقامة القامة : كالإنسان ، والحاء : كالحيوان ؛ لأنه معوج منكوس ؛ ولأن  
الحاء من إبتداء اسم الحيوان ، والميم : تشبه رأس الطائر ، والدال : تشبه  
ذنب الحوت .

ثم قال : إن البارى - تعالى - إنما خلق الإنسان على شكل اسم : أحمد ؛  
فالقامة : مثل الألف ، واليدان : مثل الحاء ، والبطن : مثل الميم ، والرجلان :  
مثل الدال .

ثم من العجب أنه قال : إن الأنبياء هم قادة أهل التقليد ، وأهل التقليد  
عميان . والقائم قائد أهل البصيرة ، وأهل البصيرة أولوا الأبواب ؛ وإنما يحصلون  
البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس .

والمقابلة كما سمعتها من أحسن المقالات ، وأوهى المقابلات ؛ بحيث لا يستعجز  
عاقل أن يسمعا ؛ فكيف يرضى أن يعتقدها ؟ ! .

وأعجب من هذا كله : تأويلاته الفاسدة ، ومقابلاته بين الفرائض الشرعية  
والأحكام الدينية ؛ وبين موجسودات عالمى الآفاق والأنفس . وادعاؤه  
أنه متفرد بها . وكيف يصح له ذلك ؛ وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك ؛  
لا على الوجه المزيف الذى قرره الكيال ؛ وحمله الميزان على العالمين ، والصراط

على نفسه ، والجنة على الوصول إلى علمه من البصائر ، والنار على الوصول إلى ما يضاذه ؟

ولما كانت أصول علمه ما ذكرناه ؛ فانظر كيف يكون حال الفروع ؟ !

ح - الهشامية } أصحاب : الهشامين : هشام بن الحكم ؛ صاحب المقالة  
في التشبيه ، وهشام بن سالم الجواليقي ؛ الذي نسج  
على منواله في التشبيه .

وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة ، وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام : منها في التشبيه ، ومنها في تعلق علم الباري تعالى .  
حكى ابن الراوندي عن هشام أنه قال : إن بين معبوده وبين الأجسام تشابهاً ما ، بوجه من الوجود ؛ ولولا ذلك لما دلت عليه .

وحكى السكعي عنه أنه قال : هو جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار ؛  
ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبه شيء .  
ونقل عنه أنه قال : هو : سبعة أشبار بشير نفسه ، وأنه في مكان مخصوص ،  
وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك ؛ وحركته فعله ، وليست من مكان إلى مكان .  
وقال : هو متناه بالذات ، غير متناه بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق  
أنه قال : إن الله تعالى مماس لعرشه ؛ لا يفضل منه شيء عن العرش ، ولا يفضل  
من العرش شيء عنه .

ومن مذهب هشام ؛ أنه قال : لم يزل [ الباري تعالى ] عالماً ؛ بنفسه ، ويعلم  
الأشياء بعد كونها ؛ بعلم : لا يقال فيه : إنه محدث ، أو قديم ؛ لأنه صفة ،  
والصفة لا توصف ؛ ولا يقال فيه : هو هو ، أو غيره ، أو بعضه .

وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم ؛ إلا أنه لا يقول بحدوثهما .  
قال : ويريد الأشياء ، وإرادته حركة : ليست هي عين الله ؛ ولا هي غيره .  
وقال في كلام الباري تعالى : إنه صفة للباري تعالى ؛ ولا يجوز أن يقال :  
هو مخلوق ، أو غير مخلوق .

وقال : الأعراض لا تصلح أن تكون دلالة على الله تعالى ؛ لأن منها ما ثبت استدلالاً ؛ وما يستدل به على الباري تعالى يجب أن يكون ضروري الوجود ؛ لا استدلالياً . وقال : الاستطاعة : كل ما لا يكون الفعل إلا به : كالآلات ، والجوارح ، والوقت ، والمكان .

وقال هشام بن سالم إنه تعالى على صورة إنسان : أعلاه مجوف ، وأسفله مصمت ، وهو نور ساطع يتلألأ ؛ وله حواس خمس ، ويد ، ورجل ، وأنف ، وأذن ، وعين ، وفم ، وله وفرة سوداء : هي نور أسود ؛ ولكنه ليس بلحم ولا دم . وقال هشام بن سالم : الاستطاعة بعض المستطيع . وقد نقل عنه : أنه أجاز المعصية على الأنبياء ؛ مع قوله بعصمة الأئمة . ويفرق بينهما بأن النبي يوحى إليه ؛ فينبه على وجه الخطأ ؛ فيتوب منه ، والإمام لا يوحى إليه ؛ فتجب عصمته .

وغلا هشام بن الحكم في حق علي ، رضي الله عنه حتى قال : إنه إله واجب الطاعة . وهذا هشام بن الحكم صاحب عور في الأصول ؛ لا يجوز أن يغفل عن إزاماته على المعتزلة ؛ فإن الرجل وراء ما يلزم به على الخصم ، ودون ما يظهره من التشبيه . . . وذلك أنه ألزم الغلاف ، فقال : إنك تقول : الباري تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ؛ فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم ، ويباينها في أن علمه ذاته ؛ فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لا تقول : إنه جسم لا كالأجسام ، وصورة لا كالصور ، وله قدر لا كالأقدار . . . إلى غير ذلك ؟ ؟

ووافقه زرارة بن أعين في حدوث علم الله تعالى ، وزاد عليه بحدوث قدرته ، وحياته ، وسائر صفاته ؛ وأنه لم يكن قبل حدوث هذه الصفات : عالماً ، ولا قادراً ، ولا حياً ، ولا سمياً ، ولا بصيراً ، ولا مريداً ، ولا متكلماً .

وكان يقول بإمامة عبد الله بن جعفر ؛ فلما فاضله في مسائل ، ولم يجده بها ملماً رجع إلى موسى بن جعفر . وقيل أيضاً : إنه لم يقل بإمامته ، إلا أنه أشار

إلى المصحف ؛ وقال : هذا إمامي ؛ وإنه كان قد التوى على عبد الله بن جعفر  
بعض الالتواء .

وحكى عن « الزرارية » : أن المعرفة ضرورية ، وأنه لا يسع جهل الأئمة ؛  
فإن معارفهم كلها فطرية ضرورية ، وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم أولى  
ضروري ، وفطرياتهم لا يدركها غيرهم .

ط - النعمانية } أصحاب : محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول ، الملقب بشيطان  
الطاق (١) : وهم : « الشيطانية » أيضا .  
والشيعة تقول : هو مؤمن الطاق .

(٢) وهو تلميذ الباقر : محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، وأفضى إليه  
أسراراً من أحواله وعلومه . وما يحكى عنه من التشبيه ، فهو غير صحيح (٢) .  
(٣) قيل : وافق (٣) هشام بن الحكم في أن الله تعالى لا يعلم شيئاً حتى يكون .

(١) « الطاق » - كما يقول صاحب القاموس المحيط في هذه المادة - ما عطف من الأبنية ...  
وبلد « بسجستان » وحصن « بطبرستان » وبه سكن محمد بن النعمان : شيطان الطاق .

(٢) هذا النص جميعه ساقط من إحدى عشرة مجموعة من المجموعات الأصول التي اعتمدها  
عليها في تخریج الكتاب ، وتنفرد به ( المجموعة ١ ) وهي أقدم ما وصل إلينا من أصول هذا  
الكتاب ، وقد أثبتنا هذا النص بعد التحقيق التاريخي الدقيق من تلمذة محمد بن النعمان للباقر ،  
وبعد التدقيق العلمي العميق من إبطال ما حكى عنه من التشبيه ؛ وإنما عده « الشهرستاني »  
من « الغلاة » لغلوه في حق من قال بامامتهم وبخاصة « جعفر الصادق » وابنه « موسى » .  
ومن بين مصنفات ابن النعمان هذا « كتاب الإمامة » ، و « كتاب الرد على المعتزلة في إمامة  
المفضول - على ما ذكره « ابن النديم » في كتابه « الفهرست » ، وغيره .

(٣) ص ، ع ، ل ، س ، سر ، ست ، سم ، لث ، تي ، بر : وافق ؛ ه : ووافق ، أعنى : أن  
هذه المجموعات كلها تسقط كلمة « قيل » وتنفرد بها أيضاً المجموعة ( ١ ) ، والحق أن محمد  
ابن النعمان هذا لم يوافق هشام بن الحكم في مسألة « علم الباري تعالى » ، بل خالفه مخالفة  
كبيرة - وإن قيل إنه وافقه - كما يتبين ذلك من نص كلام ابن النعمان اللاحق في « علم الباري »  
على ما حققه جهابذة المحققين المتخصصين أمثال « الأشعري » في كتابه « مقالات الاسلاميين »  
« وابن السمعاني » في كتابه « الأنساب » وابن الأثير عز الدين المؤرخ الكبير - في كتابه =

[ قال محمد بن النعمان : « إن الله عالم في نفسه ، ليس بجاهل ؛ ولكنه إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ، فأما من قبل أن يقدرها ويريدها فحال أن يعلمها ، لئلا يلهو به ، ولكن الشيء لا يكون شيئاً حتى يقدره وينشئه بالتقدير ، » (١) ، والتقدير عنده : الإرادة ، والإرادة : فعله تعالى .

وقال : « إن الله تعالى نور على صورة إنسان رباني ، ونفى أن يكون جسماً ، لكنه قال : قد ورد في الخبر : « إن الله خلق آدم على صورته ، » وعلى صورة الرحمن ، ؛ فلا بد من تصديق الخبر . ويحكى عن مقاتل بن سليمان : مثل مقالته في الصورة . وكذلك يحكى عن : داود الجواربي ، ونعيم بن حماد المصري ؛ وغيرهما من أصحاب الحديث : أنه تعالى ذو صورة وأعضاء . ويحكى عن داود أنه قال : اعفوني عن الفرج واللحية ، واسألوني عما وراء ذلك ؛ فإن في الأخبار ما يثبت ذلك .

وقد صنف « ابن النعمان » كتباً جمة للشيعة ؛ منها : « افعال لم فعلت » ، ومنها : « افعال لا تفعل » ؛ ويذكر فيها : أن كبار الفرق أربعة : الفرقة الأولى عنده : القدرية ، الفرقة الثانية عنده : الخوارج ، الفرقة الثالثة عنده : العامة ، الفرقة الرابعة عنده : الشيعة .

ثم عين الشيعة بالنجاة في الآخرة من هذه الفرق .

== « اللباب في تهذيب الأنساب » وفوق هذا فان « هشام بن الحكم » نفسه قد ألف كتاباً في الرد على ابن النعمان سماه « كتاب الرد على شيطان الطاق » — على ما ذكره « ابن النديم » في كتابه « الفهرست » صفحة ٢٥٠ طبع مصر — فكيف يقال بموافقته له .

(١) هذا النص — المحصور بين المربعين — جميعه غير موجود في جميع أصول الكتب التي بين أيدينا ، وإنما نقلناه بحروفه من كتاب « مقالات الاسلاميين » للإمام « أبي الحسن الأشعري » الجزء الثاني صفحة ٤٩٣ طبع « استانبول » تخريج « ريتز » ؛ لأن الأمانة العلمية في « التخريج العلمي » : توجبه ، وروح « الشهرستاني » في دقته العلمية وأسلوبه : تفرضه ، وسياق الكلام في عرض المذهب وربط أجزائه : يحتمه . ولعل نسخة « الشهرستاني » نفسه التي كتبها بخطه والتي نرجو أن يتحفنا بها الغد : لا تخرج عن هذا . وفوق كل ذي علم عليم .

وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان : أنهما أمسكا عن الكلام في الله ؛  
ورويَا عن يوجبان تصديقه : أنه سئل عن قول الله تعالى : « وأن إلى ربك  
المنتهى » ؟ قال : « إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا ؛ فأمسكا عن القول  
في الله ، والتفكر فيه حتى ماتا . . . هذا ثقل الوراق .  
ومن جملة الشيعة :

ي - الـيُونُسِيَّةُ } أصحاب : يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين .  
زعم أن « الملائكة » تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب  
تعالى ؛ إذ قد ورد في الخبر : أن الملائكة تَظُّ أحيانا من وطأة عظمة الله تعالى  
على العرش .

وهو من مشبهة الشيعة ؛ وقد صنّف لهم كتاباً في ذلك .

يا - النَّصِيرِيَّةُ وَالْإِسْحَاقِيَّةُ } من جملة غلاة الشيعة ، ولهم جماعة  
ينصرون مذهبهم ، ويذبون عن أصحاب  
مقالاتهم ؛ وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت .  
قالوا : ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل ؛ أما في جانب الخير ؛  
فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص ، والتصوير بصورة أعرابي ، والتمثل  
بصورة البشر . وأما في جانب الشر ؛ فكظهور الشيطان بصورة إنسان ، حتى يعمل  
الشر بصورته ؛ وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه . . . فكذلك نقول :  
إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص .

ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من « علي »  
رضي الله عنه ، وبعده أولاده المخصوصون ، وهم خير البرية ؛ فظهر « الحق »  
بصورتهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم ؛ فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم .  
ولنما أثبتنا هذا الاختصاص « لعل » رضي الله عنه دون غيره ؛ لأنه كان مخصوصا  
بتأييد إلهي من عند الله تعالى ، فيما يتعلق بباطن الأسرار . قال النبي صلى الله



عليه وسلم : « أنا أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، . وعن هذا : كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقاتل المنافقين إلى علي رضي الله عنه . وعن هذا : شبهه بعيسى بن مريم عليه السلام ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم عليه السلام : لقلت فيك مقالا . وربما أثبتوا له شركة في الرسالة ؛ إذ قال [النبي عليه السلام] : « فيكم من يقاتل علي تأويله ؛ كما قاتلت علي تزييله ؛ ألا وهو خاصف النعل ، . فعلم التأويل ، وقاتل المنافقين ، ومكالمة الجن ، وقلع باب خير لا بقوة جسدانية : من أدل الدليل على أن فيه جزءاً إلهياً ، وقوة ربانية . ويكون هو الذي ظهر الإله بصورته ، وخلق يديه ، وأمر بلسانه ؛ وعن هذا قالوا : كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض . قال : كنا أظلة على يمين « العرش » ، فسبحنا ، فسبحت « الملائكة » ، بتسبيحنا ؛ فتلك الظلال ؛ وتلك الصور التي تنبئ عن الظلال : هي حقيقته ، وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقاً لا ينفصل عنها ؛ سواء كانت في هذا العالم ، أو في ذلك العالم . وعن هذا : قال « علي » ، رضي الله عنه : « أنا من أحمد كالضوء من الضوء ، يعني : لا فرق بين النورين ؛ إلا أن أحدهما سابق ، والثاني لاحق به تال له . قالوا : وهذا يدل على نوع من الشركة .

« فالنصيرية » : أميل إلى تقرير : الجزء الإلهي .

« والإسحاقية » : أميل إلى تقرير : الشركة في النبوة .

ولهم اختلافات كثيرة آخر : لا نذكرها .

\* \* \*

وقد نجزت الفرق الإسلامية ، وما بقيت إلا فرقة « الباطنية » ؛

وقد أوردتهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات :

إما خارجة عن الفرق ، وإما داخلة فيها . وبالجملة : هم قوم يخالفون

الاثنين والسبعين فرقة .

\* \* \*

رجال الشيعة ومصنفوا كتبهم من المحدثين { فمن « الزيدية » :  
ومنصور بن الأسود ، وهارون بن سعد العجلي ... جارودية .  
ووكيع بن الجراح ، ويحيى بن آدم ، وعبيد الله بن موسى ، وعلى بن صالح ،  
والفضل بن دكين ، وأبو حنيفة ... بترية .  
وخرج محمد بن عجلان ؛ مع محمد الإمام .  
وخرج : إبراهيم بن سعيد ، وعباد بن عوام ، ويزيد بن هارون ، والعلاء  
ابن راشد ، وهشيم بن بشير ، والعوام بن حوشب ، ومستلم بن سعيد ؛  
مع إبراهيم الإمام .  
ومن « الإمامية » وسائر أصناف الشيعة : سالم بن أبي الجعد ، وسالم  
ابن أبي حفصة ، وسلبة بن كهيل ، وثوير بن أبي فاخنة ، وحبيب بن أبي ثابت ،  
وأبو المقدم ، وشعبة ، والأعمش ، وجابر الجعفي ، وأبو عبد الله الجدلي ،  
وأبو اسحاق السبيعي ، والمغيرة ، وطاووس ، والشعبي ، وعلقمة . وهبيرة  
ابن بريم ، وحنة العرفي ، والحارث الأعور .  
ومن مؤلفي كتبهم : هشام بن الحكم ، وعلى بن منصور ، ويونس  
ابن عبد الرحمن ، والشكأل ، والفضل بن شاذان ، والحسين بن إشكاب ،  
ومحمد بن عبد الرحمن ، وابن قبة ، وأبو سهل النوبختي ، وأحمد بن يحيى الراوندي .  
ومن المتأخرين : أبو جعفر الطوسي .

## ٥ - الإسماعيلية

قد ذكرنا : أن الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنى عشرية ؛ بإثبات  
الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر .  
قالوا : ولم يتزوج الصادق رضي الله عنه على أمه بواحدة من النساء ،

ولا تسرى بجارية ؛ كسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق خديجة رضي الله عنها ، وكسنة علي رضي الله عنه في حق فاطمة رضي الله عنها .  
وقد ذكرنا : اختلافاتهم في موته في حال حياة أبيه :

فمنهم من قال : إنه مات ، وإنما فائدة النص عليه : انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة ؛ كما نص موسى على هارون عليهما السلام ، ثم مات هارون في حال حياة أخيه . وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلى أولاده ؛ فإن النص لا يرجع قهقري ، والقول بالبداء محال ، ولا ينص الإمام على واحد من أولاده إلا بعد السماع من آباءه ؛ والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة .

ومنهم من قال : إنه لم يموت ، ولكنه أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ؛ ولهذا القول دلالات : منها أن محمداً كان صغيراً - وهو أخوه لأمه - مضى إلى السرير الذي كان إسماعيل نائماً عليه ، ورفع الملاءة ؛ فأبصره وقد فتح عينيه ؛ فعاد إلى أبيه مفزعاً ، وقال : عاش أخي ، عاش أخي . . . قال والده : إن أولاد الرسول عليه السلام كذا تكون حالهم في الآخرة . قالوا ومنها السبب في الإشهاد على موته وكتب المحضر عليه ، ولم نعهد ميتاً سجل على موته ؛ وعن هذا : لما رفع إلى المنصور : أن إسماعيل بن جعفر رثى بالبصرة ؛ وقد مرّ على مقعد فدعاه ، فبرىء بإذن الله تعالى : بعث المنصور إلى الصادق : أن إسماعيل بن جعفر في الأحياء ؛ وأنه رثى بالبصرة : أنفذ السجل إليه ، وعليه شهادة عامله بالمدينة .

قالوا : وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام ، وإنما تم دور السبعة به ، ثم ابتدئ منه « بالأئمة المستورين » الذين كانوا يسيرون في البلاد سرّاً . ويظهرون الدعاة جهراً .

قالوا : ولن تخلو الأرض قط من « إمام » حتى قائم : إما ظاهر مكشوف ، وإما باطن مستور . فإذا كان الإمام ظاهراً ؛ جاز أن يكون حجته مستوراً . وإذا كان الإمام مستوراً ؛ فلا بد أن يكون حجته ودعواته ظاهرين .

وقالوا : إن : الأئمة تدور أحكامهم على « سبعة » سبعة : كأيام الأسبوع ،  
والسموات السبع ، والكواكب السبعة ؛ و « النقباء » تدور أحكامهم  
على « اثني عشر » .

قالوا : وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية ؛ حيث قرروا عدد  
النقباء للأئمة .

ثم بعد الأئمة المستورين كان ظهور المهدي بالله ، والقائم بأمر الله ،  
وأولادهم : نصاً بعد نص ، على إمام بعد إمام .

ومن مذهبهم : أن من مات ولم يعرف « إمام زمانه » : مات ميتة جاهلية .  
وكذلك من مات ولم يكن في عنقه « بيعة إمام » مات ميتة جاهلية .

ولهم دعوة في كل زمان ، ومقالة جديدة بكل لسان . فذكر مقالاتهم القديمة ؛  
ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة .

وأشهر ألقابهم : الباطنية ؛ وإنما لزمهم هذا اللقب ؛ لحكمهم بأن : لكل ظاهر  
باطناً ؛ ولكل تنزيل تأويلاً .

ولهم ألقاب كثيرة — سوى هذه — على لسان قوم قوم :  
فبالعراق يسمون : الباطنية ، والقرامطة ، والمزدكية ؛

وبخراسان التعليمية ، والملحدة .

وهم يقولون : نحن إسماعيلية ؛ لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم ،  
وهذا الشخص .

ثم إن « الباطنية القديمة » قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا  
كتبهم على هذا المنهاج . فقالوا في الباري تعالى : إنا لا نقول : هو موجود ؛  
ولا لا موجود ، ولا عالم ؛ ولا جاهل ، ولا قادر ، ولا عاجز .

وكذلك في جميع الصفات ؛ فإن الإثبات الحقيقي يقتضى شركة بينه وبين سائر  
الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه ، وذلك تشبيه ؛ فلم يمكن الحكم بالإثبات

المطلق والنفي المطلق ؛ بل هو : إله المتقابلين ، وخالق المتخاصمين ، والحاكم بين المتضادين . ونقلوا في هذا نصاً عن محمد بن علي الباقر أنه قال : ولما وهب العلم للعالمين ؛ قيل : هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين ؛ قيل : هو قادر ؛ فهو : عالم ، قادر ؛ بمعنى أنه وهب العلم ، والقدرة ؛ لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة ، أو وصف بالعلم والقدرة .

فقيل فيهم : إنهم تفة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن جميع الصفات . قالوا : وكذلك نقول في القدم : إنه ليس بقديم ولا محدث ؛ بل القديم : أمره ، وكلمته ، والمحدث : خلقه ، وفطرته ...

أبداع بالأمر «العقل الأول» الذي هو تام بالفعل ، ثم بتوسطه أبداع النفس التالى الذى هو غير تام . ونسبة النفس إلى العقل : إما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة ، والبيض إلى الطير ؛ وإما نسبة الولد إلى الوالد ، والنتيجة إلى المنتج ؛ وإما نسبة الأثى إلى الذكر ، والزوج إلى الزوج . قالوا : ولما اشتاقت «النفس» إلى كمال «العقل» - احتاجت إلى حركة من النقش إلى الكمال ، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة ؛ فحدثت الأفلاك السماوية ، وتحركت حركة دورية بتسيير النفس ؛ وحدثت الطبائع البسيطة بعدها ، وتحركت حركة استقامة بتسيير النفس أيضاً ؛ فتركبت المركبات : من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ؛ واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان . وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار ، وكان عالمه فى مقابلة العالم كله .

وفى العالم العلوى : عقل ، ونفس كلوى ؛ فوجب أن يكون فى هذا العالم : عقل مشخص هو كل ، وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ، ويسمونه : الناطق ... وهو : النبى ؛ ونفس مشخصة ، وهو كل أيضاً ، وحكمه : حكم الطفل الناقص المتوجه إلى الكمال ، أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام ، أو حكم الأثى المزدوجة بالذكر ؛ ويسمونه : الأساس . وهو «الوصى» .

قالوا : وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل ؛ كذلك تحركت

النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي ، والوصى - في كل زمان - دأراً على سبعة سبعة ؛ حتى ينتهي إلى الدور الأخير ، ويدخل زمان القيامة ، وترتفع التكاليف ، وتضمحل السنن والشرائع .

وإنما هذه الحركات الفلسفية ، والسنن الشرعية ؛ لتبلغ النفس إلى حال كمالها ؛ وكمالها : بلوغها إلى درجة العقل ، واتحادها به ، ووصولها إلى مرتبته فعلاً ؛ وذلك هو : القيامة الكبرى . فتتحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات ، وتنشق السماء ، وتتناثر الكواكب ، وتبدل الأرض غير الأرض ، وتطوى السماء كطى السجل للكتاب المرقوم ؛ وفيه يحاسب الخلق ، ويتميز الخير عن الشر ، والمطيع عن العاصي ، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلى ، وجزئيات الباطل بالشیطان المضل المبطل . فمن وقت الحركة إلى وقت السكون : هو المبدأ ؛ ومن وقت السكون إلى ما لا نهاية له : هو الكمال .

ثم قالوا : ما من فريضة ، وسنة ، وحكم من الأحكام الشرعية : من بيع ، وإجارة ، وهبة ، ونكاح ، وطلاق ، وجراح ، وقصاص ، ودية . . . إلا وله وزن من العالم : عدداً في مقابلة عدد ، وحكما في مطابقة حكم ؛ فإن الشرائع عوالم روحانية أمرية ، والعوالم شرائع جسمانية خلقية . وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات : على وزن التركيبات في الصور والأجسام ؛ والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات : كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام . ولكل حرف : وزن في العالم ، وطبيعة يخصصها ، وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس .

فمن هذا صارت « العلوم » المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس . كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان ؛ وقد قدر الله تعالى : أن يكون غذاء كل موجود مما خلق منه ؛ فعلى هذا الوزن صاروا إلى : ذكر أعداد الكلمات والآيات ، وأن التسمية مركبة من سبعة واثني عشر ، وأن التهليل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهادتين ، وثلاث كلمات في الشهادة الثانية ،

وسبع قطع في الأولى ، وست في الثانية ، واثنى عشر حرفاً في الأولى ، واثنى عشر حرفاً في الثانية . وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك ؛ خوفاً من مقابلته بضده . وهذه « المقابلات » كانت طريقة أسلافهم ؛ قد صنفوا فيها كتباً . ودعوا الناس إلى إمام في كل زمان : يعرف موازنات هذه العلوم ، ويهتدى إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم .

ثم إن أصحاب « الدعوة الجديدة » : تنكبوا هذه الطريقة ؛ حين أظهر « الحسن بن محمد بن الصباح » دعوته ، وقصر على الإلزامات كلبته ، واستظهر بالرجال ، وتحصن بالقلع .

وكان بدء صعوده على « قلعة : الموت » (١) في شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ؛ وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد « إمامة » ، وتلقى منه كيفية الدعوى لأبناء زمانه (٢) .



(١) أشهر قلعة حصينة من قلاع « طالقان » من نواحي قروين ، بناها أحد ملوك الديلم وسماها : « إله موت » أي : تعليم العقاب .

(٢) على هامش المخطوطة (١) أقدم المخطوطات الأصول للكتاب « تعليقة » بخط وإمضاء شيخ الإسلام « حسن العطار » الذي تولى مشيخة الأزهر من سنة ١٢٤٦ إلى سنة ١٢٥٠ هـ . والذي اشتهر بالعلم والرحلات والتأليف ، وخطه جيد مجود أقرب ما يكون إلى الخط الفارسي . ونص هذه التعليقة بحروفها بعد تصحيح التصحيف ونقط المهمل ما يأتي : « كانت هجرته إلى مصر وبها أحد الخلفاء « الفواطم » الذين نشروا هذه المقالات في أكناف العالم وأطرافه ، وبثوا الدعوة في سائر الأقاليم حتى راسلوا يمين الدولة « محمود بن سبكتكين » ، ومنهم تفرعت « الدرزية » و « النصرية » ، ولهم في ذلك قصص وأنباء مبسطة في التواريخ ، وكانت شوكتهم قد اشتدت ، ودعوتهم طمت وعمت ؛ فقيض الله من وفقه من السلاطين لاطفائها وإخادها . ومن « الحسن ابن الصباح » انتشر جماعة كثيرون كانوا يفتلون الناس ، ويسمون « الفداوية » ؛ كانت تستخدمهم الملوك وبعثونهم للفتك بمن يعجزون عن قتله . وأول من هدم دولتهم « هولوكو » قبل توجهه لحراب « بغداد » وقتل الخليفة . وكان من العلماء المقيمين معهم في دولتهم « نصير الدين الطوسي » ، واجتمع « بهولاكو » حينئذ ، وبقي عنده وعند أولاده من ملوك « التتار » في نعمة واسعة ، وكلمة نافذة ، وعظمة زائدة - إلى أن مات . ه حسن العطار .

فعاد ، ودعا الناس أول دعوة إلى تعيين : إمام ، صادق ، قائم في كل زمان ؛ وتمييز ، الفرقة الناجية ، عن سائر الفرق بهذه النكته وهي : أن لهم إماماً ، وليس لغيرهم إمام . وإنما تعود خلاصة كلامه ، بعد ترديد القول فيه : عوداً على بدء - بالعربية ، والعجمية - إلى هذا الحرف .

ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية . ولا معاب على الناقل ، والموفق من اتبع الحق ، واجتنب الباطل ، والله الموفق والمعين .

فنبداً بالفصول الأربعة ، التي ابتدأ بها دعوته ؛ وكتبتها عجمية ، فعربتها : الأول : قال : للفتى في معرفة الله تعالى أحد قولين : إما أن يقول : أعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر ؛ من غير احتياج إلى تعليم معلم ؛ وإما أن يقول : لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم . قال : ومن أفتى بالأول ؛ فليس له الإنكار على عقل غيره ونظره ؛ فإنه متى أنكر ، فقد علم ، والإنكار تعليم ، ودليل على أن المنكر عليه محتاج إلى غيره . قال : والقسمان ضروريان ؛ لأن الإنسان إذا أفتى بفتوى ، أو قال قولاً ؛ فإما أن يقول من نفسه ، أو من غيره ؛ وكذلك إذا اعتقد عقداً ؛ فإما أن يعتقد من نفسه ، أو من غيره .

هذا هو الفصل الأول ؛ وهو كسر على : أصحاب الرأي والعقل .

وذكر في الفصل الثاني : أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم ؛ أفصلح كل معلم على الإطلاق ، أم لا بد من معلم صادق ؟ . قال : ومن قال : إنه يصلح كل معلم ؛ ماسأغله الإنكار على معلم خصمه ، وإذا أنكر فقد سلم أنه لا بد من معلم صادق معتمد . قيل : وهذا كسر على : أصحاب الحديث .

وذكر في الفصل الثالث : أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق ؛ أفلا بد من معرفة المعلم أولاً والظفر به ، ثم التعلم منه ؟ أم جاز التعلم من كل معلم ، من غير تعيين شخصه ، وتعيين صدقه ؟ والثاني رجوع إلى الأول . ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق ؛ فالرفيق ثم الطريق . وهو كسر على : الشيعة .



وذكر في الفصل الرابع : أن الناس فرقان ؛ فرقة قالت : نحن نحتاج في معرفة  
البارى تعالى إلى معلم صادق ، ويجب تعيينه وتشخيصه أولاً ، ثم التعلم منه . وفرقة  
أخذت في كل علم من «معلم» ، وغير معلم . وقد تبين بالمقدمات السابقة : أن الحق  
مع الفرقة الأولى ، فرئيسهم يجب أن يكون رئيس المحققين ؛ وإذ تبين أن الباطل  
مع الفرقة الثانية ؛ فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين .

قال : وهذه الطريقة هي التي عرفنا بها «المحقق» ، «بالحق» ، معرفة بجملة ،  
ثم نعرف بعد ذلك «الحق» ، «بالمحقق» معرفة مفصلة ؛ حتى لا يلزم دوران المسائل .  
وإنما عني بالحق ههنا : «الاحتياج» ؛ وبالمحقق : «المحتاج إليه» . وقال :  
بالاحتياج عرفنا الإمام ، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج ؛ كما بالجواز عرفنا  
الوجوب ، أي «واجب الوجود» ، وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات .  
قال : والطريق إلى التوحيد كذلك ، حذر القذة بالقذة .

ثم ذكر فصولاً في تقرير مذهبه : إما تمهيداً ، وإما كسراً على المذاهب ؛  
وأكثرها : كسر ، وإلزام ، واستدلال بالاختلاف على البطلان ، وبالاتفاق  
على الحق .

منها فصل «الحق والباطل» : الصغير ، والكبير ، يذكر أن في العالم حقاً ،  
وباطلاً . ثم يذكر أن علامة الحق هي الوحدة ، وعلامة الباطل هي الكثرة .  
وأن الوحدة مع التعليم ، والكثرة مع الرأي . والتعليم مع الجماعة ، والجماعة  
مع الإمام . والرأي مع الفرق المختلفة ، وهي مع رؤسائهم .

وجعل الحق والباطل ، والتشابه بينهما من وجه ، والتمايز بينهما من وجه ،  
والتضاد في الطرفين ، والترتب في أحد الطرفين . . . ميزاناً يزن به جميع ما يتكلم  
فيه . قال : وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة ، وتركيبها من النفي والإثبات ؛  
أو النفي والاستثناء . قال : فما هو مستحق النفي باطل ، وما هو مستحق الإثبات  
حق . ووزن بذلك : الخير والشر ، والصدق والكذب . . . وسائر المتضادات .  
ونكته : أن يرجع في كل مقالة ، وكلمة ؛ إلى إثبات المعلم ، وأن التوحيد هو :

التوحيد والنبوة معا ؛ حتى يكون توحيداً ، وأن النبوة هي : النبوة والإمامة معا ؛ حتى تكون نبوة . وهذا هو منتهى كلامه .

وقد منع العوام عن الخوض في العلوم ، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة ؛ إلا من عرف : كيفية الحال في كل كتاب ، ودرجة الرجال في كل علم .

ولم يتعد بأصحابه — في الإلهيات — عن قوله : إن إلهنا إله محمد . قال : وأنتم تقولون : إلهنا إله العقول ؛ أي : ما هدى إليه عقل كل عاقل . فإن قيل لواحد منهم : ما تقول في الباري تعالى ؟ وأنه هل هو : واحد ؛ أم كثير ؟ عالم ؛ أم لا ؟ قادر ؛ أم لا ؟ . . . . لم يجب إلا بهذا القدر : إن إلهي : إله محمد ، وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، ؛ والرسول هو الهادي إليه .

وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة ؛ فلم يتخطوا عن قولهم : أفحتاج إليك ؟ ، أو نسمع هذا منك ؟ ، أو نتعلم عنك ؟ ؟ .

وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج ؛ وقلت : أين المحتاج إليه ، ؟ وأي شيء يقرر لي في الإلهيات ؟ وماذا يرسم لي في المعقولات ؟ . . . إذ المعلم لا يعنى لعينه وإنما يعنى ؛ ليعلم ، وقد سدتم باب العلم ، وفتحتم باب التسليم والتقليد ؛ وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهباً على غير بصيرة ، وأن يسلك طريقاً من غير بينة .

وإن كانت : مبادئ الكلام تحكيمات ، وعواقبها تسليمات ؛ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ؛ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلبوا تسليماً .

## الباب السابع : أهل الفروع

المختلفون :

في الأحكام الشرعية ، والمسائل الاجتهادية .

١ - اعلم أن « أصول الاجتهاد » ، و « أركانه » ، أربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس . وربما تعود إلى اثنين .

وإنما تلقوا صحة هذه الأركان ؛ وانحصارها : من إجماع الصحابة رضی الله عنهم ، وتلقوا أصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم أيضاً ؛ فإن العلم قد حصل - بالتواتر - أنهم إذا وقعت لهم حادثة شرعية ؛ من حلال ، أو حرام : فزعموا إلى الاجتهاد ، وابتدؤوا بكتاب الله تعالى ؛ فإن وجدوا فيه نصاً أو ظاهراً : تمسكوا به ، وأجروا حكم الحادثة على مقتضاه ؛ وإن لم يجدوا فيه نصاً [ أو ] ظاهراً (١) : فزعموا إلى السنة ؛ فإن روي لهم في ذلك خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ؛ وإن لم يجدوا الخبر : فزعموا إلى الاجتهاد ؛ فكانت أركان الاجتهاد عندهم : اثنين ، أو ثلاثة ؛ ولنا بعدهم : أربعة ؛ إذ وجب علينا : الأخذ بمقتضى إجماعهم واتفاقهم ، والجرى على مناهج اجتهادهم .

وربما كان إجماعهم على حادثة إجماعاً اجتهادياً ، وربما كان إجماعاً مطلقاً لم يصرح فيه باجتهاد ؛ وعلى الوجهين جميعاً : فالإجماع حجة شرعية ؛ لإجماعهم على التمسك بالإجماع . ونحن نعلم : أن الصحابة رضی الله عنهم ، الذين هم الأئمة

(١) وقد زدنا « أو » المحصورة بين المرعين على الرغم من عدم وجودها في جميع الأصول التي بين أيدينا : تحقيقاً للمعنى ، ومساوقة للتركيب ، وإرضاء لدقة الشهرستاني ، وطوعاً لمراجعة فضيلة أستاذنا المحقق الطلعة الشيخ عيسى منون شيخ كلية أصول الدين وقت المراجعة ، وشيخ كلية الشريعة وقت الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ ، وقد تفضل مشكوراً بمراجعة هذا الباب الخاص بأهل الفروع معنا ، وشاركنا في تحقيق نصه ؛ باعتباره حجة في هذا الباب : « علم أصول الفقه » وقد نال عضوية جماعة كبار العلماء بالتأليف فيه . والمراد بالنص هنا : اللفظ الذي لا يحتاج إلى تأويل ؛ أو كان قطعي الدلالة ؛ أو ما دل على معنى بدون أن يحتمل معنى آخر . . . . وبالظاهر : اللفظ الذي يحتاج إلى تأويل ؛ أو كان ظني الدلالة ؛ أو يحتمل معنى آخر . . .

الراشدون : لا يجتمعون على ضلال ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع أمتي على ضلالة » .

ولكن الإجماع لا يخلو عن « نص » ، خفي ، أو جلي : قد اختصه ؛ لأننا - على القطع - نعلم أن الصدر الأول لا يجتمعون على أمر إلا عن ثبت ، وتوقيف ؛ فإما أن يكون ذلك النص في نفس الحادثة التي اتفقوا على حكمها ؛ من غير بيان ما يستند إليه حكمها ، وإما أن يكون النص في أن الإجماع حجة ، ومخالفة الإجماع بدعة .

وبالجملة : مستند الإجماع « نص » ، خفي ، أو جلي : لا محالة ؛ وإلا فيؤدي إلى إثبات « الأحكام المرسلة » ، ومستند الاجتهاد والقياس هو : الإجماع ؛ وهو أيضاً مستند إلى « نص » ، مخصوص في جواز الاجتهاد . فرجعت الأصول الأربعة في الحقيقة إلى اثنين ، وربما ترجع إلى واحد ؛ وهو قول الله تعالى .

وبالجملة : نعلم - قطعاً ويقيناً - أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات : مما لا يقبل الحصر والعد ؛ ونعلم - قطعاً أيضاً - أنه لم يرد في كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضاً ؛ والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ؛ وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى . . . علم قطعاً : أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ؛ حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد .

ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلًا : خارجاً عن ضبط الشرع ؛ فإن القياس المرسل شرع آخر ، وإثبات حكم من غير مستند وضع آخر ، والشارع هو الواضع للأحكام ؛ فيجب على المجتهد أن لا يعدل في اجتهاده عن هذه الأركان .

ب - وشرائط الاجتهاد خمسة :

معرفة قدر صالح من اللغة ؛ بحيث يمكنه فهم لغات العرب ؛ والتمييز بين الألفاظ الوضعية والاستعارية ، والنص والظاهر ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمفصل ، وفحوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدل على مفهومه بالمطابقة ، وما يدل بالتضمن ، وما يدل بالاستتباع ؛ فإن هذه المعرفة

كالآلة التي بها يحصل الشيء ؛ ومن لم يحكم الآلة والأداة لم يصل إلى تمام الصنعة .  
ثم : معرفة تفسير القرآن ؛ خصوصاً ما يتعلق بالأحكام ، وما ورد  
من الأخبار في معاني الآيات ، وما رُئي من الصحابة المعبرين : كيف سلكوا  
مناهجها ؟ ، وأى معنى فهموا من مدارجها ؟ ؛ ولو جهل تفسير سائر الآيات  
التي تتعلق بالمواعظ والقصص - قيل : لم يضره ذلك في الاجتهاد ؛ فإن من الصحابة  
من كان لا يدري تلك المواعظ ، ولم يتعلم بعد جميع القرآن ؛ وكان من أهل الاجتهاد .  
ثم : معرفة الأخبار : بمتونها ، وأسانيدها ، والإحاطة بأحوال « النقلة » ،  
و « الرواة » : عدولها ، وثقاتها ، ومطعونها ، ومردودها ؛ والإحاطة بالوقائع  
الخاصة فيها ، وما هو عام ورد في حادثة خاصة ، وما هو خاص عمم في الكل  
حكمه . ثم الفرق بين : الواجب ، والندب ، والإباحة ، والحظر ، والكراهة ؛  
حتى لا يشذ عنه وجه من هذه الوجوه ، ولا يختلط عليه باب بباب .  
ثم : معرفة مواقع إجماع الصحابة ، والتابعين ، وتابع التابعين من السلف  
الصالحين ؛ حتى لا يقع اجتهاده في مخالفة الإجماع .  
ثم : التهدي إلى مواضع الأقيسة ، وكيفية النظر والتردد فيها : من طلب أصل  
أولاً ، ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه ؛ فيعلن الحكم عليه ، أو شبه يغلب  
على الظن ، فيلحق الحكم به .  
فهذه : خمس شرائط ، لا بد من مراعاتها ؛ حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب  
الاتباع والتقليد في حق العامي ، وإلا ؛ فكل حكم لم يستند إلى قياس واجتهاد مثل  
ما ذكرنا ؛ فهو مرسل مهمل .  
قالوا : فإذا حصل المجتهد هذه المعارف : ساغ له الاجتهاد ، ويكون الحكم  
الذي أدى إليه اجتهاده سائغاً في الشرع ، ووجب على العامي تقليده ، والأخذ  
بفتواه . وقد استفاض الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بعث « معاذاً »  
إلى « اليمن » قال : يا معاذ ! بهم تحمك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ ،  
قال : فبسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ ، قال : أجتهد برأبي ؛ فقال النبي

صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق « رسول رسوله » لما يرضاه . وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن ، قلت : « يا رسول الله ! كيف أفضى بين الناس ، وأنا حدث السن ؛ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدرى ، وقال : اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه ؛ فما شككت بعد ذلك فى قضاء بين اثنين » .

## ١ - أحكام المجتهدين : فى الأصول والفروع

ثم اختلف « أهل الأصول » فى تصويب المجتهدين فى « الأصول » و « الفروع » . فعامة « أهل الأصول » على أن الناظر فى « المسائل الأصولية » ، والأحكام العقلية اليقينية القطعية : يجب أن يكون « تعين الإصابة » ، فالمصيب فيها واحد بعينه . ولا يجوز أن يختلف المختلفان فى « حكم عقلى » ، حقيقة الاختلاف : بالنفى والإثبات ، على « شرط التقابل » المذكور ؛ بحيث ينبنى أحدهما ما يثبته الآخر بعينه ، من الوجه الذى يثبته ، فى الوقت الذى يثبته - إلا وأن يقتسما : الصدق والكذب ، والحق والباطل ؛ سواء كان الاختلاف : بين أهل الأصول فى الإسلام ، أو بين أهل الإسلام وبين أهل الملل والنحل الخارجة عن الإسلام ؛ فإن المختلف فيه : لا يحتمل توارد الصدق والكذب ، والصواب والخطأ عليه فى حالة واحدة . وهو مثل قول أحد المخبرين : « زيد » فى هذه الدار فى هذه الساعة ، وقول الثانى : ليس « زيد » فى هذه الدار فى هذه الساعة ؛ فإننا نعلم قطعاً : أن أحد المخبرين صادق ، والآخر كاذب ؛ لأن « المخبر عنه » لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معاً ؛ فيكون زيد فى الدار ، ولا يكون فى الدار .

لعمري ! قد يختلف المختلفان - فى حكم عقلى - فى مسألة ، ويكون « محل الاختلاف » مشتركاً ، وشرط تقابل القضيتين نافذاً ؛ فحينئذ يمكن أن يصب

المتنازعان ؛ ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك ، أو يعود النزاع إلى أحد الطرفين (١) :

مثال ذلك : المختلفان في مسألة « الكلام » ؛ ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفي والإثبات ؛ فإن الذى قال : هو مخلوق ، أراد به : أن « الكلام » هو الحروف والأصوات فى اللسان ، والرقوم والكلمات فى الكتابة ؛ قال : وهذا مخلوق . والذى قال : ليس بمخلوق ، لم يرد به الحروف والرقوم ، وإنما أراد به معنى آخر ؛ فلم يتواردا بالتنازع - فى الخلق - على معنى واحد .

وكذلك فى مسألة « الرؤية » ؛ فإن النافى قال : « الرؤية » إنما هى : اتصال شعاع بالمرئى ، وهو لا يجوز فى حق البارى تعالى . والمثبت قال : الرؤية : إدراك أو علم مخصوص ؛ ويجوز تعلقه بالبارى تعالى . فلم يتوارد « النفي » و « الإثبات » على معنى واحد ؛ إلا إذا رجع الكلام إلى إثبات حقيقة « الرؤية » فيتفقان أولاً على أنها ما هى ؟ ، ثم يتكلمان : نفيًا ، وإثباتًا .

وكذلك فى مسألة « الكلام » يرجعان إلى إثبات « ماهية الكلام » ، ثم يتكلمان : نفيًا ، وإثباتًا ؛ وإلا فيمكن أن تصدق القضيتان وقد صار « أبو الحسن العنبرى » إلى أن كل « مجتهد » ناظر فى « الأصول » مصيب ؛ لأنه أدى ما كلف به من المبالغته فى تسديد النظر فى المنظور فيه ، وإن كان متعينًا : نفيًا ، وإثباتًا ؛ إلا أنه أصاب من وجه . وإنما ذكر هذا فى الإسلاميين

---

(١) وكأنى « بالشهرستانى » يعتب على « عامة أهل الأصول » : إطلاقهم هذه القاعدة ، وإهمالهم النص أيضاً ، على أنه يشترط أن يكون محل الاختلاف غير مشترك لفظاً ومعنى أيضاً ؛ بل لا بد من أن يكون محددًا تحديداً دقيقاً وواضحاً للطرفين ومتفقاً عليه منهما ، من حيث « المفهوم » ، ومن حيث « الماصق » كذلك ؛ لأنه يمكن أن يصبوب المتنازعان - فى حكم عقلى - مع نفاذ شرط تقابل القضيتين بالنفي والإثبات - ليصل إلى درجة التناقض - إذا كان محل الاختلاف مشتركاً ؛ بل ويقرر أيضاً : أن رفع الاشتراك يرفع النزاع ، كما فى « مسألة الكلام » ، أو يرجع النزاع إلى أحد الطرفين فقط ، إذا كان مخطئاً فى تحميل « محل النزاع » المعنى الذى يقصده ؛ كأن يقال له مثلاً : حقيقة « الرؤية » التى تنازع فيها ليست كما ترى ، والله أعلم .

من « الفرق » ، وأما الخارجون عن الملة ؛ فقد تقررت « النصوص » ، و « الإجماع » ، على : كفرهم ، وخطئهم . وكان سياق مذهبه يقتضى تصويب كل مجتهد على الإطلاق ؛ إلا أن « النصوص » ، و « الإجماع » ، صدته عن تصويب كل ناظر ، وتصديق كل قائل .

والأصوليين : خلاف في تكفير « أهل الأهواء » ، مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه ؛ لأن التكفير : حكم شرعى ، والتصويب : حكم عقلى ؛ فمن مبالغ متعصب لمذهبه : كفر وضلل مخالفه ، ومن متساهل متألف : لم يكفر . ومن كفر : قرن كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من أهل الأهواء والملل ؛ كتقرين القدرية بالمجوس ، وتقرين المشبهة باليهود ، وتقرين الراضية بالنصارى ؛ وأجرى حكم هؤلاء فيهم : من « المناكحة » ، و « أكل الذبيحة » .

ومن تساهل ؛ ولم يكفر : قضى بالتضليل ، وحكم بأنهم هلكت فى الآخرة . واختلفوا فى « اللعن » ، على حسب اختلافهم فى التكفير والتضليل . وكذلك من خرج على الإمام الحق بغياً ، وعدواناً ؛ فإن كان صدر خروجه : عن تأول واجتهاد ، سمى : باغياً : مخطئاً . ثم « البغى » : هل يوجب « اللعن » ؟ ؛ فعند أهل السنة : إذا لم يخرج « بالبغى » ، عن الإيمان ؛ لم يستوجب « اللعن » ؛ وعند المعتزلة : يستحق اللعن بحكم فسقه ؛ والفاستق خارج عن الإيمان . . . وإن كان صدر خروجه عن : البغى ، والحسد ، والمروق عن الدين فإجماع المسلمين ؛ استحق : اللعن باللسان ، والقتل بالسيف والسنان .

\*\*\*

وأما المجتهدون فى الفروع ؛ فاختلفوا فى الأحكام الشرعية : من الحلال والحرام ؛ ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون ؛ بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها . وإنما يبتنى ذلك على أصل ؛ وهو أنا نبحت هل لله تعالى حكم فى كل حادثة أم لا ؟ . فن « الأصوليين » ، من صار إلى أن لا حكم لله تعالى فى الوقائع المجتهد فيها - حكماً بعينه - قبل « الاجتهاد » ، : من جواز ، وحظر ، وحلال ، وحرام ؛



وإنما حكمه تعالى : ما أدى إليه اجتهاد المجتهد ؛ وأن هذا « الحكم » منوط بهذا السبب ، فالمرسل لا يوجد السبب لم يثبت الحكم ، خصوصاً على مذهب من قال : إن « الجواز » و « الحظر » لا يرجعان إلى صفات في الذات ؛ وإنما هي راجعة إلى أقوال « الشارع » : « افعل ، لا تفعل » . وعلى هذا المذهب : كل « مجتهد » مصيب في « الحكم » .

ومن « الأصوليين » من صار إلى أن الله تعالى في كل حادثة « حكماً » بعينه ؛ قبل « الاجتهاد » : من جواز ، وحظر ؛ بل وفي كل حركة يتحرك بها الإنسان حكم تكليف ؛ من : « تحليل » ، و « تحريم » ؛ وإنما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد ؛ إذ الطلب لا بد له من مطلوب ، والاجتهاد يجب أن يكون من شيء إلى شيء ، فالطلب المرسل لا يعقل ؛ ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات ، وبين المسائل المجمع عليها ؛ فيطلب الرابطة المعنوية ، أو التقريب من حيث الأحكام والصور ؛ حتى يثبت في « المجتهد فيه » ، مثل ما يلقى في « المتفق عليه » . ونو لم يكن له مطلوب معين ؛ كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه ؟ . فعلى هذا المذهب : « المصيب » واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب ؛ وإن كان الثاني معذوراً نوع عذر ؛ إذ لم يقصر في الاجتهاد .

ثم : هل يتعين المصيب ، أم لا ؟ فأكثرهم على أنه لا يتعين ؛ فالمصيب واحد لا بعينه . ومن « الأصوليين » من فصل الأمر فيه ؛ فقال : ينظر في المجتهد فيه ؛ فإن كانت مخالفة « النص » ظاهرة في واحد من المجتهدين ؛ فهو المخطئ بعينه ، خطأ لا يبلغ تضليلاً ، والمتمسك « بالخبر » الصحيح و « النص » الظاهر مصيب بعينه . وإن لم تكن مخالفة « النص » ظاهرة ؛ فلم يكن مخطئاً بعينه ؛ بل كل واحد منهما مصيب في « اجتهاده » ، وأحدهما مصيب في « الحكم » لا بعينه .

هذه جملة كافية في أحكام المجتهدين في نوعي : الأصول ، والفروع .

والمسألة مشكلة ، والقضية معضلة .

## ٢ - حكم الاجتهاد والتقليد ، والمجتهد والمقلد

ثم الاجتهاد من فروض الكفايات ، لا من فروض الأعيان : إذا اشتغل بتحصيله واحد : سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر : عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم ؛ فإن الأحكام الشرعية الاجتهادية ، إذا كانت مرتبة على الاجتهاد ، ترتب المسبب على السبب ، ولم يوجد السبب : كانت الأحكام عاطلة ، والآراء كلها فائلة . فلا بد إذا من مجتهد .

وإذا اجتهد المجتهدان . وأدى اجتهاد كل واحد منهما إلى خلاف ما أدى إليه اجتهاد الآخر ؛ فلا يجوز لأحدهما تقليد الآخر . وكذلك إذا اجتهد مجتهد واحد في حادثة ، وأدى اجتهاده إلى جواز أو حظر ، ثم حدثت تلك الحادثة بعينها ، في وقت آخر ؛ فلا يجوز له أن يأخذ باجتهاده الأول ؛ إذ يجوز أن يبدو له في الاجتهاد الثاني ما أغفله في الاجتهاد الأول .

وأما العامي ؛ فيجب عليه تقليد المجتهد ، وإنما مذهبه فيما يسأله : مذهب من يسأله عنه . هذا هو الأصل ؛ إلا أن علماء الفريقين : لم يجوزوا أن يأخذ العامي الخنفي إلا بمذهب أبي حنيفة ، والعامي الشافعي إلا بمذهب الشافعي ؛ لأن الحكم بأن لا مذهب للعامي ، وأن مذهبه مذهب المذاق : يؤدي إلى خلط ، وخبط ؛ فلماذا لم يجوزوا ذلك . وإذا كان مجتهدان في بلد : اجتهد العامي فيهما ، حتى يختار الأفضل والأورع ، ويأخذ بفتواه . وإذا أفتى المفتي على مذهبه ، وحكم به قاض من القضاة - على مقتضى فتواه - ثبت الحكم على المذاهب كلها ؛ وكان القضاء إذا اتصل بالفتوى ألزم الحكم ؛ كالقبض - مثلاً - إذا اتصل بالعقد . ثم العامي بأى شيء يعرف أن المجتهد قد وصل إلى حد الاجتهاد ؛ وكذلك المجتهد نفسه متى يعرف أنه قد استكمل شرائط الاجتهاد ؟ . . . ففيه نظر .

• • •

ومن أصحاب الظاهر ؛ مثل : داود الأصفهاني ، وغيره : من لم يجوز القياس

والاجتهاد في الأحكام ؛ وقال : الأصول هي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع فقط ؛ ومنع أن يكون القياس أصلاً من الأصول ، وقال : إن أول من قاس إبليس ، وظن أن القياس أمر خارج عن مضمون الكتاب والسنة . ولم يدرك أنه : طلب حكم الشرع ، من مناهج الشرع ؛ ولم تنضبط قط شريعة من الشرائع إلا باقتران الاجتهاد بها ؛ لأن من ضرورة الانتشار في العالم : الحكم بأن الاجتهاد معتبر . وقد رأينا الصحابة رضی الله عنهم : كيف اجتهدوا ، وكم قاسوا ؛ خصوصاً في مسائل المواريث : من توريث الإخوة مع الجد ، وكيفية توريث الكلاله ؛ وذلك مما لا يخفى على المتدبر لأحوالهم .

### ٣ - أصناف المجتهدين

تم المجتهدون من أئمة الأمة : محصورون في صنفين ؛ لا يعدوان إلى ثالث :

مركز تقيت كميتر علوم ديني

### أصحاب الحديث، وأصحاب الرأي

وهم : أهل الحجاز ؛ هم : أصحاب مالك بن أنس ، وأصحاب أصحاب الحديث } محمد بن إدريس الشافعي ، وأصحاب سفيان الثوري ، وأصحاب أحمد بن حنبل ، وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني . وإنما سموا : أصحاب الحديث ؛ لأن عنايتهم : بتحصيل الأحاديث ، ونقل الأخبار ، وبناء الأحكام على النصوص ؛ ولا يرجعون إلى القياس - الجلي والخفي - ما وجدوا : خبراً ، أو أثراً ؛ وقد قال الشافعي : إذا وجدتم لي مذهباً ، ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي ؛ فاعلموا أن مذهبي : ذلك الخبر . ومن أصحابه : أبو إبراهيم إسماعيل ابن يحيى المزني ، والربيع بن سليمان الجيزي ، وحرمة بن يحيى التجيبي ، والربيع ابن سليمان المرادي ، وأبو يعقوب البويطي ، والحسن بن محمد بن الصباح

الزعفراني ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبى . وهم لا يزيدون على اجتهاده اجتهاداً ؛ بل يتصرفون فيما نقل عنه : توجيهاً ؛ واستنباطاً ، ويصدرون عن رأيه جملة ؛ فلا يخالفونه البتة .

أصحاب الرأى } وهم : أهل العراق ؛ هم : أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت .  
ومن أصحابه : محمد بن الحسن ، وأبو يوسف يعقوب  
ابن إبراهيم بن محمد القاضى ، وزفر بن الهذيل ، والحسن بن زياد اللؤلؤى ،  
وابن سماعة ، وعافية القاضى ، وأبو مطيع البلخى ، وبشر المريسى ... وإنما سموا :  
أصحاب الرأى ؛ لأن أكثر عنايتهم : بتحصيل وجه القياس ، والمعنى المستنبط  
من الأحكام ، وبناء الحوادث عليها ؛ وربما يقدمون القياس الجلى على آحاد  
الأخبار . وقد قال أبو حنيفة : علمنا هذا رأى ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ؛  
فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ، ولنا ما رأينا .  
وهؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهاداً ، ويخالفونه فى الحكم الاجتهادى .  
والمسائل التى خالفوه فيها : معروفة .

تَفَرِّقَةٌ وَتَذَكْرَةٌ } اعلم أن بين الفريقين اختلافات كثيرة فى الفروع ، ولهم  
فها تصانيف ، وعليها مناظرات ... ؛ وقد بلغت النهاية  
فى مناهج الظنون ؛ حتى كأنهم قد أشرفوا على القطع واليقين . وليس يلزم  
من ذلك : تكفير ، ولا تضليل ؛ بل كل مجتهد مصيب - كما ذكرنا قبل هذا .

## الجزء الثاني: أهل الكتاب

الخارجون عن الملة الحنيفية ، والشريعة الإسلامية ؛ ممن يقول :  
بشريعة وأحكام ، وحدود وأعلام .

ا

وهم قد انقسموا :

إلى من له « كتاب ، محقق ؛ مثل : التوراة ، والإنجيل ؛ وعن هذا يخاطبهم  
« التنزيل ، بأهل الكتاب .

وإلى من له « شبهة كتاب ، ؛ مثل : المجوس ، والمناوية ؛ فإن « الصحف ،  
التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء ؛ لأحداث أحدثها  
« المجوس ، ؛ ولهذا : يجوز عقد « العهد ، و « الذمام ، معهم ، وينجى  
بهم نحو اليهود والنصارى ؛ إذ هم : من أهل الكتاب ؛ ولكن لا يجوز منا كحتمهم ،  
ولا أكل ذبائحهم ؛ فإن الكتاب قد رفع عنهم .

فنحن : تقدم ذكر « أهل الكتاب ، ؛ لتقدمهم بالكتاب .  
وتؤخر ذكر من له « شبهة كتاب .

الفرقتان المتقابلتان قبل

« المبعث ، هم : « أهل الكتاب ،

أهل الكتاب ، والأميون

ب

و « الأميون ، ؛ والامى : من لا يعرف الكتابة .

وكانت اليهود والنصارى بالمدينة ؛ والأميون بمكة .

وأهل الكتاب : كانوا ينصرون دين الأسباط ، ويذهبون مذهب بني إسرائيل ؛

والأميون : كانوا ينصرون دين القبائل ، ويذهبون مذهب بني إسماعيل .

ولما انشعب النور الوارد من آدم عليه السلام ، إلى إبراهيم عليه السلام ،

ثم الصادر عنه إلى شعبتين : « شعبة في « بني إسرائيل ، ؛ وشعبة في « بني إسماعيل ،

وكان النور المنحدر منه إلى بني إسرائيل ظاهراً ، والنور المنحدر منه

إلى بني إسماعيل مخفياً . . . . كان يستدل على النور الظاهر بظهور الأشخاص .

وإظهار النبوة في شخص شخص ؛ ويستدل على النور المخفي بإبانة المناسك والعلامات  
وستر الحال في الأشخاص .

. وقبلة الفرقة الأولى : بيت المقدس ، وقبلة الفرقة الثانية : بيت الله الحرام ؛  
الذي وضع للناس بمكة مباركاً وهدى للعالمين . وشريعة الأولى : ظواهر الأحكام ،  
وشريعة الثانية : رعاية المشاعر الحرام . وخصماء الفريق الأول : الكافرون ؛  
مثل فرعون ، وهامان ؛ وخصماء الفريق الثاني : المشركون ؛ مثل عبدة الأصنام  
والأوثان . فتقابل الفريقان ؛ وصح التقسيم بهذين التقابليين .

وهاتان الأمتان : من كبار أمم أهل الكتاب .  
ح اليهود والنصارى } والأمة اليهودية أكبر ؛ لأن الشريعة كانت  
لموسى عليه السلام ، وجميع بني إسرائيل كانوا متعبدين بذلك ، مكلفين بالتزام  
أحكام التوراة .

والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام : لا يتضمن أحكاماً ، ولا يستبطن  
حلالاً ولا حراماً ؛ ولكنه : رموز ، وأمثال ، ومواعظ ، ومزاجر ؛ وما سواها  
من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة ، كما سنبين ؛ فكانت اليهود - هذه القضية -  
لم ينقادوا لعيسى بن مريم عليه السلام ، وادعوا عليه : أنه كان مأموراً بمتابعة موسى  
عليه السلام ، وموافقة التوراة ؛ فغير ، وبدل ؛ وعدوا عليه تلك التغييرات : منها :  
تغيير السبت إلى الأحد ؛ ومنها : تغيير أكل لحم الخنزير ، وكان حراماً في التوراة ؛  
ومنها : الختان ، والغسل . . . وغير ذلك .

والمسلمون قد بينوا أن الأمتين : قد بدلوا ، وحرفوا ؛ وإلا فعيسى عليه  
السلام كان مقررراً لما جاء به موسى عليه السلام ؛ وكلاهما مبشران بمقدم نبينا  
محمد نبي الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين ؛ وقد أمرهم أممهم وأنبياؤهم وكتابهم  
بذلك . وإنما بنى أسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة ؛ لنصرة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم نبي آخر الزمان ؛ فأمرهم بمهاجرة أوطانهم بالشام إلى تلك

القلاع والبقاع ؛ حتى إذا ظهر ، وأعلن الحق « بفاران » ، وهاجر إلى دار هجرته  
يُرب : هجروه ، وتركوا نصره ؛ وذلك قوله تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون  
على الذين كفروا ؛ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

وإنما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع إلا بحكمه ؛ إذ كانت اليهود  
تقول : « ليست النصارى على شيء » ، وكانت « النصارى » تقول : « ليست  
اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم :  
« لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » ، وما كان يمكنهم إقامتها  
إلا بإقامة القرآن الحكيم ؛ وبحكم نبي الرحمة رسول آخر الزمان ؛ فلما أبوا ذلك ،  
وكفروا بآيات الله . . . « ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ؛  
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » . . . الآية .



مركز بحوث الكمبيوتر علوم إسلامي

## الباب الأول : اليهود خاصة

١ - هاد الرجل : أى رجوع وتاب ؛ وإنما لزمهم هذا الإسم ؛ لقول موسى عليه السلام : « إنا هدنا إليك ، أى رجعنا وتضرعنا .  
وهم : أمة موسى عليه السلام ، وكتابتهم التوراة ، وهو أول كتاب نزل من السماء ؛ أعنى : أن ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ؛ ما كان يسمى كتاباً ، بل صحفاً ؛ وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده » ؛ فأثبت لها اختصاصاً آخر سوى سائر الكتب . وقد اشتمل ذلك على « أسفار » : فيذكر مبتدأ الخلق في « السفر الأول » ؛ ثم يذكر : الأحكام ، والحدود ، والأحوال ، والقصص ، والمواعظ ، والأذكار ... في سفر سفر ... وأنزل عليه أيضاً الألواح ، على شبه مختصر ما في « التوراة » ؛ تشتمل على الأقسام العلية والعملية ؛ قال الله تعالى : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة » : إشارة إلى تمام القسم العلى ؛ « وتفصيلاً لكل شيء » : إشارة إلى تمام القسم العملى .

قالوا : وكان موسى عليه السلام قد أفضى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع ابن نون ؛ وصيه ، وفتاه ، و « القائم بالأمر » ، من بعده ؛ ليفضى بها إلى أولاد هارون ؛ لأن الأمر كان مشتركاً بينه وبين أخيه هارون عليهما السلام ؛ إذ قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في دعائه حين أوحى إليه أولاً : « وأشركه في أمرى » ، وكان هو الوصى . فلما مات هارون في حال حياة موسى : انتقلت الوصية إلى يوشع بن نون وديعة ؛ ليوصلها إلى « شبير » ، و « شبر » : ابني هارون قراراً ؛ وذلك أن الوصية والإمامة : بعضها مستقر ، وبعضها مستودع .  
و « اليهود » تدعى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وهى ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به ؛ فلم تكن قبله شريعة ، إلا حدود عقلية ، وأحكام مصلحية .



ولم يجزوا النسخ أصلاً ؛ قالوا : فلا يكون بعده « شريعة » أصلاً ؛ لأن النسخ في الأوامر « بداء » ، ولا يجوز البداء على الله تعالى .

ومسائلهم تدور على : جواز النسخ ومنعه ، وعلى التشبيه ونفيه ، والقول بالقدر ؛ والجبر ، وتجويز الرجعة ؛ واستحالتها .

أما النسخ ؛ فكما ذكرنا .

وأما « التشبيه » ؛ فلأنهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات ؛ مثل : الصورة ، والمشافهة ، والتكليم جبراً ، والزول على طور سيدنا انتقلاً ، والاستواء على العرش استقراراً ، وجواز الرؤية فوقاً . . . وغير ذلك .

وأما القول « بالقدر » ؛ فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الإسلام ؛ فالربايون منهم ؛ كالمعتزلة فينا ، والقراءون ؛ كالمجبرة والمشبهة .

وأما جواز الرجعة : فإنما وقع لهم من أمرين : أحدهما حديث « عزيز ، عليه السلام ؛ إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثاني حديث هارون عليه السلام ؛ إذ مات في التيه ، وقد نسبوا موسى إلى قتله بالواحة قالوا : حسده ؛ لأن لليهود كانوا أميل إليه منهم إلى موسى . واختلفوا في حال موته : فمنهم من قال : إنه مات ، وسيرجع : ومنهم من قال : غاب ، وسيرجع .

واعلم أن التوراة قد اشتملت - بأسرها - على دلالات وآيات تدل على كون شريعة نبينا المصطفى عليه السلام : حقاً ، وكون صاحب الشريعة صادقاً ؛ بله ما حرفوه وغيروه وبدلوه : إما تحريفاً من حيث : الكتابة ، والصورة . وإما تحريفاً من حيث : التفسير ، والتأويل .

وأظهرها : ذكر إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل ، ودعاؤه في حقه وفي حق ذريته ، وإجابة الرب تعالى إياه : أنى باركت على إسماعيل وأولاده ، وجعلت فيهم الخير كله ، وسأظهرهم على الأمم كلها ، وسأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتي . واليهود معترفون بهذه القضية ، إلا أنهم يقولون : أجابه بالملك دون النبوة والرسالة .

وقد ألزمتهم : أن الملك الذي سلمتم : أهو ملك بعدل وحق ، أم لا ؟ :  
فإن لم يكن بعدل وحق ، فكيف يمن على إبراهيم عليه السلام بملك في أولاده  
وهو جور وظلم ؟ ؛ وإن سلمتم العدل والصدق من حيث « الملك » ، فالملك يجب  
أن يكون صادقاً على الله تعالى فيما يدعيه ويقوله ، وكيف يكون الكاذب  
على الله تعالى صاحب عدل وحق ؟ ؛ إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله تعالى ؛  
ففي تكذيبه تجويره ، وفي التجوير رفع المنة بالنعمة ؛ وذلك : خلف .

ومن العجب أن في التوراة : أن الأسباب من بني إسرائيل كانوا يراجعون  
القبائل من بني اسماعيل ، ويعلمون أن في ذلك الشعب علماً لدنياً لم تشتمل التوراة  
عليه . وورد في التواريخ : أن أولاد إسماعيل عليه السلام كانوا يسمون : آل الله ،  
وأهل الله ؛ وأولاد إسرائيل : آل يعقوب ، وآل موسى ، وآل هارون . . .  
وذلك : كسر عظيم .

وقد ورد في التوراة : أن الله تعالى : جاء من « طور سيناء » ، وظهر  
« بساعير » ، وعلن « بفاران » ؛ و« ساعير » : جبال بيت المقدس ؛ التي كانت  
مظهر عيسى عليه السلام . و« فاران » : جبال مكة ؛ التي كانت مظهر المصطفى  
صلى الله عليه وسلم .

ولما كانت الأسرار الإلهية ، والأنوار الربانية في : الوحي ، والتنزيل ،  
والمناجاة ، والتأويل ؛ على مراتب ثلاث : مبدأ ، ووسط ، وكمال ؛ والمجيء  
أشبه بالمبدأ ، والظهور أشبه بالوسط ، والإعلان أشبه بالكمال ؛ عبرت التوراة :  
عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل : بالمجيء من « طور سيناء » ، وعن طلوع الشمس :  
بالظهور على « ساعير » ، وعن البلوغ إلى درجة الكمال : بالاستواء والإعلان  
على « فاران » . وفي هذه الكلمات : إثبات نبوة المسيح عليه السلام ، والمصطفى  
محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد قال المسيح في الإنجيل : « ما جئت لأبطل التوراة ، بل جئت لأكملها ؛  
قال صاحب التوراة : النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والألف بالألف ، والأذن

بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ؛ وأنا أقول : إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر .

والشريعة الأخيرة وردت بالأميرين جميعاً : أما القصاص ؛ ففي قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص في القتلى ... » ، وأما العفو ؛ ففي قوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » .

ففي التوراة : أحكام السياسة الظاهرة العامة ، وفي الإنجيل : أحكام السياسة الباطنة الخاصة ، وفي القرآن أحكام السياسيّين جميعاً : « ولكم في القصاص حياة ، إشارة إلى تحقيق السياسة الظاهرة ، وقوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ، وقوله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » : إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة ؛ وقد قال عليه السلام : « هو أن تعفو عن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

ومن العجب أن من رأى غيره : يصدق ما عنده ، ويكمله ، ويرقيه من درجة إلى درجة ؛ كيف يسوغ له تكذيبه ؟ والنسخ في الحقيقة ليس إبطالا ؛ بل هو تكميل . وفي التوراة : أحكام عامة ، وأحكام خاصة : إما بأشخاص ، وإما بأزمان ؛ وإذا انتهى الزمان لم يبق ذلك لا محالة ، ولا يقال : إنه : إبطال ، أو بقاء . كذلك هاهنا . وأما « السبت » ، فلو أن اليهود عرفوا : لم ورد التكليف بملازمة السبت ، وهو يوم أى شخص من الأشخاص ؟ وفي مقابلة أية حالة من الأحوال ؟ وجزئيّ أىّ زمان ؟ ؛ عرفوا : أن الشريعة الأخيرة : حق ؛ وأنها جاءت لتقرير السبت ؛ لا لإبطاله ، وهم الذين عدوا في السبت حتى مسخوا قرده خاسئين . وهم يعترفون : بذلك ؛ وبأن موسى عليه السلام بنى بيتاً ، وصور فيه صوراً وأشخاصاً ، وبين مراتب الصور ، وأشار إلى تلك الرموز . ولكن لما فقدوا الباب « باب حطة » ولم يمكنهم التسور ، على سنن اللصوص : تحيروا تائبين ، وتاهوا متحيرين ؛ فاختلفوا على إحدى وسبعين فرقة .

ونحن نذكر منها : أشهرها وأظهرها عندهم ، ونترك الباقي هملاً . والله الموفق .

## ١ - العِنايَةُ

نسبوا إلى رجل يقال له : عنان بن داود ؛ رأس الجالوت . يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد ، وينهون عن أكل الطير والظباء والسماك والجراد ، ويذبحون الحيوان على القفا ؛ ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وإشاراته ؛ ويقولون : إنه لم يخالف التوراة البتة ؛ بل قررهما ، ودعا الناس إليها ، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ، ومن المستجيبين لموسى عليه السلام ؛ إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته .

ومن هؤلاء من يقول : إن عيسى عليه السلام لم يدع : أنه نبي مرسل ، وليس من بني إسرائيل ، وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام ؛ بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة . وليس الإنجيل كتاباً أنزل عليه وحياً من الله تعالى ؛ بل هو : جمع أحواله من مبدئه إلى كاله ، وإنما جمعه أربعة من أصحابه « الحواريين » فكيف يكون كتاباً منزلاً ؟ .

قالوا : واليهود ظلّموا ؛ حيث : كذبوه أولاً ؛ ولم يعرفوا بعد دعواه ، وقتلوه آخراً ؛ ولم يعلموا بعد محله ومغزاه . وقد ورد في التوراة ذكر « المسيح » في مواضع كثيرة ؛ وذلك هو : المسيح ؛ ولكن لم ترد له النبوة ، ولا الشريعة الناسخة . وورد « فارقليط » وهو الرجل العالم ، وكذلك ورد ذكره في الإنجيل ؛ فوجب حمله على ما وجد . وعلى من ادعى [ غير ] ذلك تحقيقه وحده .

## ٢ - العيسويَّة

نسبوا إلى أبي عيسى : إسحاق بن يعقوب الأصفهاني ؛ وقيل : إن اسمه : عوفيد ألوهيم ، أمي : عابد الله . كان في زمن المنصور ، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية : مروان بن محمد الحمار ؛ فاتبعه بشر كثير من اليهود ، وادعوا له آيات ومعجزات ؛ وزعموا : أنه لما حورب خط على أصحابه خطأ ، يعود آس ،

وقال : أقيموا في هذا الخط ، فليس يتالكم عدو بسلاح ، فكان العدو يحملون عليهم ، حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم ؛ خوفاً من طلسم أو عزيمة ربما وضعها ، ثم إن أبا عيسى خرج من الخط وحده على فرسه فقاتل ، وقتل من المسلمين كثيراً ، وذهب إلى أصحاب موسى بن عمران الذين هم وراء النهر المرمل ؛ ليسمعهم كلام الله . وقيل : إنه لما حارب أصحاب المنصور بالرى : قتل ، وقتل أصحابه .

زعم أبو عيسى : أنه : نبي ، وأنه : رسول المسيح المنتظر . وزعم : أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد . وزعم : أن الله تعالى كلفه ، وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين . وزعم : أن المسيح أفضل ولد آدم ، وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين ، وإذ هو رسوله ؛ فهو أفضل الكل أيضاً . وكان يوجب تصديق المسيح ، ويعظم دعوة الداعي ، ويزعم أيضاً : أن الداعي هو المسيح .  
وحرّم في كتابه : الذبائح كلها ، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق : طيراً كان ، أو بهيمة . وأوجب عشر صلوات ، وأمر أصحابه بإقامتها ؛ وذكر أوقاتها . وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة . وتوراة الناس : هي التي جمعها ثلاثون حبراً لبعض ملوك الروم ؛ حتى لا يتصرف فيها كل جاهل بمواضع أحكامها ؛ والله الموفق .

### ٣ - المَقَارِبَةُ وَالْيُودُ عَائِنَةٌ

نسبوا إلى : يوذعان ، من همدان ؛ وقيل : كان اسمه : يهوذا . كان يحث على الزهد ، وتكثير الصلاة ؛ وينهى عن اللحوم والأنبذة ، وفيما نقل عنه : تعظم أمر الداعي . وكان يزعم أن للتوراة : ظاهراً ، وباطناً ؛ وتزيلاً ، وتأويلاً . وخالف بتأويلاته عامة اليهود ، وخالفهم في التشبيه ، ومال إلى القدر ، وأثبت الفعل حقيقة للعبد ؛ وقدر الثواب والعقاب عليه ، وشدد في ذلك .

ومنهم : الموشكانية ؛ أصحاب : موشكان . كان على مذهب يوزعان ، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفه ، ونصب القتال معهم ؛ فخرج في تسعة عشر رجلاً ؛ فقتل بناحية : قم . وذكر عن جماعة من الموشكانية : أنهم أثبتوا نبوة المصطفى محمد عليه السلام إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود ؛ لأنهم أهل ملة وكتاب . وزعمت فرقة من المقاربة : أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم السلام ، بواسطة ملك اختاره ، وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم ؛ وقالوا : كل ما في التوراة وسائر الكتب من وصف الله تعالى ، فهو خبر عن ذلك الملك ؛ وإلا فلا يجوز أن يوصف الله تعالى بوصف . قالوا : وإن الذي كلم موسى عليه السلام تكليماً : هو ذلك الملك ؛ والشجرة المذكورة في التوراة : هو ذلك الملك ؛ ويتعالى الرب تعالى عن أن يكلم بشراً تكليماً . وحمل جميع ما ورد في التوراة : من طلب الرؤية ، وشافهت الله ؛ وجاء الله ، وطلع الله في السحاب ، وكتب التوراة بيده ، واستوى على العرش قراراً ، وله صورة آدم ، وشعر قطط ، ووفرة سوداء ، وأنه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وأنه ضحك « الجبار ، حتى بدت نواجذه . . . إلى غير ذلك ؛ على ذلك الملك . قال : ويجوز في العادة أن يبعث ملكاً روحانياً من جملة خواصه ، ويلقى عليه اسمه ، ويقول : هذا هو رسولي ، ومكانه فيكم مكاني ، وقوله قولي ، وأمره أمري ، وظهوره عليكم ظهوري ؛ كذلك يكون حال ذلك الملك .

وقيل إن « أرينوس » - حيث قال في المسيح إنه هو الله ، وإنه صفوة العالم - أخذ قوله من هؤلاء ، وكانوا قبل أرينوس بأربعمئة سنة ، وهم أصحاب زهد وتقشف .

وقيل صاحب هذه المقالة هو : بنيامين النهاوندي : قرر لهم هذا المذهب ، وأعلمهم أن الآيات المتشابهات في التوراة كلها مؤولة ، وأنه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر ، ولا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ؛ وأن المراد بهذه الكلمات الواردة في التوراة : ذلك الملك المعظم .

وهذا كما يحمل في القرآن : المجيء ، والإتيان ؛ على إتيان ملك من الملائكة ؛ وهو كما قال تعالى في حق مريم عليها السلام : « فنفضنا فيها من روحنا » ، وفي موضع آخر : « فنفضنا فيه من روحنا » ؛ وإنما النافخ جبريل عليه السلام حين « تمثل لها بشراً سوياً ؛ لهب لها غلاماً زكياً » .

## ٤ — السامرة

هؤلاء قوم يسكنون : جبال بيت المقدس ؛ و [ قرى ]<sup>(١)</sup> من أعمال مصر ، ويتشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود . أثبتوا نبوة : موسى ، وهارون ، ويوشع بن نون عليهم السلام ؛ وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء ، إلا نبياً واحداً ؛ وقالوا : التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى ، يصدق ما بين يديه من التوراة ، ويحكم بحكمها ، ولا يخالفها اليتة .

وظهر في السامرة رجل يقال له : الألفاني ، ادعى النبوة وزعم أنه هو الذي بشر به موسى عليه السلام ، وأنه هو الكوكب الدرّي الذي ورد في التوراة : أنه يضيء ضوء القمر ؛ وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة . وافترقت السامرة : إلى دوستانية ؛ وهم : « الألفانية » ، وإلى كوستانية . و « الدوستانية » معناها : الفرقة المتفرقة الكاذبة . و « الكوستانية » معناها : الجماعة الصادقة ؛ وهم يقرون بالآخرة والثواب ، والعقاب فيها . و « الدوستانية »

(١) وإنما آثرت هنا « قرى » [ بالضم والقصر والتنوين ] — بدل : قريا ، وقربا اللتين أجمعت المجموعات الأصول للكتاب عليهما — ؛ لأنها لغة القرآن المحكم الذي نزل بلسان عربي مبين ، فقد وردت فيه لفظة « قرية » بالفتح مشكّرة ومعرفة في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، ولم ترد فيه بالكسر ، ثم وردت فيه أيضاً جمع « القرية » على « قرى » بالضم والقصر بالتنكير والتعريف أيضاً في تسعة عشر موضعاً ، ولم يرد فيه « قراء » بالكسر والمد مطلقاً ؛ قال الله تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين » . والله الموفق والمعين .

تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا . وبين « الفريقين » اختلاف في الأحكام والشرائع .

وقبله « السامرة » جبل يقال له « غريزيم » بين بيت المقدس و نابلس . قالوا : إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس، وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ، فتحول داود إلى إيلياء وبني البيت ثمة ، وخالف الأمر ، فظلم ، والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود . ولغتهم غير لغة « اليهود » . وزعموا : أن التوراة كانت بلسانهم؛ وهي قريبة من العبرانية ، فنقلت إلى السريانية .

فهذه أربع فرق : هم الكبار ، وانشعبت منهم الفرق إلى إحدى وسبعين فرقة .



وهم - بأسرهم - أجمعوا على : أن في التوراة بشارة بواحد بعد موسى ؛ وإنما افترقهم : إما في تعيين ذلك الواحد ، أو في الزيادة على ذلك الواحد ، وذكر المسيح وآثاره ظاهر في الأسفار، وخروج واحد في آخر الزمان - هو : الكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره - أيضاً : متفق عليه . واليهود على انتظاره ؛ والسبت يوم ذلك الرجل ؛ وهو يوم الاستواء بعد الخلق .

وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستقياً على قفاه واضعاً إحدى رجله على الأخرى . وقالت فرقة منهم : إن ستة الأيام التي خلق الله تعالى فيها السموات والأرض : هي ستة آلاف سنة ؛ فإن يوماً عند الله كألف سنة مما تعدون - بالسير القمري - ؛ وذلك هو ما مضى من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، وبه يتم الخلق . ثم إذا بلغ الخلق إلى النهاية : ابتداء الأمر، ومن ابتداء الأمر يكون الاستواء على العرش ، والفراغ من الخلق ؛ وليس ذلك أمراً : كان ، ومضى ؛ بل هو في المستقبل ، إذا عددنا الأيام بالآلاف .



## الباب الثاني : النصارى

١ - النصارى : أمة المسيح عيسى بن مريم : رسول الله ، وكلمته عليه السلام ؛ وهو المبعوث حقاً بعد موسى عليه السلام ، المبشر به في التوراة . وكانت له آيات ظاهرة ، وبيّنات زاهرة ، ودلائل باهرة ؛ مثل : إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ؛ ونفس وجوده وفطرته : آية كاملة على صدقه ؛ وذلك : حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه البين من غير تعليم سالف . وجميع الأنبياء بلاغ وحيمهم أربعون سنة ؛ وقد أوحى الله تعالى إليه : إنطلاقاً ؛ في المهد ، وأوحى إليه : إبلاغاً ؛ عند الثلاثين . وكانت مدة دعوته : ثلاث سنين ، وثلاثة أشهر ، وثلاثة أيام .

فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه ، وإنما اختلفاتهم تعود إلى أمرين : أحدهما : كيفية نزوله ؛ واتصاله بأمه ؛ وتجسد الكلمة ، والثاني : كيفية صعوده ؛ واتصاله بالملائكة ؛ وتوحد الكلمة .

أما الأول ؛ فإنهم قضوا بتجسد الكلمة ؛ ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام : فمنهم من قال : أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ، ومنهم من قال : انطبع فيه انطباع النقش في الشمع ، ومنهم من قال : ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني ، ومنهم من قال : تدرّع اللاهوت بالناسوت ، ومنهم من قال : ما زجت الكلمة جسد المسيح بما زجة اللبن الماء والماء اللبن . وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة ؛ قالوا : الباري تعالى جوهر واحد ، يعنون به : القائم بالنفس ، لا التحيز والحجمية ؛ فهو : واحد بالجوهرية : ثلاثة بالاقنومية ؛ ويعنون بالأقانيم الصفات : كالوجود ، والحياة ، والعلم ؛ وسموها : الآب ، والابن ، وروح القدس ؛ وإنما العلم تدرّع وتجسد دون سائر الأقانيم .

وقالوا في «الصعود» : إنه قتل وصلب ؛ قتله اليهود : حسداً ، وبغياً ، وإنكاراً لنبوته ودرجته ؛ ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي ، وإنما ورد

على الجزء الناسوتى . قالوا : وكال الشخص الإنسانى فى ثلاثة أشياء : نبوة ، وإمامة ، وملكة ؛ وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الصفات الثلاث ، أو بعضها ، والمسيح عليه السلام درجته فوق ذلك : لأنه : الابن الوحيد ؛ فلا نظير له ، ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء ؛ وهو الذى به غفرت زلة آدم عليه السلام ، وهو الذى يحاسب الخلق .

ولهم فى « النزول » اختلاف . فمنهم من يقول : ينزل قبل يوم القيامة ؛ كما قال أهل الإسلام ؛ ومنهم من يقول : لا نزول له إلا يوم الحساب . وهو بعد أن قتل وصلب ، نزل ؛ ورأى شخصه شمعون الصفا ، وكلبه ، وأوصى إليه ؛ ثم فارق الدنيا ، وصعد إلى السماء . فكان وصيه : شمعون الصفا ؛ وهو أفضل الحواريين علماً وزهداً ، وأدباً ؛ غير أن فولوس شوش أمره ، وصير نفسه شريكاً له ، وغير أوضاع كلامه ، وخلطه بكلام الفلاسفة ووساوس خاطره .

ورأيت رسالة فولوس التى كتبها إلى اليونانيين : إنكم تظنون أن مكان عيسى عليه السلام مكان سائر الأنبياء ، وليس كذلك ؛ بل إنما مثله مثل « ملكيزداق » ؛ وهو ملك السلام الذى كان إبراهيم عليه السلام يعطى إليه العشور ، وكان يبارك على إبراهيم ويمسح رأسه . ومن العجب : أنه نقل فى الأناجيل : أن الرب تعالى قال : إنك أنت الابن الوحيد ؛ ومن كان وحيداً كيف يمثل بواحد من البشر؟ ! . ثم إن أربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعاً سماه : الإنجيل ؛ وهم : متى ، ولوقا ، ومرقس ، ويوحنا . وخاتمة إنجيل متى أنه قال : إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم ، فاذهبوا ، وادعوا الأمم باسم : الآب ، والابن ، وروح القدس .

وفاتحة إنجيل يوحنا : على القديم الأزلى قد كانت الكلمة ، وهو ذا الكلمة كانت عند الله ، والله هو كان الكلمة ، وكل كان بيده .

ثم افرقت النصرى اثنتين وسبعين فرقة ؛ وكبار فرقتهم ثلاثة : الملكانية ، والنسطورية ، واليعقوبية . وانشعبت منها :

الإليانية ، والبيارسية ، والمقدانوسية ، والسبالية ، والبوطينوسية ، والبولية ..  
إلى سائر الفرق .

## ١ - المَلَكَانِيَّة

أصحاب : ملكا ، الذى ظهر بأرض الروم ، واستولى عليها . ومعظم الروم ملكانية . قالوا : إن « الكلمة » اتحدت بجسد المسيح ، وتدرعت بناسوته ؛ ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس : أقنوم الحياة ؛ ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن ؛ فقال بعضهم : إن الكلمة ما زجت جسد المسيح ؛ كما يمازج الخمر أو الماء اللبن .

وصرحت الملكانية : بأن الجوهر غير الأقانيم ، وذلك كالموصوف والصفة ؛ وعن هذا صرحوا بإثبات « التثليث » وأخبر عنهم القرآن : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » . وقالت الملكانية : إن المسيح ناسوت كلى ، لا جزئى ؛ وهو قديم أزلى ، من قديم أزلى ، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً ؛ والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاً . وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح ؛ لما وجدوا فى الإنجيل ؛ حيث قال : « إنك أنت الابن الوحيد » ؛ وحيث قال له شمعون الصفا : « إنك ابن الله حقاً » .

ولعل ذلك من مجاز اللغة ؛ كما يقال لطلاب الدنيا : أبناء الدنيا ، ولطلاب الآخرة : أبناء الآخرة ؛ وقد قال المسيح عليه السلام للحواريين : « أنا أقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وباركوا على لاعنيكم ، وأحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا لأجل من يؤذيكم ؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء ، الذى تشرق شمسُه على الصالحين والفجرة ، وينزل قطره على الأبرار والأثمة ... » ؛ وتكونوا تامين ؛ كما أن أبائكم الذى فى السماء تام . وقال : « انظروا صدقاتكم ، فلا تعطوها قدام الناس ؛ لتراءوهم ؛ فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء » . وقال حين كان يصلب : « اذهب إلى أبى وأبيكم » .

ولما قال أريوس : القديم هو الله ، والمسيح هو مخلوق ؛ اجتمعت :  
البطارقة ، والمطارنة ، والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم ، وكانوا  
ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا ؛ واتفقوا على هذه الكلمة : اعتقاداً ، ودعوة ؛  
وذلك قولهم :

« تؤمن بالله الواحد : الآب : مالك كل شيء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ؛  
وبالابن الواحد : يسوع المسيح : ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذي  
ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر  
أبيه الذي بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شيء من أجائنا ، ومن أجل معشر الناس .  
ومن أجل خلاصنا : نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار إنسانا ،  
وحبل به ، وولد من مريم البتول ، وقتل ، وصلب أيام فيلاطوس ، ودفن ، ثم قام  
في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد  
للجىء نارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . وتؤمن بروح القدس  
الواحد ؛ روح الحق الذي يخرج من أبيه ، وبعمودية واحدة ؛ لغفران  
الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية ، وبقيام أبداننا ، وبالحياة  
الدائمة أبد الأبدين .

هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات ، وفيه إشارة إلى حشر الأبدان .  
وفي النصرى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان ؛ وقال إن عاقبة الأشرار  
في القيامة : غم ، وحزن الجهل ؛ وعاقبة الأخيار : سرور ، وفرح العلم .  
وأنكروا أن يكون في « الجنة » : نكاح ، وأكل ، وشرب .

وقال « مار إسحاق » منهم إن الله تعالى وعد المطيعين ، وتوعد العاصين ،  
ولا يجوز أن يخلف الوعد ؛ لأنه لا يليق بالكريم ، ولكن يخلف الوعيد ؛  
فلا يعذب العصاة ، ويرجع الخلق إلى سرور ، وسعادة ، ونعيم ؛ وعمم هذا  
في الكل ؛ إذ العقاب الأبدى لا يليق بالجواد الحق تعالى .

## ٢ - النسطورية

أصحاب : نسطور الحكيم ، الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه . وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة . قال : إن الله تعالى واحد ، ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ؛ وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ، ولا هي هو . واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام : لا على طريق الامتزاج ؛ كما قالت الملكانية ، ولا على طريق الظهور به ؛ كما قالت اليعقوبية ، ولكن ؛ كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم .

وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الأقانيم : أحوال أبي هاشم من المعتزلة ؛ فإنه يثبت خواص مختلفة لشيء واحد ، ويعني بقوله : واحد ؛ يعني : الإله ؛ قال : هو واحد بالجواهر ، أي ليس هو مركباً من جنسين ؛ بل هو : بسيط ، وواحد . ويعني بالحياة ، والعلم : أقتومين جوهرين ؛ أي أصليين مبدئين للعالم ، ثم فسر العلم بالنطق ، والكلمة . ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى : موجوداً ، حياً ، ناطقاً ؛ كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان ، إلا أن هذه المعاني تتغير في الإنسان ؛ لكونه جوهرأ مركباً ، وهو جوهر بسيط غير مركب .

وبعضهم يثبت لله تعالى صفات أخر ، بمنزلة القدرة والإرادة ونحوها ؛ ولم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقتومين .

ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة : حي ، ناطق ، إله . وزعم الباقون : أن اسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم .

وزعموا : أن « الابن » لم يزل متولداً من « الآب » ، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد ؛ والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت ؛ فهو : إله وإنسان اتحداً ؛ وهما : جوهران ، أقتومان ، طبيعتان : جوهر قديم ، وجوهر محدث : إله تام ، وإنسان تام ؛ ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث

المحدث ؛ لكنهما صارا : مسيحاً واحداً ، طبيعة واحدة . وربما بدلوا العبارة ؛ فوضعوا مكان الجوهر : الطبيعة ، ومكان الأقوم : الشخص .

وأما قولهم في : القتل ، والصلب ؛ فيخالف قول الملكانية واليعقوبية ؛ قالوا : إن « القتل » وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته ؛ لأن الإله لا تحله الآلام .

و « بوطينوس » ، و « بولس الشمشاطي » يقولان : إن الإله واحد ، وإن المسيح ابتداءً من مريم عليها السلام ، وإنه : عبد ، صالح ، مخلوق ؛ إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته ، وسماه « ابناً » على التبني ، لا على الولادة والاتحاد .

ومن النسطورية قوم يقال لهم : « المصلين » قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور ؛ إلا أنهم قالوا : إذا اجتهد الرجل في العبادة ، وترك التغذى باللحم والدم ، ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية : تصنى جوهره ؛ حتى يبلغ ملكوت السماوات ، ويرى الله تعالى جهرة ، وينكشف له ما في الغيب : فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

ومن النسطورية من ينفي التشبيه ، ويثبت القول بالقدر : خيره وشره من العبد ؛ كما قالت القدرية .

### ٣ - اليعقوبية

أصحاب : يعقوب . قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا ؛ إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحماً . ودماً ؛ فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو : هو . وعنهم أخبرنا القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » . فمنهم من قال : إن المسيح هو الله تعالى .

ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت ؛ فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر ، لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ؛ بل صار هو : هو ؛ وهذا كما يقال : ظهر الملك بصورة إنسان ، أو ظهر

الشیطان بصورة حیوان ؛ وكما أخبر التنزیل عن جبریل علیه السلام : « قتمثل لها بشراً سوياً » .

وزعم أكثر الیعقوبیة : أن المسیح جوهر واحد : أقنوم واحد ؛ إلا أنه من جوهرین ، وربما قالوا : طبیعة واحدة من طبیعتین ؛ فجوهر الإله القديم ، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيباً كما تركبت النفس والبدن ؛ فصاراً جوهرأً واحداً ، أقنوماً واحداً ؛ وهو إنسان كله ، وإله كله ؛ فيقال : الإنسان صار إلهأً ، ولا ینعكس ؛ فلا یقال : الإله صار إنساناً ؛ كالفحمة تطرح فی النار ، فيقال : صارت الفحمة ناراً ، ولا یقال : صارت النار فحمة ، وهي فی الحقيقة : لا نار مطلقة ، ولا فحمة مطلقة ؛ بل هي : جمرة . وزعموا : أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئی ، لا الكلی . وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج ، والادراع ، والحلول ؛ كحلول صورة الإنسان فی المرآة المجلوة .



وأجمع أصحاب التثلیث كلهم علی أن القديم لا یجوز أن یتحده بالمحدث ؛ إلا أن الأقنوم [ الثاني ] الذی هو « الكلمة » اتحدت دون سائر الأقانیم .  
وأجمعوا كلهم علی أن المسیح علیه السلام ولد من مریم علیها السلام ، وقتل ، وصلب ؛ ثم اختلفوا فی كيفية ذلك ؛ فقالت الملكانية والیعقوبیة : إن الذی ولد من مریم هو الإله ؛ فالملكانية لما اعتقدت أن المسیح ناسوت كلی أزلی ؛ قالوا : إن مریم إنسان جزئی ، والجزئی لا یلد الكلی ، وإنما ولده الأقنوم القديم . والیعقوبیة لما اعتقدت أن المسیح هو جوهر من جوهرین ، وهو إله ، وهو المولود ؛ قالوا : إن مریم ولدت إلهأً . . . . . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .  
وكذلك قالوا فی القتل والصلب : إنه وقع علی الجوهر الذی هو من جوهرین ؛ قالوا : ولو وقع علی أحدهما لبطل الاتحاد .

وزعم بعضهم : أنا ثبت وجهین للجوهر القديم ؛ فالمسیح : قديم من وجه ، محدث من وجه .

وزعم قوم من اليعقوبية : أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً ، لكنها مرت بها كالماء بالميزاب ؛ وما ظهر بها من شخص المسيح في الأعين ؛ فهو كالحيال ، والصبورة في المرأة ؛ وإلا فما كان جسماً متجسماً كشيء في الحقيقة . وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان ؛ وهؤلاء يقال لهم : الإليانية ، وهم قوم بالشام ، واليمن ، وأرمينية ؛ قالوا : وإنما صلب الإله من أجلنا ؛ حتى يخلصنا . وزعم بعضهم : أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح عليه السلام أحياناً ؛ فتصدر عنه الآيات : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ وتفارقه في بعض الأوقات ؛ فترد عليه الآلام والأوجاع .

ومنهم « بليارس » وأصحابه ؛ حكى عنه أنه كان يقول : إذا صار الناس إلى الملكوت الأعلى : أكلوا ألف سنة ، وشربوا ، وناكحوا ؛ ثم صاروا إلى النعم التي وعدهم « آريوس » ؛ وكلها : لذة ، وراحة ، وسرور ، وجور ؛ لا أكل فيها ، ولا شرب ، ولا نكاح .  
وزعم « مقدانيوس » أن الجوهر القديم أقنومان فحسب : آب ، وابن ؛ و « الروح » مخلوق .

وزعم « سباليوس » : أن القديم جوهر واحد ، أقنوم واحد ، له ثلاث خواص ، واتحد بكليته بجسد عيسى بن مريم عليهما السلام .

وزعم « آريوس » : أن الله واحد ، سماه : آباً ، وأن المسيح كلمة الله وابنه ؛ على طريق الاصطفاء ؛ وهو مخلوق قبل خلق العالم ، وهو خالق الأشياء . وزعم : أن الله تعالى روحاً مخلوقة أكبر من سائر الأرواح . وأنها واسطة بين الآب والابن ، تؤدي إليه الوحي . وزعم أن « المسيح » ابتداء : جوهرأ ، لطيفاً ، روحانياً ، خالصاً ، غير مركب ، ولا بمزوج بشيء من الطبائع الأربع ؛ وإنما تكون بالطبائع الأربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم . وهذا آريوس قبل الفرق الثلاث ، فبرءوا منه ؛ لمخالفتهم إياه في المذهب .



## الجزء الثالث : من له شبهة كتاب

١  
قد بينا كيفية تحقيق الكتاب ، وميزنا بين حقيقة الكتاب وشبهة الكتاب ، وأن الصحف التي كانت لإبراهيم عليه السلام كانت : شبهة كتاب ، وفيها : مناهج عليية ، ومسالك عملية :

أما العليات ؛ فتقرير كيفية الخلق والإبداع ، وتسوية المخلوقات على سنة نظام وقوام تحصل منها حكمته الأزلية ، وتنفيذها مشيئته السرمدية ، ثم تقرير التقدير والهداية عليها ؛ ليتقدر كل نوع وصنف بقدره المحكوم المحتوم ، ويقبل هدايته السارية في العالم بقدر استعداده المعلوم . والعلم كل العلم لا يعدو هذين النوعين ؛ وذلك قوله تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، وقال عز وجل خبراً عن إبراهيم عليه السلام : « الذي خلقني فهو يهدين ، ؛ وخبراً عن موسى عليه السلام : « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . »

وأما العمليات : فزكية النفوس عن درن الشبهات ، وذكر الله تعالى ؛ بإقامة العبادات ، ورفض الشهوات الدنيوية ، وإيثار السعادات الأخروية ؛ ولن يحصل البلوغ إلى كمال المعاد إلا بإقامة هذين الركنين ؛ أعني : الطهارة ، والشهادة . والعمل كل العمل لا يعدو هذين النوعين ؛ وذلك قوله تعالى : « قد أفلح من تركي ، وذكر اسم ربه فصلي ، بل تؤثرن الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى . »

ثم قال عز من قائل : « إن هذا لفي الصحف الأولى : صحف إبراهيم وموسى ، ؛ فبين أن الذي اشتملت عليه الصحف : هو الذي اشتملت عليه هذه السورة . وبالحقيقة : هذا هو الإعجاز الحقيقي .

## المجوس ، وأصحاب الاثني ، والمأنوية وسائر فرقهم

ب

يقال لها : الدين الأكبر ، والملة العظمى ؛ إذ كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام بعد إبراهيم الخليل عليه السلام لم تكن في العموم كالدعوة الخليلية ، ولم يثبت لها من : القوة ، والشوكة ، والملك ، والسيف . . . مثل الملة الحنيفية ؛ إذ كانت ملوك العجم كلها على ملة إبراهيم عليه السلام ، وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم ؛ وكان لملوكهم مرجع هو : « موبذمو بذان » ، يعني : أعلم العلماء ، وأقدم الحكماء ، يصدر عن أمره ، ولا يخالفونه ، ولا يرجعون إلا إلى رأيه ، ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت .

وكانت دعوة بني إسرائيل أكثرها في بلاد الشام وما وراءها من المغرب ؛ وقل ما سرى من ذلك إلى بلاد العجم .

وكانت الفرق في زمان إبراهيم الخليل عليه السلام راجعة إلى صنفين اثنين : أحدهما : « الصابئة » ، والثاني : « الحنفاء » .

\*\*\*

كانت تقول : إنا نحتاج : في معرفة الله تعالى ، ومعرفة طاعته ، وأوامره ، وأحكامه : إلى « متوسط » ؛ لكن ذلك « المتوسط » يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً ؛ وذلك : لزكاء الروحانيات ؛ وطهارتها ؛ وقربها من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا : يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ؛ يماثلنا في المادة والصورة ؛ قالوا : « وأئن أطعمتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون » .

وكانت تقول : إنا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى « متوسط » من جنس البشر تكون درجته : في الطهارة ، والعصمة ، والتأيد .

والحكمة : فرق الروحانيات : يماثلنا من حيث البشرية ، ويميزنا من حيث الروحانية ؛ فيتلقى الوحي بطرف الروحانية ، ويلقى إلى نوع الإنسان بطرف البشرية ؛ وذلك قوله تعالى : « قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهم إله واحد » ، وقال عز ذكره : « قل سبحان ربي : هل كنت إلا بشراً رسولا » ؟ .

ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البهتة ؛ والتقرب إليها بأعيانها ؛ والتلقى عنها بذواتها . . . فزعت جماعة إلى « هياكلها » : وهى السيارات السبع ، وبعض الثوابت . فصابئة النبط والفرس والروم : مفزعا السيارات ، وصابئة الهند : مفزعا الثوابت . وسنذكر مذاهبهم على التفصيل — على قدر الإمكان — بتوفيق الله تعالى . وربما نزلوا عن « الهياكل » إلى « الأشخاص » التي لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تغنى عنهم شيئاً . والفرقة الأولى : هم عبدة الكواكب ، والثانية : هم عبدة الأصنام .

ولما كان الخليل عليه السلام مكلفاً بكسر المذهبين على الفرقتين ، وتقرير الحنيفية السمحة السهلة : احتج على عبدة الأصنام : قولا ، وفعلا : كسراً من حيث القول ، وكسراً من حيث الفعل ؛ فقال لأبيه آزر : « يا أبت ! لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً » ؟ . . . الآيات . . . حتى : « جعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم » ، وذلك إلزام من حيث الفعل ، وإلغام من حيث الكسر . ففرغ من ذلك كما قال الله تعالى : « وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم » ، وابتدأ بإبطال مذاهب عبدة الكواكب على صيغة الموافقة : كما قال تعالى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » : أى كما آتيناه الحججة كذلك نرى الحججة ؛ فساق الإلزام على « أصحاب الهياكل » مساق الموافقة في المبدأ ، والمخالفة في النهاية ؛ ليكون الإلزام أبلغ ، والإلغام أقوى ؛ وإلا فإبراهيم الخليل عليه السلام : لم يكن فى قوله : « هذا ربي » : مشركاً ، كما لم يكن فى قوله : « بل فعله كبيرهم هذا » : كاذباً . وسوق الكلام من جهة

الإلزام ، غير سوجه على جهة الإلزام . فلما أظهر الحججة وبين المحجة : قرر الحنيفية التي هي الملة الكبرى ، والشريعة العظمى ، وذلك هو الدين القيم .

وكان الأنبياء من أولاده كلهم يقررون الحنيفية ؛ وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه : كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوى ، وأصاب المرمى وأصمى . ومن العجب ! أن التوحيد من أخص أركان الحنيفية ؛ ولهذا : يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية : « حنيفاً وما كان من المشركين » ، « حنفاء لله غير مشركين به » .

ثم إن « الثنية » اختصت بالمجوس ؛ حتى أثبتوا : أصلين اثنين ، مدبرين ، قديمين ؛ يقنسان : الخير ؛ والشر ، والنفع ؛ والضر ، والصلاح ؛ والفساد . . . . يسمون أحدهما : النور ، والآخر : الظلمة . وبالفارسية : يزدان ، وأهرمن . ولهم في ذلك تفصيل مذهب .

ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين ؛ إحداهما : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة . وجعلوا : « الامتراج » مبدأ ، و « الخلاص » معاداً .

## الباب الأول : المجوس

١ - أثبتوا أصلين كما ذكرنا ؛ إلا أن المجوس الأصلية زعموا : أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ؛ بل النور أزلي ، والظلمة محدثة . ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها : أمن النور حدث ! والنور لا يحدث شراً جزئياً ؛ فكيف يحدث أصل الشر ؟ ، أم [ من ] شيء آخر ! ولا شيء . يشرك النور في الإحداث والقدم ؟ . وبهذا يظهر خبط المجوس .

وهؤلاء يقولون : المبدأ الأول من الأشخاص : كيومرث ؛ وربما يقولون : زروان الكبير ، والنبي الثاني : زردشت ، والكيومرثية يقولون : كيومرث هو آدم عليه السلام ، وتفسير كيومرث هو : الحي الناطق . وقد ورد في تواريخ الهند والعجم : أن كيومرث هو آدم عليه السلام . ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ .

### ١ - الكيومرثية

أصحاب المقدم الأول : كيومرث . أثبتوا أصلين : يزدان ، وأهرمن ؛ وقالوا : يزدان أزلي قديم ؛ وأهرمن محدث مخلوق ، وقالوا : إن سبب خلق أهرمن أن يزدان فكر في نفسه : أنه لو كان لي منازع كيف يكون ؟ ، وهذه الفكرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور ؛ فحدث الظلام من هذه الفكرة ، وسمى : أهرمن ؛ وكان مطبوعاً على الشر ، والفتنة ، والفساد ، والفسق ، والضرر ، والإضرار ؛ فخرج على النور ، وخالفه طبيعة وفعلاً ، وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة . ثم إن الملائكة توسطوا ، فصالحوا ؛ على أن يكون العالم السفلي خالصاً لأهرمن سبعة آلاف سنة ، ثم يخلى العالم ويسلحه إلى النور ؛ والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم . ثم بدأ برجل يقال له : كيومرث ، وحيوان يقال له : ثور ، فقتلها ؛ فنبت من مسقط ذلك الرجل « ريباس » ، وخرج من أصل

«ريباس» : رجل يسمى : « ميشة » ، وامرأة اسمها : « ميشانة » ، وهما أبوا البشر ، ونبت من مسقط الثور : الأنعام ، وسائر الحيوانات .

وزعموا : أن النور خير الناس - وهم أرواح بلا أجساد - بين أن يرفعهم عن مواضع أهرمن ، وبين أن يلبسهم الأجساد فيحاربون أهرمن ؛ فاختروا لبس الأجساد ، ومحاربة أهرمن ... على أن تكون لهم النصرة من عند النور ، والظفر بجنود أهرمن ، وحسن العاقبة . وعند الظفر به وإهلاك جنوده : تكون القيامة .

فذاك : « سبب الامتزاج » ، وهذا : « سبب الخلاص » .

## ٢ - الزروانية

قالوا : إن النور أبدع أشخاصاً من نور ؛ كلها : روحانية ، نورانية ، ربانية ؛ ولكن الشخص الأعظم الذي اسمه : « زروان » ، شك في شيء من الأشياء ؛ فحدث أهرمن الشيطان يعني إبليس من ذلك الشك .

وقال بعضهم : لا ؛ بل إن زروان الكبير قام ، فزمزم تسعة آلاف وتسعمائة وتسعاً وتسعين سنة ؛ ليكون له ابن فلم يكن ؛ ثم حدث نفسه ، وفكر ، وقال : لعل هذا العلم ليس بشيء ؛ فحدث أهرمن من ذلك الهم الواحد ، وحدث « هرمن » من ذلك العلم ؛ فكانا جميعاً في بطن واحد ، وكان هرمن أقرب من باب الخروج ؛ فاحتال أهرمن الشيطان حتى شق بطن أمه ، فخرج قبله ، وأخذ الدنيا .

وقيل : إنه لما مثل بين يدي « زروان » فأبصره ورأى ما فيه ؛ من الخبث ، والشرارة ، والفساد : أبغضه ، ولعنه ، وطرده ؛ ففضى ، واستولى على الدنيا . وأما هرمن فبقي زماناً لا يد له عليه ؛ وهو الذي اتخذ قوم « ربا » ، وعبدوه ؛ لما وجدوا فيه من : الخير ، والطهارة ، والصلاح ، وحسن الأخلاق .

وزعم بعض الزروانية : أنه لم يزل - كان - مع الله شيء ردىء : إما فكرة

ردية ، وإما عفونة رديئة ؛ وذلك هو مصدر الشيطان . وزعموا ؛ أن الدنيا كانت سليمة من : الشرور ، والآفات ، والفتن ؛ وكان أهلها في خير محض ، ونعيم خالص ، فلما حدث « أهرمن » حدثت : الشرور ، والآفات ، والفتن ، والمحن . وكان بمعزل عن السماء ، فاحتال حتى خرق السماء ، وصعد . وقال بعضهم : كان هو في السماء ، والأرض خالية عنه ؛ فاحتال حتى خرق السماء ، ونزل إلى الأرض بجنوده كلها ؛ فهرب « النور » بملائكته ، وأتبعه الشيطان حتى حاصره في جنته ، وحاربه ثلاثة آلاف سنة ؛ لا يصل الشيطان إلى الرب تعالى ، ثم توسط الملائكة ، وتصالحا : على أن يكون إبليس وجنوده في قرار الأرض تسعة آلاف سنة ؛ بالثلاثة آلاف التي قاتله فيها ، ثم يخرج إلى موضعه . ورأى الرب تعالى عن قولهم الصلاح في احتمال المكروه من إبليس وجنوده ، وأن لا ينقض الشرط حتى تنقضي المدة المضروبة للصلح . فالتاس في : البلايا ، والفتن ، والخزايا ، والمحن . . . إلى انقضاء المدة ، ثم يعودون إلى النعيم الأول . وشرط إبليس عليه : أن يمكنه من أشياء يفعلها ، ويطلقه في أفعال رديئة يباشرها ، فلما فرغا من الشرط : أشهدا عليهما عدلين ، ودفعا سيفيهما إليهما ، وقال لهما : من نكث فاقتلاه بهذا السيف . ولست أظن عاقلا يعتقد هذا الرأي الفائل ، ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ؛ ولعله كان رمزاً إلى ما يتصور في العقل . ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه : لم يسمح بهذه الترهات عقله ، ولم يسمع مثل هذه الترهات سمعه . وأقرب من هذا ما حكاه « أبو حامد الزوزني » : أن المجوس زعمت أن إبليس كان لم يزل في الظلمة - والجو خلاء - بمعزل عن سلطان الله ، ثم لم يزل يزحف ، ويقرب بحيله ؛ حتى رأى « النور » ؛ فوثب وثبة ، فصار في سلطان الله في النور ، وأدخل معه هذه الآفات والشرور ، فخلق الله تعالى هذا العالم شبكة له فوق فيها ، وصار متعلقاً بها لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه ؛ فهو محبوس في هذا العالم ، مضطرب في الحبس ، يرمى بالآفات والمحن والفتن إلى خلق الله تعالى ؛ فمن أحياء الله رماه بالموت ، ومن أصححه رماه بالسقم ، ومن سره رماه بالحزن . فلا يزال كذلك

إلى يوم القيامة ؛ وفي كل يوم ينقص سلطانه حتى لا تبقى له قوة . فإذا كانت القيامة : ذهب سلطانه ، وخذت نيرانه ، وزالت قوته ، واضمحلت قدرته . . . فيطرحه في الجو ؛ والجو ظلمة ليس لها حد ولا منتهى . ثم يجمع الله تعالى أهل الأديان ؛ فيحاسبهم ، ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه . وأما المسخية ؛ فقالت : إن النور كان وحده نوراً محضاً ، ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة . وكذلك « الخرمدينية » : قالوا بأصلين ، ولهم ميل إلى التناسخ ، والحلول . وهم لا يقولون : بأحكام ، وحلال ، وحرام . ولقد كان في كل أمة من الأمم قوم ؛ مثل : الإباحية ، والمزدكية ، والزنادقة ، والقرامطة . . . كان تشويش ذلك الدين منهم ، وفتنة الناس مقصورة عليهم .

### ٣ — الزردشتية

أولئك هم أصحاب « زردشت ابن بورشب »<sup>(١)</sup> ، الذي ظهر في زمان « كشتاسب ابن لهراسب » الملك ؛ وأبوه كان من أذربيجان ، وأمه من الري واسمها : دغدويه . زعموا : أن لهم أنبياء وملوكا : أولهم « كيومرث » ، وكان أول من ملك الأرض ، وكان مقامه « ياصطخر » . وبعده : « أوشهنك بن فراوك » ، ونزل أرض الهند ، وكانت له دعوة ثمة . وبعده : « طهمورث » ؛ وظهرت « الصابئة » في أول سنة من ملكه . وبعده : أخوه « جم » الملك . ثم بعده أنبياء وملوك ؛ منهم « منوجهر » ، ونزل بابل ، وأقام بها . وزعموا أن موسى عليه السلام ظهر في زمانه . . . حتى انتهى الملك إلى « كشتاسب بن لهراسب » ، وظهر في زمانه « زردشت » الحكيم .

وزعموا : أن الله عز وجل خلق من وقت ما في الصحف الأولى والكتاب الأعلى من ملكوته خلقاً روحانياً ؛ فلما مضت ثلاثة آلاف سنة أنفذ مشيئته

(١) زردشت : بفتح فسكون ففتح فسكون ، بورشب : بضم الباء بعدها واو وسكون الراء وكسر الثين . راجع تحقيقنا لضبط « زردشت » في طبعتنا الأولى لهذا الكتاب على الصفحتين ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ثم راجع فيها ضبط الأعلام الفارسية جميعاً وغيرها .



في صورة من نور متألئء، على تركيب صورة الإنسان، وأحف به سبعين من الملائكة  
المكرمين؛ وخلق الشمس، والقمر، والكواكب، والأرض، وبنى آدم؛  
غير متحركة ثلاثة آلاف سنة. ثم جعل «روح زردشت» في شجرة أنشأها في أعلى  
عليين وأحف بها سبعين من الملائكة المكرمين، وغرسها في قلة جبل من جبال  
أذربيجان يعرف «باسمويذخر»، ثم مازج «شبح زردشت» بلبن بقرة، فشر به  
أبو زردشت، فصار: نطفة، ثم مضغة في رحم أمه؛ فقصدها الشيطان وغيرها،  
فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالة على برئها؛ فبرئت. ثم لما ولد ضحك ضحكة  
تبينها من حضر؛ فاحتالوا على «زردشت» حتى وضعوه بين «مدرجة البقر»  
و«مدرجة الخيل» و«مدرجة الذئب»، فكان ينهر كل واحد منهم لحمايته  
من جنسه. ونشأ بعد ذلك إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فبعثه الله تعالى: نبياً،  
ورسولاً إلى الخلق. فدعا: كشتاسب الملك، فأجابه إلى دينه. وكان دينه:  
عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،  
واجتناب الخبائث...

مركز تحقيقات كميتر علوم سوي

وقال: «النور»، و«الظلمة»، أصلان متضادان، وكذلك «يزدان»،  
و«أهرمين»، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما،  
وحدثت الصور من التراكيب المختلفة. والباري تعالى خالق النور والظلمة  
ومبدعهما؛ وهو واحد: لا شريك له، ولا ضد، ولا ند، ولا يجوز أن ينسب  
إليه وجود الظلمة؛ كما قالت «الزروانية». لكن: الخير والشر، والصلاح  
والفساد، والطهارة والخبث: إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة؛ ولو لم يمتزجا  
لما كان وجود العالم. وهما: يتقاومان، ويتغالبان... إلى أن يغلب النور الظلمة،  
والخير الشر؛ ثم يتخلص الخير إلى عالمه، والشر ينحط إلى عالمه؛ وذلك هو:  
سبب الخلاص؛ والباري تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما؛ لحكمة رآها  
في التراكيب. وربما جعل النور أصلاً؛ وقال: وجوده وجود حقيقي،  
وأما الظلمة فتبع، كالظل بالنسبة إلى الشخص؛ فإنه يرى أنه موجود، وليس

بوجود سقيقة ؛ فأبدع النور ، وحصل الظلام تبعاً ؛ لأن من ضرورة الوجود  
التضاد ، فوجوده ضروري ، واقع في الخلق لا بالقصد الأول ؛ كما ذكرنا  
في الشخص والظل .

وله كتاب قد صنفه - وقيل : إن ذلك أنزل عليه - وهو : « زند أوستا » ؛  
يقسم العالم قسمين : « مينة » ، « وكيتي » ؛ يعني : الروحاني ، والجسماني ؛ أو :  
الروح ، والشخص . وكما قسم الخلق إلى عالمين ؛ يقول : إن ما في العالم ينقسم  
قسمين : « بخشش » ، « وكنش » ؛ يريد به : التقدير ، والفعل ؛ وكل واحد  
مقدر على الثاني . ثم يتكلم في موارد التكليف ، وهي : حركات الإنسان ؛ فيقسمها  
ثلاثة أقسام : « منش » ، « وكويش » ، « وكنش » ؛ يعني بذلك : الاعتقاد ،  
والقول ، والعمل ؛ وبالثلاثة يتم التكليف ؛ فإذا قصر الإنسان فيها خرج عن الدين  
والطاعة ، وإذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز  
الفوز الأكبر .

وتدعى الزردشتية له معجزات كثيرة ؛ منها : دخول قوائم فرس كشتاسب  
في بطنه ، وكان « زردشت » في الحبس ؛ فأطلقه ؛ فانطلقت قوائم الفرس . ومنها :  
أنه مرّ على أعمى « بالدينور » فقال : خذوا حشيشة - وصفها لهم - واعصروا  
ماءها في عينه ، فإنه يبصر ؛ ففعلوا ؛ فأبصر الأعمى .

وهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشة . وليس من « المعجزات » في شيء .  
ومن « المجوس الزردشتية » صنف يقال لهم : « السيسانية » ، و « البهافرديية » ؛  
رئيسهم رجل يقال له « سيسان » من رستاق نيسابور ، من ناحية يقال لها :  
خواف . خرج في أيام أبي مسلم ؛ صاحب الدولة . وكان « زمزمياً » في الأصل ؛  
يعبد النيران ؛ ثم ترك ذلك ، ودعا المجوس إلى : ترك الزمزمة ، ورفض عبادة  
النيران . ووضع لهم كتاباً ؛ وأمرهم فيه بإرسال الشعور ؛ وحرّم عليهم :  
الأمهات ، والبنات ، والأخوات ؛ وحرّم عليهم الخنزير ؛ وأمرهم باستقبال الشمس  
عند السجود على ركة واحدة . وهم : يتخذون « الرباطات » ، ويتبادلون الأموال ،

ولا يأكلون الميتة ، ولا يذبحون الحيوان حتى يهرم . وهم أعدى خلق الله للمجوس الزمزمة . ثم إن « موبذ المجوس » رفعه إلى أبي مسلم ، فقتله على باب الجامع بنيسابور . وقال أصحابه : إنه صعد إلى السماء على بردون أصفر ، وإنه سينزل على البرذون ؛ فينتقم من أعدائه . وهؤلاء قد أقرؤا بنبوة « زردشت » ، وعظموا الملوك الذين يعظمهم « زردشت » .

ومما أخبر به « زردشت » في كتاب « زند أو ستا » أنه قال : سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه « أشيزريكا » ، ومعناه : الرجل العالم ، يزين العالم بالدين والعدل ؛ ثم يظهر في زمانه « بتياره » ، فيوقع الآفة في أمره وملكه عشرين سنة ؛ ثم يظهر بعد ذلك « أشيزريكا » على أهل العالم ، ويحيي العدل ، ويميت الجور ، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى ، وتنقاد له الملوك ، وتيسر له الأمور ، وينصر الدين الحق ، ويحصل في زمانه : الأمن ، والدعة ، وسكون الفتن ، وزوال المحن .

### مقالة زردشت في المبادئ<sup>(١)</sup>

وقد نقل « الجيهاني » في مقالة من المقالات « لزردشت » في المبادئ : أن دين « زردشت » : هو الدعوة إلى دين « مارسيان » ، وأن معبوده : « أورمزد » ، والملائكة المتوسطون في رسالاته إليه : بهمن ، وأرديهشت ، وشهريور ، وإسفندارمز ، وخرداد ، ومرداد . وقد رآهم « زردشت » ، واستفاد منهم العلوم . وجرت مساومات بينه وبين « أورمزد » من غير توسط :

أولها : قال « زردشت » : ما الشيء الذي كان ، ويكون وهو الآن موجود ؟ . قال « أورمزد » : أنا ، والدين ، والكلام ؛ أما الدين فعمل أورمزد وكلامه وإيمانه ؛ وأما الكلام فكلامه . والدين أفضل من الكلام ؛ إذ العمل أفضل من القول . وأول من أبدع من الملائكة : « بهمن » ، وعلبه الدين ، وخصه بموضع النور مكانا ، وأقنعه بذاته ذاتا ؛ فالمبادئ على هذا الرأي ثلاثة .

(١) هذه « المقالة » كلها ساقطة من المطبوعات والترجمات ومن جميع المخطوطات التي كتبت من منتصف القرن العاشر الهجري إلى الآن فقط . راجع صفحات (٥٩٧ — ٦٠٠) بمن طبعتنا الأولى .

السؤال الثاني : قال : لمَ لم تخلق الأشياء كلها في زمان غير متناه ؟  
إذ قد جعلت الزمان نصفين : نصفه متناه ، ونصفه غير متناه ؛ فلو خلقتها في زمان  
غير متناه : كان لا يستحيل شيء منها . قال أورمزد : فإذا كان لا يمكن أن تفتي  
- ثم - آفات الأثيم إبليس .

السؤال الثالث : قال : مماذا خلقت هذا العالم ؟ . قال أورمزد : خلقت  
جميع هذا العالم من نفسي : أما أنفوس الأبرار فمن شعر رأسي ، وأما السماء  
فمن أم رأسي ، والظفر والمعاضد فمن جهتي ، والشمس فمن عيني ، والقمر فمن أنفي ،  
والكواكب فمن لساني ، و « سروس » وسائر الملائكة فمن أذني ، والأرض  
فمن عصب رجلي . وأريت هذا الدين أولاً « كيومرث » ؛ فشعر به ، وحفظه  
من غير تعلم ولا مدارسة . قال « زردشت » : فلماذا أريت هذا الدين كيومرث  
بالوهم ، وألقيته إلى بالقول ؟ . قال : « أورمزد » : لأنك تحتاج أن تتعلم هذا الدين  
وتعلمه غيرك ، « كيومرث » لم يجد من يقبله ؛ فأمسك عن التكلم ، وهذا خير لك ؛  
لأنني أقول وأنت تسمع ، وأنت تقول والناس يسمعون ويقبلون . فقال  
« زردشت » « لأورمزد » : هل أريت هذا الدين أحداً قبلي غير « كيومرث » ؟  
قال : بلى ! أريت هذا الدين « جم » خمسين نجماً مخمساً ؛ من أجل إنكاره « الضحاك » .  
قال : إذا كنت عالماً أنه لا يقبله ؛ فلماذا أريته ؟ قال : لو لم أره لما صار إليك ،  
وقد أريته أيضاً : أفريدون ، وكيكاوس ، وكيقباد ، وكشتاسب . قال « زردشت » :  
خلقتك العالم ، وترويحك الدين لأي شيء ؟ قال : لأن فناء العفريت الأثيم لا يمكن إلا  
بخلق العالم ، وترويج الدين ؛ ولو لم يتزوج أمر الدين لما أمكن أن تتزوج أمور العالم .  
فلما أخذ « زردشت » الدين من « أورمزد » الوهاب ؛ واستحكه ،  
وعمل به ؛ وزمزم في بيت أبيه عليه ... غاظ ذلك « كون » الأثيم وأقلقه ؛ إذ كان  
شريراً ، ممتلئاً موتاً ، وظلمة ، وبلاء ، ومحنة ؛ فدعا بشياطينه ، وأسماؤه :  
برى ديوانياخ ديويهان زوش ، ونومر بفنارديو ؛ وأمرهم جميعاً بالمسير إلى  
« زردشت » وقتله ، فعلم « زردشت » بذلك ؛ فقرأ ، وزمزم ، وأراق الماء

على يدي «مارسيان» ؛ فانهزموا عنه مقهورين . وجرت محاربات أخرى ؛ فهزمهم « زردشت » بإحدى وعشرين آية ، من كتابه : « أوستا » ، وتوارت الشياطين عن الناس .

ولما بلغ « زردشت » مبلغ الكمال بأربعين سنة ؛ وتمت له المخاطبات في سبع عودات إلى « أورمزد » أكمل [ فيها ] معرفة شرائع دين الله وفرائضه وسننه ... أمره الله بالمسير إلى « كشتاسب » الملك ، وإظهار ذكر الله ، واسمه ؛ فنفذ لأمر الله ، ودعا ملكين كانا بذلك الصقع يقال لهما : « فوربمراي » و « بيويدست » ؛ فدعاهما إلى دين الله ، والكفر بالشیطان ، وفعل الخير ، واجتناب الشر ؛ فلم يقبلا قوله ، وأخذتهما العزة بالإثم ؛ فجاءتهما ريح ؛ فحملتهما من الأرض ، ووقفت بهما في الهواء ، واجتمع الناس ينظرون إليهما ؛ فغشيتهما الطير من كل ناحية ، وأتوا على لحومهما ، وسقطت عظامهما على الأرض .

ولما بلغ « كشتاسب » لقي منه كل ما أنبأ به « أورمزد » ؛ من الحبس والبلاء ؛ حتى حدث أمر الفرس الذي دخلت قوائمه في باطن بدنه ؛ حتى لم ير أثرها في جسده ، واستبهم حاله على الناس ، وتحيروا ؛ وأخرجه كشتاسب من الحبس ، وسأله الحال ؛ فقال : تلك آية من آيات صدقي ؛ الذي أخبرني به إلهي وخالقي ، وشارطهم على الإيمان به ؛ إن هو دعا وأخرج قوائم الفرس ، وشرطوا ، ودعا باسم الله ؛ فخرجت قوائم الفرس كما كانت ؛ فأمن به « كشتاسب » ؛ وأمر بجمع علماء أهل زمانه من : « بابل » ، و « إيران شهر » ؛ وأمرهم بمحاوره « زردشت » ؛ فناظروه ؛ فاعترفوا له بالفضيلة .

قال : ومما جاء به زردشت المصطفى من دين مارسيان : أن إلهه « أورمزد » لم يزل ، ولم يزل معه شيء سماه : « أسني أسنه » وهو شيء مضى حوله ، وهو فوق ؛ وأن إبليس لم يزل معه شيء سماه : « أستا أستا » وهو مظلم حوله . وهو أسفل .

وأول ما خلق الله من الملائكة : « بهمن » ، ثم « أرديهشت » ، ثم « شيريور » .

ثم « إسفنندارمز » ، ثم « خرداد » ، ثم « مرداد » . وخلق بعضهم من بعض ؛ كما يؤخذ السراج من السراج من غير أن ينقص من الأول شيء ، وقال لهم : من ربكم وخالقكم ؟ فقالوا : أنت ربنا وخالقنا . وعلم « أورمزد » أن إبليس سيتحرك من ظلمته ؛ فأعلم بذلك الملائكة ، وبدأ بإعداد ما يورطه ، ويدفع شره وأذاه عن عالمه ، ويبطل إرادته ؛ فخلق السماء في خمسة وأربعين يوماً ، وسمى : « كاهينازى شورم » ؛ ومعناه : ظهور ضمائر أهل الدنيا . . . إلى سائر « الكاهينازات » المذكورات عندهم ؛ وخلق الأرض في خمسة وأربعين يوماً .

وأول من ابتعثه « أورمزد » إلى الأرض : « كيومرث » ، وقد كان يستنشق النسيم ثلاثة آلاف سنة ، ثم أخرجه في قامه ثلاثة رجال . ولما أن جاء وقت تحريك إبليس في ظلمته ، ارتفع ، ورأى النور ، وطمع في الاستيلاء على « أسنى أورمزد » ، وتصويره مظلماً ، ودخل السماء يكيد - ثم - « لـ كيومرث » ثلاثين سنة ، وصارت نطفته ثلاثة أقسام ؛ قسم : أمر الله الأرض أن تحفظه ، وقسم : أمر « سروس » الملك أن يحفظه ، وثالث : اختطفته الشياطين . وأمر « أورمزد » بسد الثقوب التي صعد منها إبليس ؛ فبقى داخل السماء منقطعاً عن أصله وقوته ، فانتصب لمناظرة « أورمزد » ، ورام الصعود إلى الجنان ؛ فدفعه عن ذلك قدر ثلاثة آلاف سنة ، ثم أعلمه أنه يسعى في الباطل والخسار ، ويروم ما لا يقدر عليه . واتفق الأمر بينهما على أن يبقى إبليس وجنوده في قرار الضوء تسعة آلاف سنة - ويروى سبعة آلاف سنة - ثم يبطل ، ويحتمل خلقه الأذى في هذه السنين ، ويصبرون عليه وعلى ما ينالهم : من الفقر ، والبلاء ، والموت ، وسائر الآفات ؛ ليعوضهم منها الحياة الدائمة في الجنان .

واشترط إبليس لنفسه وشياطينه ثمانية عشر شرطاً :

الأول منها : أن تصير معيشة خلقه من خلق الله ، والثاني : أن يكون ممن خلقه على خلق الله ، والثالث : أن يسلط خلقه على خلق الله ، والرابع : أن يخلط جوهر خلقه بجوهر خلق الله ، والخامس : أن يصير له السبيل إلى أن يأخذ الطين الذي

في خلق الله ، والسادس : أن يصير له من النور الذي في خلق الله ما يريد ،  
والسابع : أن يصير له من الرياح التي في خلق الله حاجته ، والثامن : أن يصير  
له من الرطوبة التي في خلق الله ، والتاسع : أن يصير له من النار التي في خلق الله ،  
والعاشر : أن يصير له من المودة والمصاهرة التي في خلق الله ؛ ليخلط الأشرار  
بالأخيار ، والحادي عشر : أن يصير له من العقل والبصر الذي في خلق الله ؛  
ليعرف خلقه مسالك المنافع والمضار ، والثاني عشر : أن يصير له من العدل  
الذي في خلق الله ؛ ليجعل للأشرار فيه نصيبا ، والثالث عشر : أن تخفى على الناس  
معرفة عمل الصالحين والأشرار إلى يوم القيامة والحساب ، والرابع عشر : أن يصير  
له السبيل إلى أن يبلغ بأهل بيت الشراة والخبث غاية الغنى والدرجات ؛ ويصيرهم  
عند الناس صالحين ، والخامس عشر : أن يصير له السبيل إلى أن يجعل كذب  
الأشرار مقبولا على الأخيار ، والسادس عشر : أن يصير له السبيل إلى أن يصير  
من أهل الدنيا — من أراد من خلقه — ألف سنة ؛ أو ثلاثة آلاف سنة ؛  
ويصيرهم أغنياء أقوياء قادرين على ما يريدون ؛ وأن يلهم الناس حتى يكونوا  
يأعطاء الأشرار أسخى منهم يعطاء الأخيار وأطيب نفساً ، والسابع عشر : أن  
يصير له السبيل إلى إفناء أهل بيت الصالحين ؛ حتى لا يعرف منهم أحد بعد  
ثلاثمائة وخمسين سنة ، والثامن عشر : أن يملك أمر من : يحيي الأموات ؛ ويبقي  
الأخيار ؛ وينفي الأشرار إلى يوم القيامة .

فتمت « البيعة » ، وأقاما عليها ، ودفعا سيفيهما إلى عدلين ؛ على أن يقتلا من  
رجع عن شرطه . وأمر الله تعالى : الشمس ، والقمر ، والكواكب ... أن تجرى ؛  
لمعرفة : الأيام ، والشهور ، والأعوام . . . التي جعلها عدة الإنظار والإمهال .  
وبما نص عليه « زردشت » : أن للعالم قوة إلهية ؛ هي المدبرة لجميع ما في العالم ،  
المنتهية مبادئها إلى كالاتها . وهذه القوة تسمى : « مشاسبند » ؛ وهي : على لسان  
« الصابئة » : « المدبر الأقرب » ، وعلى لسان الفلاسفة : « العقل الفعال » ؛  
ومنه : الفيض الإلهي ؛ والعناية الربانية ، وعلى لسان المانوية : الأرواح الطيبة ،

وعلى لسان العرب : الملائكة ، وعلى لسان الشرع والكتاب الإلهي : الروح :  
« تنزل الملائكة والروح فيها » .  
وأثبت غيره : منشاء ومنشأيه ؛ ويعنى بهما : « آدم » و« حواء » في العالم الجسماني ،  
و«العقل» و«النفس» في العالم الروحاني .

## الباب الثاني : الثنوية

١ — هؤلاء : هم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن «النور» و«الظلمة» أزليان  
قديمان ؛ بخلاف المجوس ؛ فإنهم قالوا : بحدوث الظلام ، وذكروا سبب حدوثه .  
وهؤلاء قالوا : بتساويهما في القدم ، واختلافهما : في الجوهر ؛ والطبع ؛  
والفعل ؛ والحيز ؛ والمكان والأجاس ؛ والأبدان والأرواح .

### مركزية كريمة المانوية

أصحاب « ماني بن فاتك » الحكيم ، الذي ظهر في زمان « سابور بن أردشير » ،  
وقته « بهرام بن هرمز بن سابور » ، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام . أحدث  
دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول  
بنبوة موسى عليه السلام . حكى « محمد بن هارون » المعروف « بأبي عيسى الوراق »  
وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم : أن الحكيم « ماني » زعم : أن العالم  
مصنوع مركب من أصليين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ؛ وأنهما : أزليان  
لم يزالا ؛ ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم ، وزعم أنهما  
لم يزالا : قوين ، حساسين ، دراكين ، سميعين ، بصيرين وهما مع ذلك : في النفس ،  
والصورة ، والفعل ، والتدبير . . . متضادان . وفي الحيز : متحاذيان ؛ تحاذي  
الشخص والظل .

وإنما تبين جواهرهما ، وأفعالهما ؛ في هذا الجدول :



الظلمة	النور	
جوهرها: قبيح ، ناقص ، لثيم ، كدر ، خبيث ، متن الريح قبيح المنظر .	جوهرة: حسن ، فاضل ، كريم ، صاف ، نقي ، طيب الريح ، حسن المنظر .	الجوهر
نفسها: شريرة ، لثيمة ، سفية ، ضارة ، جاهلة .	نفسه: خيرة ، كريمة ، حكيمة ، نافعة ، عالمة .	النفس
فعلها: الشر ، والفساد ، والضر ، والغم ، والتشويش ، والتدبير ، والاختلاف .	فعله: الخير ، والصلاح ، والنفع ، والسرور ، والترتيب ، والنظام ، والاتفاق .	الفعل
جهتها: جهة تحت ؛ وأكثرهم على أنها منحطة من ناحية الجنوب ، وزعم بعضهم أنها بجانب النور .	جهته: جهة فوق ؛ وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال ، وزعم بعضهم أنه بجانب الظلمة .	الحيّز
أجناسها خمسة: أربعة منها أبدان ، والخامس روحها .	أجناسه خمسة: أربعة منها أبدان ، والخامس روحه	الأجناس
فالأبدان هي: الحريق ، والظلمة ، والسموم ، والضباب ؛ وروحها الدخان وتدعى الهامة ، وهي تتحرك في هذه الأبدان .	فالأبدان هي: النار ، والنور ، والريح ، والماء ؛ وروحها النسيم ، وهي تتحرك في هذه الأبدان .	
ميتة ، شريرة ، نجسة ، دنسة . وقال بعضهم : « كون الظلمة » لم تنزل على مثال هذا العالم : لها أرض وجو .	حية ، خيرة ، طاهرة ، زكية . وقال بعضهم : « كون النور » لم ينزل على مثال هذا العالم : له أرض وجو .	الصفات

الظلمة	النور	
<p>فأرض الظلمة : لم تزل كثيفة ، على غير صورة هذه الأرض ، بل هي أكثف وأصلب ؛ ورائحتها كريهة أثنى الروائح ، والوانها ألوان السواد .</p>	<p>فأرض النور: لم تزل لطيفة ، على غير صورة هذه الأرض ؛ بل هي على صورة جرم الشمس ؛ وشعاعها كشعاع الشمس ؛ ورائحتها أطيب رائحة ، والوانها ألوان قوس قزح .</p>	—
***		
<p>وقال بعضهم : لا شيء إلا الجسم . والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض الظلمة ؛ وجسم آخر أظلم منه وهو الجو . وجسم آخر أظلم منه وهو « السموم » .</p>	<p>وقال بعضهم : لا شيء إلا الجسم . والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض النور وهي خمسة . وهناك جسم آخر أظلم منه وهو : الجو ، وهو نفس النور . وجسم آخر وهو أظلم منه ، وهو « النسيم » وهو « روح النور » .</p>	— —
***		
<p>قال : ولم تزل تولد الظلمة شياطين وأراكنة وعفاريت ، لا على سبيل المناخة ؛ بل كما تتولد الحشرات من العفونات القذرة .</p>	<p>قال : ولم يزل يولد [النور] ملائكة ، وآلهة ، وأولياء ، لا على سبيل المناخة ؛ بل كما تتولد الحكمة من الحكيم ، والمنطق الطيب من الناطق .</p>	—
<p>قال : و « ملك » ذلك العالم : هو « روحه » . ويجمع عالمه : الشر ، والذميمة ، والظلمة .</p>	<p>[ قال : « وملك » ذلك العالم : هو « روحه » . ويجمع عالمه : الخير ، والحمد ، والنور .</p>	— —

ثم اختلفت المانوية في : « المزاج ، وسببه ، و « الخلاص ، وسببه :  
قال بعضهم : إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق ؛ لا بالقصد ، والاختيار .  
وقال أكثرهم : إن سبب المزاج أن أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض  
التشاغل ، فنظرت الروح ، فرأت النور ، فبعثت الأبدان على نمازجة النور ،  
فأجابتها لإسراعها إلى الشر ؛ فلما رأى ذلك ملك النور ، وجه إليها ملكا من ملائكته  
في خمسة أجناس من أجناسها الخمسة ؛ فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية :  
تخالط الدخان النسيم ؛ وإنما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم ؛ والهلاك  
والآفات من الدخان ، وخالط الحريق النار ، والنور الظلمة ، والسموم الريح ،  
والضباب الماء . فما في العالم من : منفعة ؛ وخير ؛ وبركة ؛ فمن أجناس النور .  
وما فيه من : مضرة ؛ وشر ؛ وفساد ؛ فمن أجناس الظلمة . فلما رأى ملك النور  
هذا الامتزاج أمر ملكا من ملائكته ؛ فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ؛ لتخلص  
أجناس النور من أجناس الظلمة . وإنما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم  
والكواكب ؛ لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة ؛ فالشمس تستصفي النور  
الذي امتزج بشياطين الحر ، والقمر يستصفي النور الذي امتزج بشياطين البرد ،  
والنسيم الذي في الأرض لا يزال يرتفع ؛ لأن من شأنها الارتفاع إلى عالمها ؛  
وكذلك جميع أجزاء النور أبدأ في الصعود والارتفاع ، وأجزاء الظلمة أبدأ  
في النزول والتسفل . . . . حتى تتخلص الأجزاء من الأجزاء ، ويبطل الامتزاج ،  
وتنحل التراكيب ، ويصل كل إلى كله وعالمه ؛ وذلك هو القيامة والمعاد .

قال : وما يعين في التخليص ، والتمييز ، ورفع أجزاء النور : التسبيح ،  
والتقديس ، والكلام الطيب ، وأعمال البر ؛ فترتفع بذلك الأجزاء النورية  
في عمود الصبح إلى فلك القمر ؛ ولا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر  
إلى نصفه ، فيمتلئ ، فيصير بدرأ ، ثم يؤدي إلى الشمس إلى آخر الشهر ، وتدفع  
الشمس إلى نور فوقها . . . فيسرى ذلك في العالم . . . إلى أن يصل إلى النور  
الأعلى الخالص . ولا يزال يفعل ذلك ، حتى لا يبقى من أجزاء النور شيء في هذا

العالم إلا قدر يسير منعقد ، لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه ؛ فعند ذلك يرتفع الملك الذى يحمل الأرض ، ويدع الملك الذى يجذب السماوات ؛ فيسقط الأعلى على الأسفل ، ثم توقد نار حتى يضطرم الأعلى والأسفل ، ولا تزال تضطرم حتى يتحلل ما فيها من النور ؛ وتكون مدة الاضطرام : ألفاً وأربعمائة وثمانيا وستين سنة .

وذكر الحكيم ماني - فى « باب الألف » من « الجبلية » ، وفى أول « الشايرقان » - : أن ملك عالم النور فى كل أرضه لا يخلو منه شيء ، وأنه ظاهر باطن ، وأنه لا نهاية له ؛ إلا من حيث تنهى أرضه إلى أرض عدوه . وقال أيضا : إن ملك عالم النور فى سره أرضه . وذكر : أن « المزاج القديم » هو امتزاج : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ؛ و « المزاج المحدث » هو : الخير ، والشر .

وقد فرض « ماني » على أصحابه : العشر فى الأموال كلها ، والصلوات الأربع فى اليوم والليلة ، والدعاء إلى الحق ، وترك الكذب ؛ والقتل ؛ والسرقه ؛ والزنا ؛ والنخل ؛ والسحر ؛ وعبادة الأوثان ؛ وأن يأتى على ذى روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله . واعتقاده فى الشرائع والأنبياء : أن أول من بعث الله تعالى بالعلم ، والحكمة . آدم أبو البشر ، ثم [ بعث ] « شيثا » بعده ، ثم « نوحاً » بعده ، ثم « إبراهيم » بعده عليهم الصلاة والسلام . . . ثم بعث « بالبدة » إلى أرض الهند ، و « زردشت » إلى أرض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب ؛ و « بولس » بعد المسيح إليهم ، ثم يأتى « خاتم النبيين » إلى « أرض العرب » .

\*\*\*

وزعم « أبو سعيد المانوى » ؛ رئيس من رؤسائهم : أن الذى مضى من المزاج إلى الوقت الذى هو فيه - وهو سنة إحدى وسبعين ومائتين من الهجرة - : أحد عشر ألفاً وسبعمائة سنة ؛ وأن الذى بقى إلى « وقت الخلاص » : ثلاثمائة سنة .

وعلى مذهبه «مدة المزاج» . اثنا عشر ألف سنة ؛ فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة في زماننا هذا ؛ وهو إحدى وعشرون وخمسة مائة هجرية .  
فنحن في آخر «المزاج» ، وبدء الخلاص ، ؛ فإلى الخلاص الكلي ، وانحلال التراكيب خمسون سنة ! .

## ٢ - المزدكيّة

أصحاب : مَزْدَك } و «مزدك» هو الذي ظهر في أيام «قباد» ، والد «أنوشروان» ؛ ودعا قباد إلى مذهبه ، فأجابه .  
واطلع «أنوشروان» ، على : خزيه ، واقترائه ؛ فطلبه ؛ فوجده ؛ فقتله .  
حكى «الوراق» ، : أن قول المزدكية كقول كثير من الممانوية :  
في «الكونين» ، و «الأصلين» ؛ إلا أن مزدك كان يقول : «إن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الحبط والاتفاق . والنور : عالم ؛ حساس ، والظلام : جاهل ؛ أعمى . وإن المزاج كان على الاتفاق والحبط ؛ لا بالقصد والاختيار ، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار .  
وكان مزدك ينهى الناس عن : المخالفة ، والمباغضة ، والقتال ؛ ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب : النساء ، والأموال ؛ أحل النساء ، وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فهما ؛ كاشتراكهم في : الماء ، والنار ، والكلاء . وحكى عنه : أنه أمر بقتل الأتقى ؛ ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة .  
ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة : الماء ، والأرض ، والنار . ولما اختلطت حدث عنها : مدبر الخير ، ومدبر الشر ؛ فما كان من صفوها فهو مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر .  
وروى عنه : أن «معبوده» قاعد على كرسيه في العالم الأعلى ، على هيئة تعود «خسرو» في العالم الأسفل ، وبين يديه أربع قوى : قوة التمييز ، والفهم ،

والحفظ ، والسرور ؛ كما بين يدي خسرو أربعة أشخاص : موبذ موبدان ،  
والهربد الأكبر ، والأصبهد ، والرامشكر . وتلك الأربعة يدبرون أمر العالم  
بسبعة من ورائهم : سالار ، ويشكار ، وبالون ، وبراون ، وكازران ، ودستور ،  
وكوذك . وهذه السبعة تدور في اثني عشر روحانيين : خواتنده ، ودهنده ،  
وستاننده ، وبرنده خورنده ، ودونده ، وخيزنده ، وكشنده ، وزنده ، وكنده ،  
وآبنده ، وشونده ، وباینده .

وكل إنسان اجتمعت له هذه القوى الأربع ، والسبع ، والاثنا عشر : صار  
ربانياً في الدالم السفلى ، وارتفع عنه التكليف . قال : وإن « خسرو » العالم الأعلى  
إنما يدبر بالحروف التي مجموعها « الاسم الأعظم » ، ومن تصور من تلك الحروف  
شيئاً انفتح له السر الأكبر ، ومن حرم ذلك بقي في عمى الجهل والنسيان والبلادة  
والغم : في مقابلة القوى الأربع الروحانية .



مركز تفتيش قلمبر علوم اسلامی

وهم فرق : الكوزية ، وأبو مسلمية ، والمساهانية ، والأسيدخامكية .  
و « الكوزية » بنواحي : الأهواز ؛ وفارس ؛ وشهرزور . والآخر بنواحي :  
سغد سمرقند ، والشاش ، وإيلاق .

### ٣ — الدِّيصَانِيَّة

أصحاب « ديسان » . أثبتوا أصليين : نوراً ، وظلاماً ؛ فالنور : يفعل الخير  
قصداً واختياراً ، والظلام : يفعل الشر طبعاً واضطراراً ؛  
فما كان من : خير ، ونفع ، وطيب ، وحسن ؛ فمن النور ، وما كان من :  
شر ، وضرر ، وتتن ، وقبح ؛ فمن الظلام . وزعموا أن النور : حي ، عالم ، قادر ،  
حساس ، دراك ، ومنه تكون الحركة والحياة . والظلام : ميت ، جاهل ، عاجز ،  
جماد ، موات ، لا فعل له ولا تمييز ؛ وزعموا أن الشر يقع منه طباعاً وخرقا

وزعموا أن النور جنس واحد ؛ وكذلك الظلام جنس واحد ، وأن إدراك النور إدراك متفق ؛ فإن سمعه وبصره وسائر حواسه : شيء واحد ؛ فسمعه هو بصره ، وبصره هو حواسه ؛ وإنما قيل : سميع ، بصير ؛ لاختلاف التركيب ؛ لأنهما في نفسيهما شيئان مختلفان . وزعموا : أن اللون هو الطعم ، وهو الرائحة ، وهو المحسة ، وإنما وجدته لو نأ ؛ لأن الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة ، ووجده طعماً ؛ لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب ، وكذلك القول في لون الظلمة ، وطعمها ، ورائحتها ، ومحستها . وزعموا : أن النور يياض كله ، وأن الظلام سواد كله ، وزعموا : أن النور لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحة منه ، وأن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحة منها .

واختلفوا في « المزاج » و « الخلاص » : فزعم بعضهم أن النور داخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ ؛ فتأذى بها ، وأحب أن يرققها ويلينها ، ثم يتخلص منها ؛ وليس ذلك لاختلاف جنسهما ، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد ، وصفحته لينة ، وأسنانه خشنة ؛ فاللين في النور ، والخشونة في الظلمة ، وهما جنس واحد ؛ فتلطف النور بليته حتى يدخل تلك الفرج ، فما أمكنه إلا بتلك الخشونة ، فلا يتصور الوصول إلى كمال وجود إلا بلين وخشونة . وقال بعضهم : بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته ، فاجتهد النور حتى يتخلص منه ، ويدفعه عن نفسه ، فاعتمد عليه ، فلبجج فيه ؛ وذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه ، فيعتمد على رجله ليخرج ، فيزداد لجوجاً فيه . . . ؛ فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه .

وقال بعضهم : إن النور إنما دخل [ أجزاء ] الظلام اختياراً ؛ ليصلحها ؛ ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه ؛ فلما دخل تشبثت به زماناً ، فصار يفعل الجور والقبیح اضطراراً لا اختياراً ؛ ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض ، والحسن البحت . وفرق بين الفعل الاضطرارى ، وبين الفعل الاختيارى .

## ٤ — المَرْقِيُونِيَّة

أصحاب : مرقيون . أثبتوا أصلين قديمين متضادين : أحدهما النور ، والثاني الظلمة ، وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو : « المعدل الجامع » ، وهو سبب المزاج ؛ فإن المتأخرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع . وقالوا : إن « الجامع » دون النور في المرتبة وفوق الظلمة ؛ وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم .

ومنهم من يقول : الامتزاج إنما حصل بين الظلمة و « المعدل » ؛ إذ هو أقرب منها ، فامتزجت به ؛ لتطيب به ، وتلتذ بملاذبه ؛ فبعث النور إلى العالم الممتزج « روحاً مسيحية » ، وهو « روح الله » « وابنه » : تحتاً على « المعدل الجامع » ، السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم ، حتى يخلصه من حبائل الشياطين ؛ فمن اتبعه ؛ فلم يلامس النساء ، ولم يقرب الزهومات : أفلت ، ونجا ؛ ومن خالفه : نحر ، وهلك .

قالوا : وإنما أثبتنا المعدل ؛ لأن النور الذي هو الله تعالى : لا يجوز عليه مخالطة الشياطين ؛ وأيضاً فإن الضدين يتنافران طبعاً ؛ ويتمانعان ذاتاً ونفساً ؛ فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ؟ ؛ فلا بد من « معدل » يكون بمنزلة : دون النور ، وفرق الظلام ؛ فيقع الامتزاج منه . وهذا على خلاف ما قالته الماسنوية ؛ وإن كان « ديسان » أقدم ، وإنما أخذ ما نرى منه مذهبه ، وخالفه في المعدل . وهو أيضاً خلاف ما قال زردشت ؛ فإنه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين ، الجامع بين المتضادين : لا يجوز أن يكون طبعه وجوهه من أحد الضدين ؛ وهو الله عز وجل الذي لا ضده ولا ند .

وحكى « محمد بن شبيب » عن الديصانية أنهم زعموا : أن المعدل هو الإنسان الحساس الدراك ؛ إذ هو ليس بنور محض ، ولا ظلام محض . وحكى عنهم : أنهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه وروحه حراماً ، ويحترزون عن ذبح الحيوان ؛ لما فيه من الألم .



وحكى عن قوم من « الثنوية » : أن النور والظلمة لم يزايا حين ، إلا أن النور حساس عالم ، والظلام جاهل أعمى ؛ والنور يتحرك حركة مستقيمة مستقيمة ، والظلام يتحرك حركة عجزية خرقاء معوجة . فبينما [ هما ] كذلك إذ هجم بعض هامات الظلام على حاشية من حواشي النور ، فابتلع النور منه قطعة على الجهل ، لا على القصد والعلم ؛ وذلك كالطفل الذي لا يفصل بين الجرة والتمر ، وكان ذلك « سبب المزاج » . ثم إن النور الأعظم دبر في الخلاص ؛ فبقى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ، ولم يمكنه استخلاصه إلا بهذا التدير .

## ٥ - الكينوية ؛

والصيامية ، والتناسخية منهم :

حكى جماعة من المتكلمين أن « الكينوية » زعموا أن الأصول ثلاثة : النار ، والأرض ، والماء . وإنما حدثت الموجودات من هذه الأصول دون الأصليين اللذين أثبتهما الثنوية . قالوا : والنار بطبعها : خيرة ؛ نورانية ، والماء ضدها في الطبع ؛ فما كان من خير في هذا العالم فن النار ، وما كان من شر فن الماء ، والأرض متوسطة . وهؤلاء يتعصبون للنار شديداً ؛ من حيث إنها : علوية ، نورانية ، لطيفة : لا وجود إلا بها ، ولا بقاء إلا بإمدادها . والماء يخالفها في الطبع ، فيخالفها في الفعل ، والأرض متوسطة بينهما : فتركيب العالم من هذه الأصول .

و « الصيامية » منهم : أمسكوا عن طيبات الرزق ، وتجردوا لعبادة الله ، وتوجهوا في عباداتهم إلى « النيران » ، تعظيماً لها ؛ وأمسكوا أيضاً عن النكاح والذبايح .

و « التناسخية » منهم : قالوا بتناسخ الأرواح في الأجساد ، والانتقال من شخص إلى شخص ؛ وما يلقى [ الإنسان ] من : الراحة ، والتعب ، والدعة ،

والنصب : فترتب على ما أسلفه من قبل وهو في بدن آخر ؛ جزاء على ذلك .  
والإنسان أبدأ في أحد أمرين : إما في فعل ، وإما في جزاء . وما هو فيه :  
فإما مكافأة على عمل قدمه ، وإما عمل ينتظر المكافأة عليه . والجنة والنار في هذه  
الأبدان ، وأعلى عليين : درجة النبوة ، وأسفل الساقطين : دركة الحية ؛ فلا وجود  
أعلى من درجة الرسالة ، ولا وجود أسفل من دركة الحية . ومنهم من يقول :  
الدرجة الأعلى درجة الملائكة ، والأسفل دركة الشياطين .

ويخالفون بهذا المذهب « سائر الثنوية » ؛ فإنهم يعنون بأيام الخلاص :  
رجوع أجزاء النور إلى عالمه الشريف الحميد ، وبقاء أجزاء الظلام في عالمه  
الخسيس الذميم .



وأما بيوت النيران للمجوس : فأول بيت بناه « أفريدون » : بيت نار  
بطوس ، وآخر بمدينة بخارى ؛ هو « بردسون » . واتخذ بهمن بيتاً بسجستان ؛  
يدعى : « كركو » . ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى ؛ يدعى : « قباذان » ؛  
وبيت نار يسمى « كويسه » ، بين فارس وأصهبان ، بناه « كينخرو » . وآخر  
بقومس ؛ يسمى : « جربر » . وبيت نار يسمى « كنهكديز » ؛ بناه « سياوش »  
في مشرق الصين . وآخر « بأرجان » من فارس اتخذها « أرجان » جد « كشتاسب » -  
وهذه البيوت كانت قبل زردشت .

ثم جدد زردشت : بيت نار بنيسابور ، وآخر بنسا . وأمر « كشتاسب »  
أن يطلب ناراً كان يعظمها « جم » ، فوجدها بمدينة خوارزم ، فنقلها إلى  
« دارا بجرد » وتسمى : « آذرخره » والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها .  
و « كينخرو » لما خرج إلى غزو « أفراسياب » ؛ عظمها ، وسجد لها ؛ ويقال :  
إن « أنوشروان » هو الذي نقلها إلى « كاريان » ؛ فتركوا بعضها ، وحملوا بعضها  
إلى « نسا » .

وفي بلاد الروم على أبواب قسطنطينية : بيت نار ؛ اتخذها « سابور  
ابن أردشير » ؛ فلم يزل كذلك إلى أيام المهدي ، وبيت نار « ياستينيا » ؛ على قرب  
مدينة السلام « لبوران » بنت كسرى .

وكذلك بالهند والصين : بيوت نيران .

وأما اليونانيون : فكان لهم ثلاثة آيات ليست فيها نار ؛ وقد ذكرناها :

والمجوس إنما يعظمون النار لمعان فيها ؛ منها : أنها جوهر شريف علوي ،  
ومنها : أنها ما أحرقت الخليل إبراهيم عليه السلام ، ومنها : ظنهم أن التعظيم لها  
ينجهم في « المعاد » من عذاب النار .

وبالجملة ؛ هي : قبلة لهم ، ووسيلة ، وإشارة . والله أعلم .



مركز تحقيقات كميتر علوم ورسول

هذا آخر تفصيل « أرباب الديانات والملل » .

وبعد هذا شرح « أهل الأهواء والنحل » .

والحمد لله وحده

# فهرس

صفحة	
١٦ - ٣	مقدمة الطبعة الثانية - للمخرج . . . . .
	* * *
١٩	مقالات أهل العالم . . . . .
	مقدمات الشهرستاني [ من ١٩ - ٤١ ]
٢١ - ١٩	المقدمة الأولى : تقسيم أهل العالم جملة مرسله . . . . .
٢٣ - ٢١	المقدمة الثانية : تعيين قانون لتعديد الفرق الإسلامية . . . . .
٢٧ - ٢٣	المقدمة الثالثة : أول شبهة وقعت في الخليفة وانشعابها . . . . .
٣٨ - ٢٧	المقدمة الرابعة : أول شبهة وقعت في الإسلام وانشعابها . . . . .
٤١ - ٣٨	المقدمة الخامسة : سبب ترتيب الكتاب على مناهج الحساب . . . . .
٤٢ - ٤١	خاتمة المقدمات . . . . .
٤٣ - ٤٢	مذاهب أهل العالم التقسيم الصحيح لأهل العالم . . . . .

## القسم الأول [ من صفحة ٤٤ - ٢٣٥ ]

أرباب الديانات والملل

من المسلمين وأهل الكتاب ومن لهم شبهة كتاب

٤٥ - ٤٤	مصطلحات عامة لهذا القسم . . . . .
---------	-----------------------------------

## الجزء الأول [ من صفحة ٤٦ - ١٨٨ ]

المسلمون

٤٧ - ٤٦	(١) الإسلام والإيمان والإحسان . . . . .
٤٨ - ٤٧	(ب) الأصول المختلف فيها ، والفروع . . . . .
	(ج) تقابل كبار الفرق . . . . .

الباب الأول [ من صفحة ٤٩ — ٧٨ ]  
المعتزلة  
صفحة

٥٠ — ٤٩	. . . . . (١) أسماؤهم وألقابهم وما يعمهم من الاعتقاد
٥٣ — ٥٠	. . . . . ١ — الواصلية
٥٦ — ٥٣	. . . . . ٢ — الهذيلية
٦١ — ٥٦	. . . . . ٣ — النظامية
٦٣ — ٦١	. . . . . ٤ — الخاطبية والحديثية
٦٥ — ٦٣	. . . . . ٥ — البشرية
٦٧ — ٦٥	. . . . . ٦ — المعمرية
٦٨ — ٦٧	. . . . . ٧ — المرادارية
٦٩ — ٦٨	. . . . . ٨ — الثمامية
٧١ — ٧٠	. . . . . ٩ — الهشامية
٧٢ — ٧١	. . . . . ١٠ — الجاحظية
٧٣	. . . . . ١١ — الخياطية والكعبية
٧٨ — ٧٣	. . . . . ١٢ — الجبائية والبهشية
٧٨	. . . . . فيما بين البغداديين والبصريين والمتأخرين من المعتزلة

الباب الثاني [ من صفحة ٧٩ — ٨٣ ]

الجبورية

٧٩	. . . . . (١) في الجبر، أصناف الجبورية، وتسميتهم
٨١ — ٧٩	. . . . . ١ — الجهمية
٨٢ — ٨١	. . . . . ٢ — النجارية
٨٣ — ٨٢	. . . . . ٣ — الضرارية

الباب الثالث [ من صفحة ٨٤ - ١٠٤ ]  
الصفات

٨٥ - ٨٤	والجماعة . . . . .
٩٤ - ٨٥	١ - الأشعرية . . . . .
٩٩ - ٩٥	٢ - المشبهة . . . . .
١٠٤ - ٩٩	٣ - الكرامية . . . . .

الباب الرابع [ من صفحة ١٠٥ - ١٢٤ ]  
الخوارج

١٠٥	(١) الخوارج والمرجئة والوعيدية . . . . .
١٠٦ - ١٠٥	(ب) أول الخوارج وأشدهم ، وكبار فرقهم ، وما يجمعهم
١٠٨ - ١٠٦	١ - المحكمة الأولى . . . . .
١١٠ - ١٠٩	٢ - الأزارقة . . . . .
١١٢ - ١١٠	٣ - النجدات العاذرية . . . . .
١١٥ - ١١٣	٤ - البهسية . . . . .
	٥ - العجاردة : (١) الصلتية (ب) الميمونية (ح) الحمزية (د) الخلفية (هـ) الأطرافية (و) الشعبية
١١٨ - ١١٥	(ز) الحازمية . . . . .
	٦ - الثعالبية : (١) الأخنسية (ب) المعبدية (ح) الرشيدية (د) الشيبانية (هـ) المكرمية . . . . .
١٢٠ - ١١٨	(و) المعلومية والمجهولية (ز) البدعية

صفحة	
١٢٢—١٢١	٧ — الإباضية : (١) الحفصية (ب) الحارثية
١٢٣	(ح) الزيدية
١٢٤—١٢٣	٨ — الصفرية الزيدية
	تمة رجال الخوارج

الباب الخامس [ من صفحة ١٢٥ — ١٣٠ ]  
المرجئة

١٢٥	في الإرجاء وأصناف المرجئة
١٢٦—١٢٥	١ — اليونسية
١٢٦	٢ — العبيدية
١٢٧—١٢٦	٣ — الفسانية
١٢٨—١٢٧	٤ — الثوبانية
١٢٨	٥ — التومنية
١٣٠—١٢٩	٦ — الصالحية
١٣٠	تمة رجال المرجئة - كما نقل -

الباب السادس [ من صفحة ١٣١ — ١٧٨ ]  
الشيعة

١٣١	في الشيعة واعتقادهم وما يجمعهم وكبار فرقهم وميولهم
١٣٧—١٣١	١ — الكيسانية : (١) المختارية (ب) الهاشمية
	(ح) البيانية (د) الرزامية
	٢ — الزيدية : (١) الجارودية (ب) السلمانية
	(ح) الصالحية والبرية
١٤٣—١٣٧	رجال الزيدية

صفحة

- ٣ — الإمامية : ( ا ) الباقرية والجعفرية الواقفة  
( ب ) الناوسية ( ج ) الأفظحية  
( د ) الشميطية ( هـ ) الإسماعيلية  
( و ) الموسوية المفضلية . . . . .  
١٥٤ — ١٤٤ ( ز ) الاثنا عشرية . . . . .
- ٤ — الغالية : ( ا ) السبائية ( ب ) الكاملة  
( ج ) العلبائية ( د ) المغيرية  
( هـ ) المنصورية ( و ) الخطائية  
( ز ) الكيالية ( ح ) الهشامية  
( ط ) النعمانية ( ي ) اليونسية  
١٦٩ — ١٥٤ ( يا ) النصيرية والإسحاقية . . . . .  
١٧٠ . . . . . رجال الشيعة ومصنفوا كتبهم  
١٧٨ — ١٧٠ — الإسماعيلية ( الباطنية ) . . . . .

الباب السابع [ من صفحة ١٧٩ — ١٨٨ ]

### أهل الفروع

- ١٨٠ — ١٧٩ ( ا ) في الاجتهاد وأركانه والواجب على المجتهد . . . . .  
١٨٢ — ١٨٠ ( ب ) في بيان شرائط الاجتهاد . . . . .  
١٨٦ — ١٨٢ — ١ — أحكام المجتهدين في الأصول والفروع . . . . .  
١٨٧ — ١٨٦ — ٢ — حكم الاجتهاد والتقليد والمجتهد المقلد . . . . .  
١٨٧ — ١٨٢ — ٣ — أصناف المجتهدين . . . . .  
١٨٨ . . . . . تفرقة وتذكيرة . . . . .



الجزء الثاني [ من صفحة ١٨٩ - ٢٠٨ ]  
أهل الكتاب

- (١) في أهل الكتاب ومن له شبهة كتاب . . . . . ١٨٩  
(ب) في أهل الكتاب والأمينون . . . . . ١٨٩ - ١٩٠  
(ج) في اليهود والنصارى . . . . . ١٩٠ - ١٩١

الباب الأول [ من صفحة ٩٢ - ٢٠٠ ]  
اليهود خاصة

- (١) في اليهود وكتابهم وما يعمهم وما يلزمهم وافتراقهم  
١ - العناية . . . . . ١٩٦  
٢ - العيسوية . . . . . ١٩٦ - ١٩٧  
٣ - المقاربة واليوذعانية . . . . . ١٩٧ - ١٩٩  
٤ - السامرة . . . . . ١٩٩ - ٢٠٠  
فيما أجمع عليه اليهود . . . . . ٢٠٠

الباب الثاني [ من صفحة ٢٠١ - ٢٠٨ ]  
النصارى

- (١) في أمة المسيح واختلافاتهم وما يعمهم وكبار فرقهم . . . . . ٢٠١ - ٢٠٣  
١ - الملكانية . . . . . ٢٠٣ - ٢٠٤  
٢ - النسطورية . . . . . ٢٠٥ - ٢٠٦  
٣ - اليعقوبية . . . . . ٢٠٦ - ٢٠٧  
فيما أجمع عليه أصحاب التثليث وما اختلفوا فيه . . . . . ٢٠٧ - ٢٠٨

الجزء الثالث [ من صفحة ٢٠٩ — ٢٣٥ ]

صفحة

من له شبهة كتاب

- (١) في عحف إبراهيم عليه السلام . . . . . ٢٠٩  
(ب) في المجوسية والصابئة والحنفاء وإبراهيم الخليل . . . . . ٢١٠ — ٢١٢

الباب الأول [ من صفحة ١٢٤ — ٢١٣ ]

المجوس

- (١) في مزاعم المجوس الأصلية . . . . . ٢١٣  
١ — الكيومرثية . . . . . ٢١٣ — ٢١٤  
٢ — الزروانية . . . . . ٢١٤ — ٢١٦  
٣ — الزردشتية . . . . . ٢١٦ — ٢١٩  
مقالة زردشت في المبادئ ( نقل الجبالي ) . . . . . ٢١٩ — ٢٢٤

الباب الثاني [ من صفحة ٢٢٤ — ٢٣٥ ]

الثنوية

- (١) في أصحاب الاثنين وما يجمعهم . . . . . ٢٢٤  
١ — المانوية . . . . . ٢٢٤ — ٢٢٩  
٢ — المزدكية . . . . . ٢٢٩ — ٢٣٠  
٣ — الديسانية . . . . . ٢٣٠ — ٢٣١  
٤ — المرقونية . . . . . ٢٣٢ — ٢٣٣  
٥ — الكينوية والصيامية والتناسخية منهم . . . . . ٢٣٣ — ٢٣٤  
بيوت النيران للمجوس . . . . . ٢٣٤ — ٢٣٥

♦ ♦ ♦

- الفهرس . . . . . ٢٣٦ — ٢٤٢



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی